



كُل الطُرق
لا تُؤدِي إلى رُوما

رواية

مُحمَد طَارِق

تشكيل للنشر والتوزيع



كل الطرق

لا تؤدي إلى روما

رواية

محمد طارق





Email publish@tashkeel- publishing.com

Website www.tashkeel-publishing.com

Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-50-1

رقم الإيداع: 2017/19823

الطبعة الأولى : ٢٠١٧

تصميم الغلاف : أحمد فرج

التدقيق اللغوي : نورهان سعيد

الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المدير العام : سيد شعبان

المقدمة



إن كنت مُلتزمًا دينيًا سواء على دين "موسى" أو "يسوع" أو حتى "مُحَمَّد"، فهذه الرواية لن تُناسبكَ؛ فهي أشبَه بوضع سُم في وعاء مِن العسل!

حتمًا ستجعلكَ تُفكر في إيمانك وعقيدتك، وقد تجعلك تُلحِد وتُحَطم كل معتقداتك الدينية بفَخرٍ واعتزاز..

و إن كنت مُلحدًا فهُنا لن تجد إلا كلمات تدفعكَ نحو الإيمان!

ولكَ الحق في اختيار الكتاب السماوي المناسب لك..

لا تُصدِّق أنكَ شخص مُسالم، ربما تختم حياة شخصٍ مع ختامكَ لهذه الرواية!

أنتَ لم تؤذِ أحدًا لأن الفرصة المناسبة لم تأتِ بعد!

و أنتَ تحب الخير لأنكَ لم تتذوَّق لذَّة الشر!

ولو أنكَ تائب عن ذنبكَ فهُنا ما قد يجعلك تسخر من تَوبتك تلك..

لا تُصدق أن الأبيض يناسبكَ، فالأسود قد يجعلكَ أكثر جمالاً!

وكفاكَ إطلاقًا للسباب واللعنات على "**إبليس**" فقد يصبح صديقك الوفي بعد قليل!

ولا تنخدع في الورد فقد يتحول إلى بندقية تُنهي حياتك على الفور!

هذه الرواية رمادية كطبيعتنا البشرية. مزيج بين الخير والشر، الأبيض والأسود، السعادة والحزن!

هي لا تخاطب الواقع أو المجتمع، بل تخاطبكَ أنت!

فاخلع ثيابك، و دعْ عقائدك وأفكارك جانبًا، وتعرَّ أمام حقيقتك...





"رُبما سيقبع في الجَحيم، أولَئِكَ الذين فضَّلوا المَوت عَمدًا عن الحياة، لكن بِالتأكيد سَيَقبَعون على نفس الرُّقعة التي سيقبع فيها أولِئك الذين تَسَبَبُوا في انتحارِهم".

الفصل الأول

صَدِّقني. هذا الخيار الأفضل لنا .

أيّ شيءٍ أفضل لنا يا "**لورين**"؟ الغياب!

كيف يكون الغياب أفضل خيارٍ لنا؟ تفهمين معنى اختيارك؟

أننا لن نَعُد هنا، لن نتشارك، لن نتحدث، لن يجمعنا طريق واحد بَعد الآن. لن نلتقي أبدًا!

كيف؟ كيف؟

اختياري ما هو إلا نتيجة لتراكمات أنتَ المسئول عنها، لطالما حذرتكَ مِن هذه التراكمات، لطالما استنجدتُ بِكَ و طلبتُ مِنكَ أن تبقى لكنك لم تفعل.. كنت أغفر و أغفر عساكَ تفهم أن غفراني لكَ ما هو إلا لنبقى معًا لكنكَ حتى لم تُبالِ بِما قَد يحدث، تعمدتَ القسوة و الإهمال، و نسيتَ أنني امرأة صامدة أتحملُ؛ و أتحملُ حتى لحظة مُعينة أثور و أرحل بِلا عودة..

الآن تريد محاولة جديدة لـ إثبات أنكَ تستحق حبي لكَ؟!

سخيفٌ أنتَ و غبيٌ كعادتك تأتي متأخرًا ثم تلومني على عدم الانتظار!

لقَد مللتُ العتاب و الحديث معك. من الآن انتهى كل شيء و من الأفضل لك أيضًا أن تنسى و لا أظن أن النسيان صعبٌ على ذاكرتك فَـ



الأمر معك يختلف، ربما بعد عام ستغزو قلبك امرأة أُخرى من قائمة النساء اللواتي عاشرتَهُن في وجودي، أو رُبما ستحصل على فُرصة عمل رائعة توفر لك الحياة التي تحلم بها، و لا أستبعد أن تصبح بعد خمسة أعوام شخصية عامة، و تمتلئ الصفحات الإخبارية بِـ إنجازاتك و كتاباتك.. وقتها أظن أن ذاكرتك لن تتذكر حتى اسمي، و إن لم يحدث كل ذلك، و امتلكتَ الذكريات و الحُزن فَـ صَلِ، صَلِ لـ أجل النسيان.. لـلمرة الأولى حاول أن تبدأ أنتَ بِـ المحاولة ربما تفهم و تقَدر محاولاتك، و ما أتمنى حقًا هو أن لا يخذلك النسيان مثلَما خذلتَني أنتَ.. إلى اللقاء.

كانت ليلة باردة على المدينة الساحلية لكنها لم تكُن أكثر برودة من كلمات "**لورين**".. رحلتْ "**لورين**" بعد أن ألقتْ بِثقل و برودة كلماتها على "**ديفيد شاهين**"، رحلتْ دون أن تودِّع حتى كلبه "**بروف**"!

فلاحقَها "**ديفيد**" مِن الشرفة. كانت المرّة الأولى التي لم تنظر "**لورين**" من أسفل إلى الشرفة، حتى و إن لم يكُن "**ديفيد**" ينتظرها كان "**بروف**" يقوم بِهذا الأمر.. ظل "**شاهين**" ينظر لها و بِجواره "**بروف**" و هي تختفي و تبتعد عن الأنظار خطوة تلو الأُخرى، واصل "**بروف**" النُباح و كأنه ينتظر منها رَمقَةً أخيرة لـتودعه لكن ذلك لم يحدث!

اختفَتْ تمامًا فَعاد "**شاهين**" لـغرفته، و جلس على سَريره. قَفز الكلب بجواره، و بدأ يلْهَث وجه صاحبه، لكن هذه المرة لم تكُن آثار شَفَتَي "**لورين**" على وجه "**شاهين**"، فـذهب سريعًا نحو سريره الخاص أمسك اللعبة التي كانت قَد قَدمتها "**لورين**" له ..

بَدَا "**ديفيد**" مضطربًا و في حالة صدمة تمامًا؛ لـطَالما كان مستعدًا لهذا



اليوم، لكن حتى و إن كنت مستعدًا لـفكرة رحيل أحدهم عنك لن تَسلَم أبدًا من الألم لحظةَ الفراق ..

واصلَ "**بروف**" اللعب؛ هذه المرة أيضًا لم يكُن يلعب بِطَريقة عادية، بل كان يلهث اللعبة، لا أحد يستطيع تفسير ما يشعر بِه الحيوان، لكن في الحب و الفراق ثمة إشارات تدل على الحزن، ربما شعر و استوعب "**بروف**" أن "**لورين**" لن تعود مجددًا، وهذا ما لم يستوعبه "**شاهين**"، أو بِالمعنى الأوضح "**لم يصدقه**"!

نهض "**شاهين**" من سريره، أخذ حقيبته الصغيرة، ثم ارتدى معطَفه، و بدأ بِالمشي وسط تساقط الثلوج..

لم يكُن الوقت متأخرًا لكن في مثلِ هذه الأجواء قارصة البرودة لن تجد إلا المجانين فقط هم مَن يسيرون في الشوارع، ولطالما كان يحب "**شاهين**" السير في مثل هذه الأجواء بِرفقة "**لورين**" و لطالما اعتادوا الركض والرقص حُفاوة بِتساقط الثلوج ؛ هذه المرة فقد القدرة على المشي بِطَريقة متوازنة. كان يفكر فيما حدث و فيما قالته "**لورين**"، وضع سماعات الهاتف، و بدأ بِالاستماع لـلموسيقى الكلاسيكية، لكنْ و من دونِ قَصد كانت الموسيقى تثير أكثَر لـلبكاء!

"وأنتَ على وشك الانهيار تصبِح الموسيقى لَحن قاسٍ ينهَشُ في قَلبك، تتحول الأصوات حولك لـسكاكين تطعنُ روحك بِلا شفقَة، تثور و تغضب حتى أنكَ لا تُطيق سماع صوت أنفاسك، وأنتَ على وشك الانهيار تشعر وكأن الحياة اتفقَتْ في هذه اللحظة على أن تبكيك"..

هكذا كان يشعر "**شاهين**"، لكن سرعان ما حاول السيطَرة على الأمر



فـأغلق الموسيقى واتجه إلى البحيرة العميقَـة، جلس على ضفـاف البحيرة، و هـو يتابع تسـاقط الثلـوج عليها..

رغـم أن هـذا الجسر يطلق عليه "**الجسر الأخير**" لـأنه شـهد على المئات من حـالات الانتحـار.. ما بين الغرق وقَطع الشرايين، وحتـى إطلاق الرصاص، لكـن كان أصعـب حـالات الانتحـار تلك التي يحكم بها القَـدر دون أن يقتلك، أو ينتهي الأَمـر بِالموت فقط..

بـمعنى أوضـح كان يؤمـن "**شـاهين**" أن الفقـدان انتحـار، و الانتظـار انتحـار، و الصمـت انتحـار، و الحـزن انتحار آخر؛ حتـى وإن كان الفرق واضحًا بيـن الانتحـار الشـخصي، و الحكـم بِالانتحـار. فـربما **الأول** حـدث بِرغبتك أنـت، أما الثاني فيحدث رغما عنك. ربما لـهذا السـبب الفلسفي كان يرفض "**شـاهين**" إطـلاق هـذا الاسـم على الجسـر، بـل ابتكـر اسـمًا آخر له فـأسماه "**جسـر الما لانهاية**"..

مر الوقـت سـريعًا، كانـت الأجواء بـاردة أكثر من المعتاد لكنـه لم يهتم، أو بِالأَصَـح كان مشـغولاً بِالمعـارِك التي تدور بِداخلـه. ثَمَّةَ أسـئلة وجودية تنتفض وقـت الرحيـل لا أجوبةَ لها..

كان قـد اتصـل بصديقـه "**باولـو**" واتفقـا أن يلتقيـا عنـد الجسـر. لـم يكن الأمـر يُحتمل!

حـاول اصطنـاع الهـدوء حتـى وصـول صديقه، فـأخرج مـن حقيبتـه ورقَةً، **و بدأ بِـالكتابة :**

"على مـا يبـدو أننـا انتهينـا يـا "**لوريـن**"، هـذا مـا أخبرتني بـه قَبل سـاعاتٍ و هـذا مـا جعلنـي أكتـب لَـكِ ؛ أعـرف أنكِ لا تحبيـن كتاباتـي و لطالما وصفتها

بِالكتابات الحزينة المأساوية، لكن دعيني أقول لكِ أن في هذه اللحظة أنا لا أصدق أننا انتهينا، نعم أنا ذلكَ السوداوي الكئيب معكِ، والكاتب المعروف أمام الجميع، أقسم لكِ أنني لم أخنكِ في حياتي، كنتُ أعرِفُ العاهرات نعم كنتُ أهوى المداعبات أحيانًا. ربما غازلتُ إحداهنَّ معكِ حق، لكن لم أخنكِ بالطريقَة التي تظنيها، حتى وإنْ كانت الخيانة في شريعتكِ تعني التفكير والنظَر لغيركِ فحتى هذا لم يحدث، لن أُبرئ آثار النساء على جسدي، لكنني مللتُ تصرفاتكِ، مللتُ من انشغالكِ الدائِم عني و مللتُ من لحظاتٍ استنجدتُ بكِ و لم أجدك، ربما أنا رجل خائن، لكنْ حتى وقتما اتفقنا أن نبتعد لفترةٍ؛ لنُعيد حسابات علاقَتنا حاولتُ أن أخون عشقي لكِ في أحضانِ النساء، فاكتشفتُ أنني خنتُ جميع النساء معكِ، و لم أخنك أنتِ".

فجأة سمع "**شاهين**" صوت صراخ أسفَلِ الجسر قاطعه عن مواصلة الكتابة، فـ انتفَض من مكانه.. عندما أتى لم يكُن أحدٌ على الجسر!

بدأ الصوتُ يرتفع، وكأن أحدهم يصارع الموت، كان الظلام دامسًا والهواء مشحونًا بِالظلام ذلكَ الذي تستحيل معه رؤية البحيرة بشكلٍ واضح ؛ بدأتْ علامات التوتر تسود على "**شاهين**". بالكاد استطاع أن يميز أن أحدهم اتخذ قرار الرحيل عن الحياة!

همهم في نفسه :

"أغبياء أولئك الذين يظنون أن قرار الموت أهوَن من الحياة" ..

وقف على حافةِ الجسر وهو على يقينٍ أن محاولاته لن تفيد، فحتى إن وجد ذلكَ الذي يصارع الموت، فلن يستطيع إنقاذه لـ أنه بِالكاد يستطيع العَوم في حَمّامِ السباحة بصعوبة ..



اشتدتْ الرياح فحاول "**شاهين**" السيطَرة على توازنه لكن، و رغمًا عنه سقَطَ بالأسفَل .!

استيقظ "**شاهين**" على صوت رعدٍ يضرب سماء المدينة، كانتْ الغرفة ساكنة و باردة أكثر من اللازم، شعر وكأن أطرافه غير موجودة، العتمة كانتْ تسود المكان بِطريقة مُخيفة، صوت نُباح كلبٍ مذعور هناك و السرير والزهور الساقطة على الأرض تكمل مَقطوعة موسيقية حزينة ومُرعبة في آنٍ واحد ..

حاول إيجاد أيّ طريقة لاكتشاف المكان بعد أن تأكّد أنه يقبَع في غرفَةٍ وحيدًا لكن دُون جَدوى، كانتْ النوافذ مُغلقة بِإحكامٍ حَدّ يَستحيل معه تمييز الليل من النهار إلا بِصعوبةٍ بالغَة!

بِالأخير عاد إلى سريره وهو يحاول تذَكُّر ما حدث قبل هذه الليلة، "**بروف..لورين..الجسر..ثُمّ...**" حاول مُداعبَة ذاكرته من جديد لكن دون جدوى. مَرَّ الوقت أبطَأ من سُلَحفاة تسابِق مجموعة من الغزلان؛ حتى ظَهَر شُعاع الشمس أخيرًا فبدأتْ تتضح ملامح الغرفة، غرفة عمليات خاصة! هكذا كانتْ تبدو لَهُ ..

نظر لملابسه فـ اكتشف أنه يرتدي سترةً قديمة من الحرير رديء الصُنع, حاول فتح الباب المُحكَم الغَلق لكنه لم يستطع. استسلم أخيرًا للحبس الانفرادي؛ منتظرًا بِلا أمل أيّ شخصٍ يقَدم له أيّ تفسير عما حدث له ..

ساعاتٌ بطيئة مرتْ لتشعل معها كل الظنون والتوقعات، أخيرًا بدأ صوتٌ يقترب من الباب، اقترب أكثر.. أكثر ..

ـ "**شاهين**"! كيفَ حالكَ الآن ؟!

سألته امرأة عجوزُ الملامح بشوشةُ رغم تجاعيدها، كانتْ ترتدي ملابس قصيرة لا تليق أبدًا بِعمرها، شعرها الأبيض مصففٌ بِطَريقَة مذهلة، تبدو جميلة ومخيفَة في آنٍ واحد، كانتْ تحملُ بِيديها صحنًا كبيرًا من قطَع اللحم المُجَفف..

أين أنا؟ كَم الساعة الآن؟ ما اسمك؟!

قاطعها "**شاهين**" بِوابلِ من الأسئلة، لكنها وضعتْ الصحنَ على السرير ثم استدارت نحو الباب كأنها لم تسمع أسئلَته..

كرر "**شاهين**" أسئلته بعصبية، فاستدارت نحوه بنفسِ الابتسامة التي قابلته بها وقالتْ وهي تغلقُ الباب:

بعد ساعتين من الآن ستخرج في نزهة إلى المدينة، الأجواء هنا رائعةٌ و درجة الحرارة مناسبة للمشي، إن لم تمانع فسيكون برفقتك دكتور "**سام**"؛ بالمناسبة! اليوم مباراة فَريقكَ المفضل في التصفيات النهائية .!

مَن دكتور "**سام**"؟

أغلقَت العجوزُ الباب قَبل أن تسمع أسئلته, كاد "**شاهين**" أن يُجن..

واصل "**شاهين**" المشي خلال الساعتين في أركان الغرفة حتى بدأ أحدهم بِفَتحِ الباب، عاد سريعًا إلى سريره، فـ دخلتْ إحداهن ..

بِعصبيةٍ و ثورةٍ جامحةٍ صرخ في وجهها:

متى سينتهي كل هذا الهراء؟!

كانتْ فتاة في العشرينات من العمر، طويلة القامة لكنْ هناك انحناء بارز على ظَهرها، ترتدي فستانًا طويلًا، ورغم أن ملامحها سالمة تمامًا من



التجاعيـد إلا أن شيءً ما ينقصهـا، شيءً ما يعكـر صفوهـا ..

جلستْ على السرير ثم نظَرتْ إلى "شاهين" و قالتْ:

أنـا دكتـور "سام كادين" المرافقَة لـحالتك النفسية والصحيـة.. أنتَ هنا في "دار رعايـة المُسنِّين"، لقـد وجدكَ رجـال الأمـن البحري ملقىً على أحد الموانـئ السـاحلية، في الحقيقـة لـم نجـد معـكَ أيّ إثبـات شـخصية لكـن قسـم التحريـات قـال أنـكَ كاتب معـروف في إحـدى البلدان المجـاورة، ربمـا لا أحد يهتـم هنـا بِالإعـلام أو ربمـا أن شهرتكَ لـم تتجـاوز حـدود موطنك!

لا يَهُـم ؛ فَقَـط كل مـا أريـد إخبـاركَ بِـه أنـكَ هنـا لـمدةٍ زمنيـةٍ طويلـة، حـاوِل أن.....

قاطعها "شاهين" و هو يضحك بِسخرية:

لقـد طُورَتْ برامج "الكاميـرا الخفيـة"، على أيّ حـال لا أُمانع في إذاعة الحلقـة. أرجوكِ أعيـدي إليَّ ملابِسي ولينتهي هذا الهـراء الآن .!

نظرت له "سام" نظرة شفقة ثم عانقته، وهي تدندنُ له أغنية قديمة:

اهـدأ يـا عجـوزي المسكين، اهـدأ يـا عجـوزي سيكون كل شيء على ما يـرام، ليـس المهـم الآن، لكـن بِالتأكيد سيكون كل شيء على ما يـرام يومًا ما..

تفاجأ "شاهين" من تصرفاتها. دفعها بعيدًا عنه وهو في حالة فَوضى ..

أَخرجيني من هنا الآن و إلا طلَبتُ لكم الشرطة!

سرعان ما تفهَمَتْ "سام" الأمر فـ فتحتْ له الباب و أذنتْ له بالرحيل ..

انصرف سريعًا، حـاول الهرب. كانـت الأضـواء خافتة لكنه اسـتطاع تمييز الوجـوه، شيء ما لم يكـن طَبيعيًا!



واصَلَ النُّزَلاء السَّير بِحركةٍ مُعتادةٍ دُون أيّ اهتمامٍ مِنهم. فجأة رَبَّتَ على كَتفه أحدهم!

كانَ رجلًا ضَخمًا بِشارِبٍ عَريض و ملامِح حادَة، يَرتَدي سُترَةً رماديَّة اللون. قالَ بِحَزمٍ وحاجبين مُنعقدين: عُد لِغرفَتك يا "**شاهين**" الآن!

أنفزع "**شاهين**" مِن هيئة الرجل، عاد سريعًا إلى الغرفة. بِصعوبةٍ استَطاع أن يُميزها مِن بين الغُرَف ..

ما إن دخل حتى وجد دكتور"سام" تُقَلِّم أظافرها بِهدوءٍ تام و تواصِل نَفس الأغنية ..

اندفع نحوها بِقوةٍ وهو يصرخ:

ماذا سيحدث؟ أَجيبيني!

دفعته "**سام**" بعيدًا عنها بقوةٍ غير عادية، حتى أنَّه أَصبح كطفلٍ رضيعٍ بين يديها، ثم قالت:

السيارة تنتظرنا بالخارِج الآن، خذ ملابِسك من الخزانة و ارتدِها. هيَّا تأخر الوقت أيُّها العجوز المُمِل ..

حاول "**شاهين**" تَهدِئَة ثَورة "**سام**" عليه **قائلاً:**

على أيّ حال نَهدَيكِ يُثيراني!

ردت بحَزمٍ وهي في الطَريقِ إلى الباب: والسافل أيضًا!



الفصل الثاني

خرج "**شاهين**" من الغرفة بعد أن صحبته العجوز إلى الخارج، كان الأمر يبدو غريبًا عليه، لكنَّه واصل تنفيذ الأوامر ليعرف ما أصابه بالضبط ..

انتهى المَمَر فخرَجا معًا من المبنى إلى بوابة الخروج، لم يستطع "**شاهين**" تمييز أيّ علامة من المباني المحيطَة بالدار!

همهم "**شاهين**" :

"منذ متى يتم بناء دار رعاية للمُسنين في الصحراء؟!"

قاطعته العجوز:

نحن هنا على أطراف المدينة لا أكثَر يا "**شاهين**".

ضحك "**شاهين**" بسخرية:

لن أكذبكِ. كل شيء هنا كاذب من الأساس .

وقفت العجوز لثوانٍ :

أنتَ مثير للشفقة!



و أنتِ تجيدين التمثيل ؛ بـالمناسبة بَلِّغي خبير التجميل تحياتي، فـلقَد أجـاد صُنع فتـاة عشرينية العمر من امرأةٍ عجوز .

ردت العجوز:

يبدو أنكَ فقدت عقلكَ لـلتو!

احتدت بينهـم المناقشـة حتـى وصَلـا إلـى البوابـة. كانـت "**سام**" فـي انتظارهـم و مـن ثـم عـادت العجـوز إلـى المبنـى ..

وقـف "**شـاهين**" أمـام السـيارة التـي لـم يسـتطع قـراءة اسـمها، فتحـت "**سـام**" البـاب بـ ابتسـامةٍ بسـيطة وهـى تقـول:

تفضَل يا أستاذي ..

جلست بـجواره و انطلق السائق ..

ساد الصمت لـلحظات ثم سألها:

دكتور! أنا لم أفهم حتى الآن ما حدث ليلة البارحة!

من فضلك "**شاهين**" أخبرني أنتَ ماذا حدث بـالضبط؟ بـالمناسبة أنتَ في غيبوبـةٍ تامة منذ ثلاثة أسابيع على الأقل!

ماذا تقصدين؟!

أنتَ تفهم ما أقصده سيدي!

"سـام"! أرجـوكِ أنـهِ هـذه اللعبة السخيفة، منذ الصباح و أنا لا أفهم شيئًا مطلَقـاً! أُنـاس غريبـي الأطوار، عيادة لـدار مُسِنِّين! كفاكم مزاح .!

قال ذلك "**شاهين**" وهو في حالة ثورةٍ وغَضب ..

عانقته "سام" وهي تقول مُجددًا:

اهدأ يا عجوزي.. اهدأ!

و كُفَّ عن مناداتي بالعجوز، أنا أكبر مِنكِ بعامٍ أو بأكثر!

رَبَتَت "سام" على كتفه وهي تضحك:

حسنًا. اهدأ يا صغيري! سنذهب لـ احتساء القَهوة ومن ثَم نتحدث قليلًا عَمَّا حدث..

عاد الصمت يسود المكان مُجددًا، كانت الأفكار والأسئلة تتصارع في عقل "شاهين"، لم يجد أيّ إجابة لما يدور في رأسه من أسئلة، فنظر إلى النافذة، و واصل مشاهدة المدينة؛ حتى وقفت السيارة أمام مقهى شعبي يُدعى "فيتا"..

دخلت "سام" و "شاهين" المقهى. كانت الأجواء أكثَر غرابة فالشمس تسيطر على المكان بـ أكمله، أركان المكان عشوائية بشكلٍ غير مفهوم!

ففي البِداية يجلس أطفال يتناولون رقائق الحبوب، مراهقون يشربون التبغ، و في المنتصف رُكن خاص بالعشاق مع مجموعة من النساء يتسامرون بخبث، بجوارهم بعض الرجال يلعبون القمار!

في الركن الأخير كان يجلس "شاهين" و "سام". تأمل "شاهين" الوجوه. لا يزال متأكدًا أن ثَمَّةَ أشياء غير مألوفَة تحدث..

نظر إلى "سام" ليجدها تُدخن بشراهة. ساد الصمت طويلًا حتى قاطعته النادلة:

تحت أمركم!



قهوة لافاتسا من فضلك!

أكدت **"سام"** على طلب فنجان آخر لها، اختلس **"شاهين"** لفافةً من علبة **"سام"** ثم قال وهو يُشعل سيجارته:

دكتورا! أنا لا أستوعب أيّ شيء منذ الصباح، من فضلك أريد أن أعرِف كل ما حدث منذ ليلة البارحة حتى هذه اللحظة!

بهدوءٍ تام قالت:

ما الشيء الذي لا تفهمه بالضبط؟

كنتَ في غيبوبةٍ تامة حتى ظن البعض أنكَ مِتَ لكن النبض كان يعمل بشكلٍ طبيعي، ونتيجةَ فحص المخ أثبِتت أن هناك خلل ما حدث لك، لم نفهم بالضبط ما حدث فالفحص لم يستطع تحديد المشكلة ..

تمزحين!

أنا لا أمزح معك!

بحزمٍ ردت "سام"، ثم واصلت:

حاولنا خلال هذه المدة جمع المعلومات عنك، كما قُلتُ لكَ مُسبقاً الأمر لم يكُن سهلاً علينا، لكن في النهاية عثرنا على بعض المعلومات التي تخصكَ ..

ساد الصمتُ للحظات..

"يبدو الأمر جديًا!"

همهمها في نفسه..



كان مُتوترًا بعض الشيء، بدأ صراع من الأفكار يدور مرة أُخرى لكنّه لم يكُن يملك إلّا الاستماع لها في النهاية..

دون أن تنتظر أيّ رد على كلماتها أخرجت "**سام**" من حقيبتها شريحتين مُزَوَدتا بسلك صغير تُشبه السماعات النَّقالة، ثم وضعتها على رأسها. سألها "**شاهين**":

ما هذا ؟!

ردت "**سام**" بِتعجب

ذاكرة إضافية!

لا أفهم!!

أووه أنا آسفة. كهذه الذاكرة كانوا يستخدمونها قديمًا يا عجوزي في الهاتف المحمول..

لم يفهم "**شاهين**" ما تقصده بالضبط، ألتزم الصمت من جديد فواصلت "**سام**" وضع الشريحتين ثم قالت:

الآن سيُعرض أمامكَ التقرير الأول الخاص بك، كل هذه المعلومات ما هي إلا بطاقَتكَ التعريفية ..

قاطَعها "**شاهين**" :

أين ستُعرض ؟!

هنا أمامكَ الآن عبر الموجات الهوائية .

بالفعل في جزءٍ أقَل من الثانية ظهرت اللوحة الضوئية، وبدأ التقرير يُعرض أمامه ببطء:



. الاسم: ديفيد شاهين

. العُمر: خمسة وخمسين عامًا

. الجنسية: إيطاليا_البندقية

. المهنة: كاتب_ سيناريست

. الحالة الاجتماعية: أعزب

. مكان العثور: شاطئ جزيرة مالطا

و بالأخير عُرضت صورة رجل في خمسينات العمر..

ما إن انتهى التقرير حتى انفجر "**شاهين**" ضاحكًا بسخرية:

إنَّه حقًا يُشبهني بشكلٍ كبير، يبدو وكأنَّه أنا في المستقبل!

ثم إن الكتابةَ لم تخرج عن إطارِ الهواية!

واصل بخبث:

ثم لن أكون بهذه الملامح البائسة عندما أصل لهذا العُمر!

نظرت له "**سام**" نظرةَ يملأها الشفقة وقالت:

إنه حقاً يُشبهكَ يا عجوزي، حتى أنه أنتَ!

ضرب بكفيه على الطاولة ثم انفجر في وجه "**سام**" قائلاً:

اسمعي أيتها الحمقاء، هذه اللعبة السخيفَة لابد أن تنتهي الآن، أقسم لكِ سأقتلكِ!

المثير للدهشة أن و رغم ثَورة "**شاهين**" إلا أن الناس من حولهِم لم يلحظوا هذه الثَورة!

بهدوءٍ وثَباتٍ انفعالي، وهي تُشير بـ إصبعها قالت:

اذهب إلى الحمّامِ لتشاهد بنفسك!

اتجه "**شاهين**" مباشرة إلى الحمَّام ؛ فجأة ظهرت صورته في المِرآة..

"كيف لم ألحظ التجاعيد التي تملأ يدي؟ كيف لم ألحظ حركتي البطيئة؟"

ظل يتحسس وجهه في حضور معركة من الأسئلة، و هو يُحدّث نفسه و ينظر لها بـ استغراب:

«**مَن هذا؟ مَن أنتَ؟ كيف حدث ذلك؟ أنا! أنا «شاهين»**! ماذا حدث ما الذي أتى بي إلى هنا؟ إلـهي إلـهي أنقذني! أين أنا ؟ كم عُمري؟ ماذا حدث ؟ أين «**لورين**»؟ بروف؟ باولو؟ أصدقائي؟ جامعتي؟ منزلي؟ البندقية؟ ماذا حدث؟»

دخل في نوبة بُكاءٍ وصراخ عنيفة، ثم انتهى به الأمر إلى الارتِطامِ أرضًا.!



الفصل الثالث

ـ سَيِّد «**شاهين**»! هل تسمعني جيدًا؟!

كان «**شاهين**» قَد استيقظَ لـلتو على سؤال أحدٍ يقبع في نفسِ الغرفة الخاصة بِه، لم يكُن في حالة تسمح له بـالتحدث فـأَطرافه كانت تؤلمه بـشكلٍ كبيـر مع رأسه الذي ارتطَم بـالأرضِ ..

سأله مرة أُخرى دكتور»ألبا» مدير قِسم الأمراض النفسية والعصبية. كانـت هيئة دكتور»ألبا» يبدو عليها الوقار بـشكلٍ كبيـر، لـم يتابع «**ألبا**» الحالـة من البداية حتى لجأَتْ إليه «**سام**» بعد عرض التقرير الأول..

أَسمعك..

جاوب «**شاهين**».

سيدي! كم عُمرك؟

بـسخرية ممزوجة بـالألِم رد:

خمسة وعشرون عامًا .

في أي شهرٍ نحن ؟

بـعصبيةٍ ينقصها الصوت العالي قال:

ـ هل تسخر منِّي ؟



سيدي! اهدأ وحاول أن تساعدني..

تنهد «**شاهين**» :

أظن أننا في «**كانون الثاني**»!

سمعتُ أنك تتابع مباريات كرة القدم! هل تتذكر آخر نهائي حضرته من المدرجات؟

ألم تشاهد النهائي الشهير بين «**نابولي**» و «**ريال مدريد**» ؟

حدِّثني عنه أكثَر من فضلك!!

منذُ شهر تقريبًا كنت في «**نهائي دوري أبطال أوروبا**» ، بالتأكيد شاهدت هذه المباراة! لقد كانت «**إيطاليا**» على قدم وساق، في الأخيرِ هزمناهم في عقرِ دارهم، ربما هذا كان الحدث الأعظَم في «**٢٠٢٥**»!

سرح «**شاهين**» بخياله و واصل:

لقَد كانت ليلة الثأر والانتقام بكلِ تفاصيلها ؛ سادت غيمة من الحزن على الجميعِ ما إن تقدم علينا «**الأسبان**» بعد نصف الساعة من عُمرِ المُباراة بهدَفين، ظن الجميع أن المباراة انتهت حتى عاد الأبطال في الدقيقة الخامسة والستين و أحرز الشاب «**كاليتو**» الهدف الأول، واصلنا الضغط حتى أَحرز نفس اللاعب في الدقيقة الثمانين هدفًا آخرًا، و قبل أن تنتهي المباراة أحرز لاعب «**الأسبان**» هدفًا في مرماه، أتذكر هتافات المشجعين والكرنفال العظيم الذي أقامته الجماهير استقبالا للأبطال!

قاطَعه «**ألبا**»:

نعم نعم أتذكر هذا الاحتفال جيدًا، كنت هناك و وقتها غنينا «**نحارِب**



لا نلعب، نملك أبطالاً حقيقيين، أهلاً أهلاً بالمحارِبين»..

دندن الاثنان معًا الأغنية بعفوية حتى أوقَف الدكتور الغناء وقال:

لكن كان ذلك قَبل ثلاثين عامًا على الأقَل يا سيدي!

بـ اندِهاشٍ انزعج «**شاهين**» :

قلتُ لكَ منذ ثلاثين يومًا تقريبًا!

حاول دكتور»ألبا» تدارك الأمر، بـمودّة مُعتادة من الأطباء، قال وهو ينظر إليه:

سيدي! سأعود لكَ بعد ساعةٍ من الآن، خلال هذه الساعة ستقدم لكَ إحداهن وجبة الإفطار، حاوِل أن تستمتع.. إلى اللقاء!

خرج «**ألبا**» بـهدوء تام تاركًا «**شاهين**» في عمقِ الأسئلة والذكريات يحاول تَذكر كل الأحداث التي جرت معه..

الطفولة، الكنيسة، الدراسة، علاقاته النسائية، الكتابة و «**لورين**»!

حتى الآن لم يستوعب كل الأدلة التي حدثت أمامه ولا يزال يُشكك في حقيقة كل شيء..

تنهد وبدأ في محاولة طائشة لـاستعادة الذكريات...

«شُباط ٢٠١٥»

نهض من نَومه مفزوعًا من صراخ والدته «**جولفيا**»، كانت عائدةً لـلتو من عملها فوجدت والده «**ديفيد بيجاتو**» في أَحضان إحداهنّ!

لم يفهم نصف كلمات أُمّه عن الخيانة والحب لكنّه استوعب أن هناك



خطَأ ما حدث من والده، وقف بينهم مذعورًا، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها أُمه بهذه الثورة، وللمرة الأُولى يشاهد والده بهذا الهدوء! الأمر كان أشبَه بالحصة المدرسية والعقاب المدرسيّ بين تلميذ وأُستاذه، كانت كلمات أُمه قاسية جدًا. تمامًا كشعورِها حينما شاهدته بين أحضان أُخرى..

في الختام خرج الأبُ من المنزل دون أن ينطق حرفًا واحدًا بعد أن أمرته «**جولفيا**» بالرحيل الأبدي. عادت الأم لغرفتها باكية، لم يترجاها «**بيجاتو**» للبقاء أو حتى لعقد مناقَشةٍ لإنهاء الخلاف بشكلٍ أفضل، كان «**شاهين**» يعرِف أن والده رجل قويّ لا أحد يقدر على هزيمته لكن في هذا الموقف لم يجرؤ حتى على الدفاع عن نفسه!

اقتحم «**شاهين**» غرفةَ والدته فوجدها منهارةً في البكاء..

متى سيعود أبي ؟

لن يعود أبدًا، لقد رحل للأبد..

ألَم تخبريني يومًا أن لا أحد يرحل للأبد! حتى الذين يختارهم الله و يأخذهم إلَيه سنلتقي بهم مجددًا في السماء!

سنلتقي بكل الذين فارقونا رغمًا عنا، لكن لن يجمعنا القدر بـ أولَئك الذين اختاروا الرحيل طريقاً لهم..

لكن أبي لم يرحل برغبته، أنتِ مَن طالبتِ بذَلك!

أحيانًا لا نحتاج لنسمع مثل هذه الكلمة، قد تقوم أفعاله بهذا الأمر!

لم يفهم وقتها ما كانت تقصده والدته بالضبط، لكنّه فهم أن والده لن يعود أبدًا.. مثَل هذه الحالات يصعب على الأطفال تقبلها حتى «**شاهين**»

لم يتقبلها، لكن وقتها، و رغم عدم رِضاه بالأمر، إلا أنه أدرك أن الرحيل قد لا يحتاج للكلمات، فقد تقوم الأفعال بهذا الأمر و ربما أكثَر كفاءة وصدقاً من الكلمات..

عاد إلى غرفته حزِينًا على رحيل أبوه و مُشككًا في كلمات أُمه.

«شباط ٢٠١٦»

رن الهاتف..

والدكَ في انتظَارِكَ بالأسفَل، إلى اللقاء!

لم يمُر إلا عام على الرحيل الأبديّ لـ «**بيجاتو**» حتى عاد اسمه مُجددًا حينما اتصلت به «**جولفيا**» و أخبرته أن «**بيجاتو**» ينتظره بالأسفل..

بسرعة ولهفة ارتدى «**شاهين**» ملابسه، و نزل إلى الشارع، كان «**بيجاتو**» ينتظره، تعانقا، لا يزال يتذكر ذلك العناق الذي يشمل الحب والمودة والاشتياق وهزِيمة الانتظار، كان يشتاق لوالده لكنه كان يشعر أن عودته ما هي إلا لإرضاء ظنونه وتكريمًا من القدرِ على انتظاره للقاءٍ آخر...

خلال عام غياب «**بيجاتو**» لم تحدث تغييرات كثيرة في حياة «**شاهين**» كان يذهب للمدرسة ومن ثم يعود إلى المنزِل حتى تعود «**جولفيا**» من العمل وهكذا، في الواقع لم يختلف سياق يومه عما كان قبل رحيل والده..

ـ أبي! هل اتخذتَ الرحيل طريقًا لكَ؟!

في الطريق إلى المطعم كان «**شاهين**» يفكر وقتها في الحدث الأهم خلال غياب والده، تذكر ذلكَ اليوم الذي سمع مُعلمته تقول:



«إن القَدر قد يجمعنا بمن ظننا أن لن نجتمع به أبدًا».

وقف و اعترض على رأيها، و دارت المناقشة بينهم.

قال :

«إننا لن نلتقي بمَن اتخذ الرحيل طريقاً له».

ضحكتْ وقتها تقديرًا لعفويته لتنهي المناقشة قبل أن تبدأ ..

ـ لم أسلكه بـ إرادتي يا «**شاهين**»، لكن هو من أجبرني على ذلك، اسمع يا بُنيَّ قد تجبرنا الحياة أحياناً على سلك طريق لا نرغب فيه، إياكَ أن تظن أن حتى أبشع الناس راضٍ عما يحدث له، لكن حتى الرغبة قد تصبح أضعف من مواجهة الحياة، أنا مُذنب في حقِ والدتك لكنها مذنبة في حقِ كل شيء، لطالما حاولتُ أن أُحذرها من فجوة قد تحدث بيننا لَكنها لم تفهم.. أقولُ لكَ اعتنِ بها جيدًا لأنها تستحق الحب.

لماذا إذن حدث الخلاف؟ لقد أخبرتني أن الزواج القَائم على الحب لا ينتهي أبدًا!

الحب شرط أساسي في نجاحِ العلاقات، لكن ثَمَّة تفاصيل لا غِنى عنها أيضًا، أحيانًا قد نحتاج لمَن يفهمنا أكثر مما يحبنا، يتعامل معنا بمودةٍ من أجلِ المودة لا من أجل الواجب، أن نشعر بالأمان والراحة في حضوره، يحافظ على مشاعرنا ويحترِم آرائنا ويقدرها، ذلكَ قد لا يوفره الحب لك.

تنهد «**شاهين**» بعد رِحلته القَصيرة في عالم الذكريات، لم يلاحظ دخول العجوز إلى غرفته، كذلك هي لم تُعِر لوجوده أيّ اهتمام، كانت مشغولةً بتنظيف الغرفة، وقبل أن ترحل استدارت وقالت:

أول خطوة لـحل مشكلةٍ ما هو الاعتراف بها .

ما أن خرجت حتى عاد دكتور»ألبا» لكن هذه المرة كان بـرفقة «**سام**»..

ـ سيِّد «**شاهين**»! هل أنتَ مستعد لـسماعِ حديثٍ قد لا يروق لكَ؟

سأله «**ألبا**» وهو يُعطيه لفافة تبغ كوبي..

بـهزيمةٍ ردَّ «**شاهين**» :

ـ مستعد..

سيدي! حسب التقارير والفحوصات اكتشفنا أنكَ تُعاني من اضطراباتٍ نفسية وعصبِية. في البداية كنا نظن أنكَ تُعاني مِن «**الزهايمر**» نتيجةً لـلظروف المحيطَة بكَ أو بحُكم كِبَرِ سِنّكَ، لكن كانت توجد حلقات مفقودة، فـهناك في أسفل جُمجُمتكَ علامتين بارزتين، الأولى كدمةٌ قديمة، والثانية كدمة يبدو أنها من وقتٍ قَريب، يمكن القَول بـأن الكدمةَ الأولى تسببت في حدوث خللٍ ما بالذاكرة، بينما الثانية هي التي تسببت في «**الزهايمر**»، ربما لـذلك لا تتذكر الأحداث التي جرت لك بين الحادثَتين، الأمانةُ الطبِية تحتم عليّ أن أقول لـك أنـك كنت مصاب أيضًا بـ ـ «**الشيزوفرينيا**» ، هذا أمر آخر معقد ويُفقدنا حلقة جديدة في رِحلَة علاجك، بـبساطة أنتَ بلا ذاكرة وبِـلا شخصِية حقيقية يمكننا من خلالها معرفة طريقة مناسبة لـشفائك، أنت فقط مَن سيتكفل بـهذا الأمرِ يا «**شاهين**».

ساد الصمت طويلاً..

كان «**شاهين**» يُفَكر فيما قاله الدكتور» ألبا»، كلماته كانت كـالصاعقة التي ضربت رضيعًا يبكي رغمًا عنه، سقطت دمعة مِن عينيه؛ تُؤلمنا الحقائق



حتى لو كنا في أمَسّ الحاجة إليها..

قَاوم وقَاوم وقَاوم، ثـم في النهايـة سـقط، كان مُتأكـدًا مِـن أن هناك خلل ما قد حدث وبـالفِعل تأكـدت ظنونه..

غدًا سنبدأ أولى جلسات العلاج.

خـرج دكتور» ألبـا» مِـن الغرفـة بينمـا ظلـت «**سـام**» جالسـةً على حافـة السرير، لـم ينطـق «**شـاهين**» بـل واصـل صمتـه وهـو يحـاول أن يُخبـئ مدامعه حتى قاطعتـه «**سـام**» :

أنا أحسدكَ عما حدث لكَ!

لم يبالِ «**شاهين**» بـكلماتها كأنه لم يسمع مِن الأساس..

نامت «**سام**» على الأرضِ وهي تُشعل سيجارتها ثم واصلت:

هـل تعـرِف يـا عجـوزي!! في وقـتٍ مـا تُلقـي بنـا الحيـاة ثِقَـلاً أكثـر مـن قدرتنـا علـى التحمُّـل، تقطـف كل الأزهـار التـي زرعتهـا فـي حياتـك وتُحـوِّل عيـدان الريحـان إلى صبـار، تُشـوِّه كل الأشـياء الجميلـة بـداخلك وتُلوِّن كل الخطـوط البيضـاء فـي حياتـك بـلون أسـود داكـن.. فـي وقـتٍ مـا ينهـار كل شـيء حولـك، الأحـلام التـي شـيدتها، الأمنيـات العالقَـة التـي لطالمـا دعـوت الله أن يُحققهـا، ويتسـلل الفقـدان فـي وجـدان علاقاتـك فـتفقد شـخصًا تِلـو الآخـر حتـى تفقدهـم جميعًـا، ومـع مـرور الوقـت تكتشـف أنـكَ وحيـد، وحيـد جـدًا أكثَـر ممـا يجـب، لا أحـد يرافقـك فنجـان قَهوتـكَ، لا أحـد يهتـم بمـا يحـدث لـك طوال اليوم، ولا أحد يسـتمع لـصراخك بعد منتصف الليل، ولا يد تنهض بـكَ إن تعثـرت، تجبِـركَ الحيـاة علـى الوحـدة فتتهـاوى بيـن حطامـك وذكرياتـك وتـدور معـارك قاتلـة بـداخلكَ، تُنـادي وتصـرخ عسـى أحـدًا يسـمع وينتشـلك مِـن



هذه الغيمة، تُحاول وتُحاول، تتأرجح وتتمايل، في النهاية تشعر وكأنك في كهفٍ بباطن الأرض لا أحد يسمعك ولم يلاحظ أحد غيابك، هنا فقط تتمنى أن تسقط، أن تُعلن استسلامك أمام قُبح الحياة، تنتهكك بل تحطمك تمامًا، ثم تسلب منك حق السقوط، فيتحول السقوط والاستسلام إلى رفاهية أنت حتى لا تملكها، فتواصل الحياة رغمًا عنك، تواصل بشقاءٍ أبديّ لا ينتهي، تتمنى أن تفقد الذاكرة تلك التي تنتصر على النسيان وتهزمك أنتَ، ينبض قلبك ضرباتٍ قاسيةٍ توجعك تجعلك تتمنى لو أن تخرِجه من جسدك، وتسلخه ذلك الذي تسبب لك في كل الأوجاع. في النهاية تقاوم لأنك مُجبر على المقاومة، تحمل حطامكَ العظيم وتُخبِّئ تجاعيد ملامحك ثم تحارب، تحارب من أجل اللاشيء وتقاتل مِن أجل اللاشيء وتنتظر اللاشيء، تدور في معركتها مهزومًا ولا تملك حق الاعتراف بالهزيمة، فكلما سقطت، كلما فرِضت عليك حرب جديدة تُواصلها مِن أجل الهزيمة أيضًا، ألا يُعَد الأمر سخيفًا أن نقاتل لأجل اللاشيء يا «**شاهين**»؟

ألقتْ «**سام**» نظرة أخيرة على «**شاهين**» ، فوجدته غارقًا في النوم، أحيانًا الحزن يدفَعنا للنوم..

تأملتْ ملامحه وهو يتأنَّ في نومه، كانت ملامح «**شاهين**» مختلفة حزينة بطرِيقةٍ مُرعبة، لكن كان شيء ما يجذبها نحوه، تشعر وكأنها التقت به من قبل ولم يكن لقاءً عابرًا بل كان أكثر مِن ذلك، هناك حلقة وصل ما تجمعهم!

تأملت أكثر وبدأت تتحسس وجهه ..

هذا العجوز أعرفه، أعرفه تمامًا، في أيّ مدينة التقينا؟ في مناسبةٍ ما!!



لا أتذكر لكن ما أتذكره أنني التقيت به. بل وجلست معه!

همهمت في نفسها «**سام**».. وتذكرت رِحلتها القاسية من البداية..

ولدت «**سام**» في عام ٢٠٣٠ .كانت تعيش في أسرةٍ مرموقةٍ, والدها رجل أعمال ناجح، ولأسبابٍ لا تعرِفها فجأة انفصل والداها لتأخذ الحياة معها منعطفاً آخر، عاشت مع والدها مدة خمسة عشر عامًا بعد أن اضطرا للمغادرة إلى «**باريس**» ثم انتقلا بعدها إلى «**مالطا**»، مِن هنا اتخذت الحياة منعطفاً جديدًا في حياتها، بين فقدان أصدقائها و أُمها و بلدتها ومِن ثم والدها..

انتشل شعاع الشمس على جدران الغرفة «**سام**» من الغرق مُجددًا في عمقِ الذكرياتِ والحنين، تنهدت وقالت:

هذا العجوز يعرِف عني شيئاً ما!

عانقته ثم خرجت مِن الغرفة.



الفصل الرابع

لا أتوقع أنه سينجح في الأمر!

هكذا رد دكتور «**ألبا**» حين سألته «**سام**» عن توقعه لنسبة نجاح «**شاهين**» في العثور على ذكرياته ..

الليلة الماضية لم تنم «**سام**» بل واصلت التفكير في أمر العجوز، تعصر ذكرياتها لتجد بين أروقتها ذكرى معلقة بهذا الذي لا يذكر مِن حياته إلا خمسة وعشرون عامًا فقط قَضاها بين طفولته، وأعوام المراهقة ومِن ثم الشباب!

ثَمَّةَ أحداث في حياة هذا الرجل تحمل تفاصيل مُخيفة وتروس تدور بشكلٍ غير منتظم، ربما لذلك أُصيب بِـ «**الشيزوفرينيا**» ومِن ثم بِـ «**الزهايمر**» لكن لحظة!

همهمت في نفسها كأنها تتناقش مع شخصٍ آخر..

«**إصابته بـ «الشيزوفرينيا» و «الزهايمر**» يعني أنه عاش بعد الحادثة الأُولى جانبًا بشخصيةٍ وذاكرةٍ جديدة!

كيف عاش إذن؟

كاتب، وسترة لفريقه المفضل مع بنطالٍ ومعطفٍ طويل! هذا ما أعطَته لنا الشرطة مِن معلوماتٍ و ملابسه حينما عثروا عليه مُلقىً على ساحل



الجزيرة، بـالطبع هناك نقطة تلاقي بيـن الحادثة الأولى والثانيـة!

مَن «**لورين**» ؟ هل هي حبيبته؟!

أوووف رأسي!»

تنهدت «**سام**» بانتهاء الصراع بين ظنونها وعادت لـواقعها مِن جديد..

كان «**ألبا**» مشغولاً بِمتابعة أحدث الأخبار.

متى سنبدأ يا دكتور؟

ـ نحن في انتظار»شاهين» .

في الصباح استيقظ «**شاهين**» مُنهكًا تمامًا رغم أنّه لم يبذل مجهودًا يُذكر ليلة أمس إلـا أن التفكير المستمر قَد ينهكنا أكثر مِن الرَّكض لـ أميال..

دخلت السيدة العجوز في هدوءٍ تام و بدأت بـتنظيف الغرفة، كان أمر هذه السيدة يُثير دهشة وفضول «**شاهين**» لقد كانت

العجوز صامتة وعلى شفتيها ابتسامة تقليدية طوال الوقت، تتحدث بـطريقة بطيئة، وعقلانية تبدو كـ جدة حكيمة، رغم أن مظهرها لا يعكس حقيقة ذلك أبدًا..

صَحِبته العجوز إلى الحمام ثم خرجت وهي تقول :

دَع جسدكَ وتفكيركَ للماء..

لـلمرَّة الأولى و قف «**شاهين**» أمام المرآة وهو يُدرك حقيقة ما حدث، يُلامس وجهه المُجَعد ويتنهد، يحاول مداعبة ذكرياته لكن دون جدوى..

بدأ البخار يملأ الحمّام فـسقطَ «**شاهين**» في المَسبَح الصغير و بدأ

التفكير بـالتشخيص الأول لـحالته النفسية والعصبية.. هـو يتذكر تمامًا جلسات علاجه مع أحد الأطباء النفسيين قبل أن يقَرر القَدر نهاية علاقته بـ «**لورين**»، و يتذكر تمامًا الليلة القاسية التي مرَّت عليه بعد أن علم أنه مصاب بـ «**الشيزوفرينيا**»، كان يقول في نفسه :

«أنا أصغر من كل هذه الاضطرابات النفسية»

لكن لم تكن كلماته تشفَع له أمام المرض..

تذكر «**شاهين**» لحظةً أليمةً في حياته، وقتها كان قَد التحق بـ «**كلية الإعلام**» وبدأ تدويناته الإلكترونية، كانت أمه تشاهد نجاحه لكن كان يُقلقها أن «**شاهين**» أصبح نسخةً طِبق الأصل مِن والده، لطالما حاولت أن لا يحدث ذلك، ولكن و رغمًا عنها قَد كان..

خلال الفترة مِن ٢٠١٥ حتى عام ٢٠٢٠ كانت الحياة طبيعية. عاد والده لـلحياة مع أُمّه بعد انفصال دام عامين، لم تكن العودة هي الخيار الأفضل، لكنهم ظنّوا أن العودة أفضل على الأقل لـ «**شاهين**»، علاقتهم كانت باردةً جدًا أقرب إلى علاقة عمل لا علاقة زوجية، شعر «**شاهين**» بـهذه الفَجوة لكنَّه لم يُبد اعتراضه حتى، فقط كان يؤمن أن وجوديهما معًا أفضل من أن يعيش كل منهم حياة مختلفة..

في «**كانون الثاني ٢٠٢٠**»

كانت ليلة باردة أكثر من كل الليالي، كان بـرفقَة صديقه الذي لازال يتذكره «**باولو**». فجأة رن الهاتف، كان الاتصال من والده يُخبره بـتدهور الحالة الصحية لـ أُمه!

عاد سريعًا إلى المنزل فوجد والده يجلس بـجوار سريرها و على ملامحه



علامات الحزن، كانت المرة الأولى التي يرى ملامح الحزن على وجه أبيه، كان يداعب خصلات شعرها ويتحدث معها بهدوء، مثل هذه المشاعر الدافئة التي لم يراها تحدث بينهم أبدًا، ربما ولدت لحظة احتضارها!

اقترب منها, كعادتها تصفَع وجهه ما إن تراه قائلة:

أهلاً يا دونجوان عصركَ

لسببٍ أو دون سبب، وكعادته يبتسم لها ثم يُقَبل يدها، هذه المرة كانت ضربتها أقل ألمًا على وجهه لكنها كانت الأقسى والأعنف في قَلبِه، هنا تأكد أن ملك الموت يعبث بساعته مُنتظرًا الأمر الإلهي خلال دقائق..

قبّلها على جبينها فتأكدت ظنونه، كانت حرارتها منخفضةً جدًا كـ لوح من الثلج، وكـ طفلاً يبحث عن الدِّفء في هذا اللوح قَارص البرودة كان هو ..

خرجَ أبيه من الغرفة ليتركه مع أُمّه، كانت أُمّه تحاول التصرف بـ اعتيادية بالغةٍ، تحاول الضحك والحديث معًا، لكن الألم كان أقوى من إرادتها ؛ اقترب مِنها وبدأ يتدلل عليها..

مازلتِ جميلة يا أُمي.. هيّا انهضي فـ أنا متأخر على موعدٍ مع إحدى الفاتنات!

ضحكت أُمّه رغمًا عن تنهيدات التعب التي كانت تسكنها ثم قالت:

أنتَ لستَ إلا كاتب متلون يعرف كيف يستخدم كلمات الحُب لجذب النساء حوله، تمامًا مثل والدك ذلك الوغد الوسيم الذي كان يستخدم وسامته لجذبِهم أيضًا، أوغاد! أنا في منزلٍ مِن الأوغاد!

ضحك لها ثم نام على صدرِها وهو يقول بالغرور الذي لطالما اتهمته به :

أنا لا أفعل ما يجذبهنّ يا أمي، وحدي أملكُ كل الجاذبية التي تجعلهنّ يقَعن في غرامي منذُ اللحظة الأُولى.

ضربته على وجهِه مرّة أُخرى ثم قالت:

مغرور، مغرور يا «**شاهين**»، و لا أفهم سِرَ تعلُقِ النساء بكَ! ولكن لو أنني قابلتكَ في شبابي ما لاحظتُ وجودك مِن الأساس..

واصلت العجوز وهي تُداعب خصلات شعرِه للمرة الأخيرة :

اسمع يا «**شاهين**»..للزواج اعتبارات وأهداف مختلفة وللحياة الزوجية طقوس مُعينة وللحياة العاطفيّة بَعدَ الزواج أُمور أُخرى تختلف تمامًا عمَّا قبل الزواج ؛ إن أردت الزواج فـ إياك أن تخطو هذه الخطوة إلا وأنت على أتم الاستعداد لها، سواء استعدادا نفسيًا أو ماديًا..

إياكَ أن تخطو خطوة تجاه امرأة وفي قلبكَ امرأة أُخرى، أنْ تصبح بين ذراعيكَ امرأة وفي قلبك تنام الأخرى، ذلك الشعور لن يستوعبه الرجل أبدًا، ولن يشعر به إلا المرأة. للخيانة أشكال عِدة لَكن ألعنهم أنْ تخون زوجتكَ وهي نائمة على صدرِكَ أن تتمنى لو أن غيرها مكانها، صدقني ستشعر زوجتك بخيانتكَ لها مهما حاولت إثبات عكس ذلك لن تصدقكَ أبدًا، لا تقترب من امرأة وبداخلكَ امرأة أُخرى. إياكَ يا «**شاهين**» إياكَ، أُقسم لكَ الموت عندها أهون من أن تشعر بهذا الإحساس القاتل..

ثم كُن على علم بـ أن الفقر عند المرأة لا يعني بالضرورة فقر المال، على العكس. ثَمَّةَ فقراء يتمتعون بحياةٍ عاطفيةٍ رائعةٍ ومستقرةٍ لأنهم ببساطَة لا يملكون ما يقدمونه في حياتهم سوى عشقهم، لا يهم إن مررت بـ أيّ تعثر مادي، لو أنكَ تزوجت امرأة تحبك فـ لن تشعر بـ هذه المعاناة أبدًا، فقط قدم



لها الحُب، الحب وحده قد يغنيها عن أموال العالم يا «**شاهين**»، لو أنها شعرت بمحاولاتك لتوفير احتياجاتها المادية لهونت عليكَ كل التعثرات التي قد تَمُر عليكم، ما كان الفقر أبدًا فقر المال. لا أحد يموت مِن الجوع، لكن البعض يفسد قَلبه ببرودة المشاعر ؛ وإياكَ أن تظن أن الـ......

لم تستطع إكمال حديثها معه. كان التعب تشبع مِنها تمامًا، حاول «**شاهين**» أن لا يشعرها بالتعب فقاطَعها بدعابته :

ـ امتحان قدرات الجامعة كانت أسهل مما تطلبينه مني يا أُمي!

ابتسمت والدته ابتسامة باهتة، هنا تأكد أن لحظاتٍ لا غير تفصل الموت عنها!

ظلت تُداعب خصلات شعره، وظَل هو يتابع نبضات قلبها نائمًا على صدرها، كانت أُمّه تتساقط دقيقة بَعدَ الأُخرى في عُمقِ الموت كـ مدينة تُهدم أمام نظر شعبها، وكـ رجل عاجز ينتظر المعجزة الإلهية لينقذها مِن الهدم كانت حالته وقتها، مرت لحظات أسرع مِن مجرى إعصار فتاك وأقوى منه على قلبه..

في الختام طلبت منه الخروج، كانت ترتجف ويسيطر اللون الأزرق على ملامحها وشفتيها، نظر لها للمرَّة الأخيرة، حاول التمالك أمامها لكنّه فشل، عانقَها، ضمَّها على صدره وهي مُستسلمة تمامًا للتعب، ابتسمت له وهي تقول :

ـ يا دُونجوان! ألا تقول دومًا أنّ الرجال لا يبكون!!

هُنا بكى رغمًا عنه ثم خرج مِن الغرفة سريعًا قبل أن يحملها هَمّ ..

هذه الجميلة التي سقَطت دون سابِق إنذار لم يكن مرضها مِن الأساس يستدعي الذهاب إلى المَشفى، هكذا قالت قبل ثلاثِة أيام، وبكبرياءٍ رفضت زيارة الطبيب لها، لطالما كانت تؤمن أن قَضاء الله لا مَفَرَّ منه، رفضت حتى العنايةَ البسيطَة لها، اختلت بنفسها ليعانقها الموت، ذلك الوحيد الذي عانق أهوالاً وأهوالاً مِن البشر، رُبَّما كان هو الوحيد الذي شعرت في حضنه أنّه لم يخنها مِن قَبل!

ماتت أُمّه، هذا ما تأكد منه بَعدَ أن انكمش «**نجارسو**» كلبها الوفي على الأرض وظلَّ يبكي أمام باب غرفتها حتى فتح «**شاهين**» له الباب، قفز تجاهها وظلَّ يلحس وجهِها وهو يبكي. كان يَحكُ أنفَه بوجهِها، هذه الحركة التي لطالما عنَّفَته عليها لم تعنفه عليها هذه المَرَّة، واصل الكلب حركاته المُعتادة فأخذ وشاحًا مِن دولابِها الخاص، ثم قدمه لها. لطالما كانت تكافئه لمساعدته لها، لكن هذه المَرَّة لم تكافئه أيضًا، في النهاية ركع الكلب تحت قَدميها في صمتٍ، و اقتحمت «**شاهين**» نوبة بكاء هيستيرية على عكس أبيه الذي كان مُتماسكًا؛ «**الجَنَّة تحت أقدام الأُمهات**» لكن كان يؤمن أنَّ وحدها أُمّه كانت جَنَّةً تحت أقدامها النساء..

رحلت أُمّه ورحل معها كل ما هو حَيّ بداخله عدا حُبِّه لها.

تنهد «**شاهين**» :

- «**كم أشتاق لَكِ يا أُمّي**»

ارتدى «**شاهين**» ملابسه بَعدَ أن أخبرته العجوز مِن الخارج أنَّ دكتور «**ألبا**» في انتظاره، خرج مِن الحمّام، ومِن ثم اتجه إلى «**ألبا**» و «**سام**» ..

كان الصباح قَد اكتمل بالفعل لكن الحديقة كانت فارغة تمامًا مِن



المرضى؛ جلس «**شاهين**» أمام دكتور «**ألبا**» و بجواره «**سام**» ، لاحظَ الأول أنَّ علامات التعب تظهر على «**سام**»، لاحَظتْ هي أيضًا أنَّه ينظر إليها بـ اهتمام فقدَّمت له لفافة مِن التَّبغ ثم ساد الصمت لـ خمسِ دقائق تقريبًا..

تحدث «**شاهين**» :

ـ دكتور! هناكَ أمر أريد أن أُخبركَ عنه!

هَزَّ دكتور «**ألبا**» رأسه بـ ابتسامةٍ ..

ـ أنا أشعر أنَّني لم أفقد الذاكرة بشكل كامل!

ـ ماذا تعني بالضبط ؟

سألته «**سام**».

ـ أَعني أنه في الحادثة الأُولى لم أفقد الذاكرة بشكلٍ كامل، بل فقدتُ أحداثًا معدودة قد لا تُذكَر مِن الأساس، لكنّي لا أتذكر بالضبط ما حدث بَعدَ ليلة غياب «**لورين**»!

ـ هذا ما أخبرتكَ بِه سيدي!

رَدَّ «**ألبا**» .

ـ لا!

بـ استهجانٍ رَدَّ «**شاهين**» :

أخبرتني بحدوث خلل بالذاكرة في الحادثَة الأُولى، و ذلكَ يعني أنني عِشتُ ما بين الحادثة الأُولى والثانية ما يُقارِب ثلاثين عامًا بـذاكرةٍ وشخصيةٍ جديدة!



قاطَعته «سام» :

أنا ظننتُ هذا أيضًا!

بـحَزمٍ رَدَّ «**ألبا**»:

ما قَصدته بـالضبط أنك في الحادثة الأُولى فقدت جزءًا بسيطًا مِن ذاكرتكَ، بـمعنىً أوضح فقدت شخصية ما بـداخلكَ بـذكرياتها نتيجةً لـ إصابتك القديمة بـ «**الشيزوفرينيا**»، وبدأت حياة واحدة بـشخصٍ واحد، وفي الحادثة الثانية فقدت الشخص الآخر بـذكرياته، بـالتالي أنت في حاجة لـدمجِ الاثنين معًا!

يا لـصعوبة الموقف!

تنهدت «**سام**» ثم سألت «**ألبا**»: إذن ما الحل ؟

أشعل «**ألبا**» سيجارته ونظر إلى «**شاهين**» و واصل:

- ينبغي علينا الاعتراف أن الأمر في غاية الصعوبة، أنتَ في حاجة أولاً لـمعرِفَة سمات هذا العصر الذي نعيشه، لكن لن أسمح لك بـمتابعة الأخبار المحلية والعالمية، ستعرِف كل شيء في الوقت الذي يستدعي لك معرفة المزيد عن الفترة التي نحن عليها الآن، فعليًا أنتَ مَن ستقوم بـكل شيء وما نحن إلا أداة مساعدة لا أكثر، لقد تطوّر العلم بـما يكفي لـ استعادة الذكريات بـذاكرة إضافية، يعني أننا سنضع على رأسك شريحة إضافية وما إن تذهب لـ أيّ مكان له علاقة بـماضيك ستعمل الذاكرة بشكلٍ طبيعي وتُخزن الأحداث التي حدثت لك فيه، دَعني أقول لك إنّ الأمر ليس بـالمُستحيل أبدًا، صعوبته تَكمُن في الأوضاع السياسية لا أكثر..



قاطَعه «شاهين» : ـ إذن ؟!

واصل «ألبا» : ـ أنتَ مِن سكان البندقية أليس كذلكَ ؟!

نعم.

رَدّ بثقة.

مِن الغد ستعود إلى «**روما**» و مِن ثم ستختار أنتَ وجهتك، لا تضع الشريحة إلى بعد أن تصل «**البُندقية**»، ستكون برفقتك «**سام**» ممثلةً عن الدار والعيادة الطبية، سأتابع التقارير بشكلٍ يوميٍ معكِ يا «**سام**»!

هَزّتْ «**سام**» رأسها استجابةً لـ أوامر دكتور «**ألبا**».

نظر «**شاهين**» للاثنين معًا ثم قال بنبرة غضب :

أنا لا أفهم أيّ شيء!

بدأ التوتر يسود الطاولة، لم يكن «**شاهين**» مستعدًا لـخطَة علاج مجهولة الطريق لـهذا الحد، حاولت «**سام**» تهدئته لـكنها فشلت خصوصًا بعد أن اضطُرَّ «**ألبا**» إلى العودة لـ مكتبِه..

اهدأ يا «**شاهين**» ، الأمر لا يستدعي كل هذه الثَّورة!

ربَتَتْ «**سام**» على كتفه ثُمّ عانقته.

كان «**شاهين**» في موقفٍ لا يُحسد عليه أبدًا!

في النهاية عاد "شاهين» إلى غرفته بعد أن رافقته «**سام**» إلى هناك، أعطَت له المُهَدئ؛ لـيغدو في نومٍ عميقٍ حتى صباح الغد، ذلك الذي سيبدأ معه كل شيء .!



الفصل الخامس

في غرفته كانتْ ليلة كئيبة، الظلام يسود والذكريات تنتفض، كل الأشياء بلا معنى خاضعة تمامًا للحزن، الهواء يضرب النوافذ كـ ذئب يحاول الانقضاض على فريسته، الموسيقى تندمج مع آثار حريق الحشيش لـ ترسم في الهواء ذكريات ظن»شاهين« أنَّ النسيان قد تَمَلَّكَ منها، البعض يُدخن الحشيش بـ شراسة؛ لـ يهرب مِن الواقع والحقائق، و البعض الآخر يفعل ذلك لـ يُواجهها ..

جلس «**شاهين**» على مكتبه و مِن ثَمَّ بدأ في الكتابة بـ أيدي مُرتعشة..

«**عزيزتي «لايانا»**، أنتظركِ في هذه الليلة القميئة، الحياة لم يعُد لها معنى، فالموسيقى تحولتْ إلى نشاز مزعج، و تحول البحر إلى بِركة مِن الدماء، أصبحتُ أشمَئِز من البشر، تعرفين كم أرفضهم، وتعرفين كم أتشوق لـ أبادتهم، تذكُرين كم ليلة قضيناها هنا في «**باريس**» نسكر و نلعن البشر! مازلتُ أشتاق لـ»باريس» و مازلت أتشوق و لو لـساعة أقضِها معكِ هناك، وأنتظر على أحر من الجَمر اتصالكِ بي، أنتظرك رغم المسافات التي تبعدني عنكِ، رغم ظنونكِ أنّي لم أحبكِ من الأساس، رغم خذلاني لكِ ورغم تصرفاتي الحمقاء التي جعلتكِ تبتعدين عني، أنتظركِ ولا أعلم سبب انتظاري لكِ سوى أنني، و دون سبب أشعر بضيقٍ حولي، ربما كان وجودكِ أعمق من فتاة أحببتها، بل كنتِ ملجأ ومَنفذًا إلى عالم آخر، عالم لا يعرف



الأقنعة، لا يعرف الكذب، لا يعرف الخداع، عالم من الحب لا الحرب..

رغم انقطاع الوصل بيننا و رغم استحالة عودتنا إلا أنني أنتظركِ، كـ طفلٍ يجلس بجوار قبر أمّهِ منتظرًا عودتها أنتظركِ، و كـ أُمّه أنتِ لن تعودي أبدًا .»

قاطعه عن الكتابة صورة أُمّه التي ظهرت أمامه، كانت تنظر له من رُكن بعيد في الغرفة، أنفزع «شاهين» ثم ضحك بهستيرية، و هو يُهمهم :

«**الحشيش يجلب لنا الذكريات و أصحابها أيضًا**»!

واصل الكتابة بعد أن اقتنع أن الصورة ما هي إلا من آثار الحشيش، فجأة سمع صوت يهمس في أذنه :

«**لن تنعم أبدًا في حياتك يا** «شاهين» لن تنعم ، الشقاء لك كل الشقاء الأبدي لك وحدك»..

صباح الخير سيد «**شاهين**»!

كعادتها السيدة العجوز هي أول من تدخل غرفة «**شاهين**» لتنظيفها.

أين أُمّي؟

سألها «**شاهين**» ..

بـ سخرية ردت :

ـ بالتأكيد ليست هنا!

لماذا الشقاء الأبدي؟

ردت العجوز و هي ترتب الغرفة :



انهض أيّها العجوز لقد انتهى الحلم ، هيّا «**سام**» و «**ألبا**» في انتظارك..

استعاد «**شاهين**» جلسته ثم أسند ظهره إلى السرير و هو يتألم من أوجاع مفاصله ويتثاءب:

تقصدين كابوس!

ردت :

ـ لا حتى أبشع الأحلام لا يمكن وصفها بـ الكابوس، فـ مهما كانت بشاعتها و قسوتها، في النهاية تنتهي ما إن ننهض من السرير هذه الرفاهية لا نملكها في أرض الواقع، الواقع هو الكابوس الحقيقي يا عجوزي.

فيلسوفة أنتِ!

بـ سخرية ردت :

«**سيزيف**» أنتَ! هذا ما قالته لكَ أُمّك في الحلم!



كان رد العجوز قاسٍ على «**شاهين**» ، أجبره على الصمت.

يمكن القول أنّ «**شاهين**» ما هو إلّا نسخة واقعية من الأسطورة الإغريقية ذلك الذي حكمت عليه الآلهة بـ حمل حجر عظيم على ظهره إلى أعلى الجبل، وقبل وصوله للقمة يسقط الحجر فيعود «**سيزيف**» مرة أُخرى لـ حمله من جديد، و هكذا إلى ما لانهاية..

في الحياة ثَمّة أشخاص يُشبهون «**سيزيف**» بطريقة أو بـأُخرى، فـهُم أولئك الذين لا حظ لهم في الحياة، في الحب، في النجاح!



كلما اتخذوا خطوة للأمام حتى سقطوا مرة أُخرى في عمق الخيبات، الفراق، الخذلان، الهزيمة، الانكسار، الوجع...

تعددت المُسَمَّيات، و يبقى الألم واحد، يتجدد بشكل مستمر، فهُم لا يملكون إلا الخضوع التام له دون أيّ فرصة للنجاة و للشفاء منه..

كلنا «**سيزيف**» لولا الحب.

قالتها العجوز ثم خرجت من الغرفة بعد أنْ أعدَّت حقيبة السفر لـ «**شاهين**» و أخبرته بـ موعد الطائرة.

على الجانب الآخر كانت «**سام**» تستعد لـ رحلتها الطويلة مع «**شاهين**» ، كانت تعلم أنَّ هذه الرحلة لنْ تمر مرور الكِرام أبدًا، الأمر ربما كان أكثر مِن مجرد رحلة علاجية لحالة مَرَضيَّة!

مُنذ اللحظة الأولى التي تأملَتْ ملامح العجوز و هي تشعر بشيء مألوف في هذا الرجل!

شيء ما يجبرها على البحث، لا يَهُم عن أيّ شيء تبحث، لكنَّها كانت على يقين أنه بطريقة أو بأُخرى تعرف هذا العجوز، تعرفه عن ظهر قلب!

مِن عاداتها و قبل أنْ تبلغ أيّ رحلة علاجية تتأمل ملامحها في المِرآة و تتحدث إليها، هذه المرة اكتفت بـ التنهيدة، و مِن ثَمَّ اتجهت إلى الدار بـ سيارتها رباعية الدفع..

ليست مِن عادة النساء هنا اقتناء مِثل هذه السيارات، لكن لـ «**سام**» نظرية تقول:

«**المُقتنيات القوية لا يُحبها إلا الأقوياء و هذه أنا**»..



في الطريق كان صباحًا مشرقًا دافئ، أجمل ما يُميز جزيرة «**مالطا**» هو الهدوء الذي لازالت محتفظة به رغم تغيُّر كل شيء..

وصلتْ «**سام**» إلى الدار، كان في انتظارها دكتور «**ألبا**» ، اتخذا الممر الرئيسي و مِنْ ثَمَّ إلى الحديقة..

ـ تبدين متوترة يا «**سام**»!

ـ لا أنا على ما يُرام.

أجابت «**سام**».

ـ هل تحتاجين معلومات أكثر عن «**البندقية**»؟

لا لديَّ ما يكفي مِن المعلومات، ثُم إنني أعرفها جيدًا .

اكتفى «**ألبا**» بـ هَزِّ رأسه، فهمهمت بـ صوتٍ مسموع :

و أعرف «**شاهين**» أيضًا عن ظهر قلب..

الحياة لا تعرف التوقف عند الجميع إلا أنا .

أجابتْ «**سام**» حين سألها «**شاهين**» عن حياتها .

كان سؤاله ما هو إلّا قطع لـ انتظارهم بعدما تأخرتْ الطائرة عن الإقلاع لـ أسباب ميكانيكية..

بكلماته و إجابة «**سام**» ساد صمت طويل مرة أخرى، كان في نفسه يتمنى لو أنّه عارضها على رأيها!

كان يتمنى أنْ يحكي لها عن السقوط الذي يخلق النجاح، عن الضعف الذي ينفجر قوة بـضعفه، و عن النضوج مِن رحم الوجع، يتمنى لو أنّه يعرف



أكثر مِن الفقدان والألم لـيُحدثها عنه!

الأمل، الحياة، الحب، تلك الأشياء يسمعها مِن أُمّه، هذه النظرة الوردية التي كان يؤمن بها حتى الصغر، و مباني الأمل التي على سفح الحطام، لكنّه كان يجهل كل هذا، يسمع عنهم لكنّه لا يراهم، كان يؤمن بهم إيمانًا تامًا دون شك كـ الآلهة والجنة والجحيم..

لكن، و كيف لـلسجين أنْ يروي قصته مع الحرية، و هو لم يمارسها..؟!

و هو حبيس أربعة جدران طوال حياته!!

و ماذا يعرف الكفيف عن ألوان الكوكب!! عن النجوم اللامعة في ليلة الميلاد لـ يحكي لـ أولاده!!

هكذا كان، لم يشاهد مِن الحياة إلا سنواتٍ عِدَة لكنها لم تقدم له إلا البؤس و الحزن بدايةً مِن رحيل أُمّه التي توقف الدِّفء عندها، حتى رحيل «**لورين**» التي توقفت ذاكرته عندها..

المُثير للدهشة أنَّ حتى وبعد معرفة حالته النفسية لا يزال يشتاق لها وكأن غيابهم حدث قبل لحظات، منذ أنْ استعاد عافيته و هو يشعر بـ آلام حادة في قلبه كـ سِكين يسلخ قلبه!

كان يعرف أنَّ هذه الآلام ما هي إلا اضطرابات الحنين القاسية هذا الذي لم يفسره رجال الطب في تقريراتهم الطبية، يعرفه الموجوعون خير معرفة، بل يعانون منه في كل ظلام في موقف عابر أو في ذكرى ظَنوا أنّها انتهت، كل الأشياء التي تجعل ألم الحنين مختلفًا عن كل الآلام..

هذه السنوات التي يتذكرها فقط خمسة وعشرون عامًا مِن الوجع



والحزن واليأس حتى السنوات التي لا يتذكرها ربما لن تكن تحمل في جعبتها شيئًا جديدًا ومختلفًا، ربما كل السنوات التي لم يتذكرها ما هي إلا سنوات إضافية من الحزن ومعاناة أخرى مع الألم هذا و إلا ما الذي جاء به إلى هنا.. ؟!

«**إيطاليا**»، «**فينيسيا**» و»البندقية»!

هذا هو التسلسل الأبعد لقلبه. نعم كان يحب «**إيطاليا**» ويحب «**فينيسيا**» لكن لـ «**البندقية**» ذكرياتها و شغفها، هناك وُلد وهناك عاش وهناك انتهى، لكنها مدينته التي شهدت على علاقته بـ «**لورين**»، عن جدرانها التي تعرف أسمائهم وعن جذوع الشجر رسمت عليها «**لورين**» قلوب وعبارات الحب، بالتأكيد دمر الزمن المدينة بذكرياتها بسمائها التي تحفظ دعوات العشاق والموجوعين، بضحكة الأطفال في الأزقة الجانبية, بنميمة النساء في جلساتهم الخاصة، وبما تبقى من علاقته بـ «**لورين**»!

لكن ماذا عن «**بروف**»..؟! ماذا عن كلبه الصغير ماذا حدث له..؟!

و مَن تلك «**لايانا**» التي كان يكتب لها في حلمه، أو كابوسه على حد تعبير العجوز؟!

هيا يا «**شاهين**»!

قالتها «**سام**» بعد أن هزت كتفها. لقد حان وقت الإقلاع و بالتأكيد هذه لحظة فريدة بالنسبة لـ «**سام**»، فبداية البحث تبدأ من «**إيطاليا**»، و بالنسبة لـ «**شاهين**» بداية ولادة جديدة حتى لو كانت على هيئة ذكريات لا يمكن تغييرها ومواقف أتمتها الأيام، لكن على الأقل يعرف عن حياته أكثر، يتذكر الأيام التي عاشها كل هذه الفترة، فربما نجا كلبه الصغير!



و ربما عوضه القدر عن فقدان «**لورين**»!

كل شيء وارد و محتمل غدا عودة أُمه! وبالتأكيد عودة «**لورين**» فهذه الآلام التي يشعر بها تعني أن الحنين لها لم ينتهِ منذ لحظة ولادته!!

«**البندقية**» ١:٣٠ م

بعد ساعة من التحليق في الهواء، هبطت الطائرة على أرض «**البندقية**» ..

كانت الشمس رائعة، ونسمات خفيفة من الهواء تستقبلهم، هذه هي رائحة «**البندقية**» وهذه أجواؤها الدافئة..

خلال الطريق كانت «**سام**» تتابع الأرض من أعلى، لم يكن لديها ذكريات تُذكر مع «**البندقية**»، كل ما تعرفه أنها مدينة وُلدت على أرضها و مِن ثَمَّ انتقلت إلى «**باريس**» ثُمَّ إلى «**مالطا**»، لم يقُص عليها والدها أيّ شيء يربطها بهذه المدينة سوى ذلك، لكنها تتذكر جيدًا أنها جاءت إلى هنا مِن قبل!

ركب الاثنان السيارة التي كانت تنتظرهم، بعد أن خرجا مِن المطار، و اتجها إلى الدار التابع لدار ومركز المُسنين الرئيسي في «**مالطا**»..

ـ لن يطول الطريق إلى الدار.

قالتها «**سام**» بعد أن لاحظت علامات الانتظار على وجه «**شاهين**»..

ـ متي سنبدأ العلاج؟

بحزم سألها.

من الغد.

أجابت «**سام**» فعاد الصمت مجددًا يسود السيارة حتى وصلا إلى

الدار..

استقبلهم عامل لطيف، حَمَل الحقائب الخاصة بهم حتى الغرفة وبعد عبارات ترحيب معتادة خرج منها..

سُرعان ما خلع «**شاهين**» سترته و استسلم لنومٍ عميق, ليس شغفًا به و إنما ليُداعب الغد سريعًا..

كذلك نامت «**سام**» على السرير المجاور له دون أن تحاول النطق بـ أيّ كلمة، كان الغد بمثابَة رحلة مُشوقة للطرفين، حتى لو كان الصمت يسود طريقها، لكنه كان صمتًا يتبعه ثورة و أحداث و ذكريات لا أكثر، بالأخير أغمضت عينيها لتقابل الغد على أتم استعداد.

«يموت الإنسان ثلاث مرات، وتموت الذاكرة ألف مرة»



الفصل السادس

ليلة باردة!

غاب القمر وسط الغيوم، وتصارعت الكلاب مع غيرها من الخصوم، الممر مظلم تمامًا، على جانبيه لوحات مزروعة في الأرض؛ تشير إلى أصحاب هذه الرُقَع، هنا يجتمع الظالم والمظلوم، الغني والفقير، والمؤمن والكافر، هدوء المكان لا يعني صمته، فالمقابر وحدها تثور وتَعُج بالصراخ دون أن يشعر بها أحد. ثَمّة قلوب أيضًا تُشبه المقابر، تتألم و تعاني في صمت!

واصل «**شاهين**» المشي على غير المعتاد تجاه مدفن أُمه، ركع على ركبتيه وهو يتحسس الطوب الحجري ..

«أُمي!

كيف حالك..؟

بالتأكيد أفضل مني!

وما الذي يجعلك لستِ أفضل مني فأنتِ هناك مع الله في السماء، ربما تجلسين الآن عند قدميه و ربما تنعمين الآن في الفردوس!

منذ اللحظة الأولي والأرض ليست المكان المناسب لكِ من الأساس، هذه الرُقعة التي عاقب الله بها «**آدم**» كان لابد أن تُستَثني أنتِ مِن هذا العقاب!

أنا آسف!

آسف جدًا على لحظة أوجعتُ فيها قلبكِ الطيب، وعلى لحظة بحثت فيها عن دفئ خارج ذراعيكِ، وعن لحظة ظننتُ فيها أنكِ موجودة للأبد فـ أهمَلتكِ..

آه يا أُمي لو تعرفين كَمْ أُعاني! كمْ أفتقدكِ و أشتاق لكِ!

كم أشعر بـ اليُتم في غيابكِ! وكمْ صفعتني الحياة مِن بعدكِ!

هذه الحياة التي انتظرت لحظة وداعكِ الأخير لها حتى تنقض على صدري؛ حتى تهز وتُفتفت أركان قلبي، ثَمَّة أحداث ظهرت بعد رحيلك بالتأكيد لو حدثت في وجودكِ لـأوجعت قلبكِ الصغير!

أريد أن أقول لكِ أنّ هناك حقائق يا أُمي كنت أظنها خرافات، أظنها من صنع الأشرار، لكنها لم تكن إلا من صنع الواقع، ذلك الذي ظننتِ أنه وردي وجميل حتى بعد خيانة أبي لكِ كنتِ تؤمنين بها، النُبلاء ليسوا وحدهم مَن يصنعون المجد يا أُمي، يصنعه الكاذبون أيضًا السلطويون وأصحاب النفوذ. هذه الحقيقة التي لم تعترفي بها، رأيتُها وشهدتُ عليها أنا بعد غيابكِ..

البشر لا يعبدون الله إنما يعبدون الآلة، أيّ دين كنتِ تؤمنين به أنتِ وسأقول لكِ جرائمه؟

«**المسيحية**»!! ألَم تُخبريني أن «**يسوع**» كان يرفض الحرب؟

لماذا إذن يقود الصليب جيوشنا؟ لماذا يقتلون الأطفال والعجائز والنساء باسم الصليب؟



لماذا يُرفع الصليب على جثث الأطفال في «**اليمن**» و «**سوريا**»و «**ليبيا**» و «**العراق**» و «**إيران**»؟

ثم ماذا؟

هل كنتِ تكذبين حينما أخبرتني أن «**أحمد**» ما هو إلا رجل صالح وطيب؟

أيّ صلاحٍ كنتِ تقصدينه يا أُمي؟

ماذا عن الجماعات الإرهابية التي تهدم المباني العظيمة في «**أمريكا**» و»باريس» و بالأخير في «**روما**»؟!

ماذا عن ذبح رؤوسنا وماذا عن أسواقهم لبيع النساء؟

أيّ صلاحٍ و مودة كنتِ تقصدينها؟ إنهم يُنددون بـ اسمه في كل مكان، في كل جريمةٍ وحادث!

ثم ماذا عن «**موسى**»؟ عن «**اليهودية**» أخبرتني أن «**موسى**» رجل مُسالم يحب الحياة و الله!

أيّ حبٍ هذا الذي جعل قومه يغتصبون ويقتلون النساء والأطفال في «**فلسطين**»؟!

ماذا عن الأديان التي حدثتني عنها يا أُمي؟!

العالم لا يعرف الحب يا أُمي، لقد استبدلوا الحب بالحرب، استبدلوا الأزهار بالبندقيات، أصبحوا يفضلون الصراخ والبكاء عن الموسيقى والفن، خلعوا الأشجار من جذورها و ارتكزت قواعدهم العسكرية عليها، جعلوا من إيمانهم بالله عقيدة للقتل وللخراب، واستباحوا كل شيء في سبيل المكاسب



والنفوذ والسلطة!

إنه الجحيم يا أمي.. الجحيم يا «**جوليفا**»!

الجحيم الذي تركتني بمفردي في أعماقه بلا مأوى، هذا العالم لا يعرف الحب يا أُمي، لا يعرف الحب يا أُمي».

٨:٠٠ ص

استيقظ العجوز مفزوعًا بعد حلم آخر داعبه، للمرة الثانية كانت أُمه بطلة الحلم بتفاصيله..

كانت الشمس قد احتلت أركان الغرفة ليبدأ اليوم المنتظر!

كانت «**سام**» لازالت في سُباتٍ عميق..

اختلس لفافة تبغٍ من علبتها ثم خرج إلى الشرفة على أصابع قدمه خوفًا من أن يوقظها من نومها، ظل يفكر في الحلم كما لو أنه يبحث عن أيّ علاقة بين ذكرياته وبين كلماته على قبر أمه..

لم يكن «**شاهين**» من المهتمين بالأخبار والأحداث السياسية، لم يتذكر يومًا أن اهتم بحالات القتل والاغتصاب أو كان يعرف الكثير عن الغرب، حتى اللحظة التي انتهى عندها كل ما يخص حياته القديمة. كانت الأحداث الرياضية والفنية، و أحدث مشتقات الكحول والنيكوتين هما الفائز الأكبر من تفكيره!

ظل يتساءل عن الأحلام التي من الواضح أنها ستصبح ضيفه كل مساء.. هل هي من وحي الخيال، أم أنها حدثت في الفترة الطويلة التي عاشها قبل أن يفقد ذاكرته من جديد؟!



كل الأسئلة تتصارع في عقله بلا رحمة!

ظل يتساءل ويتساءل وهو يُدخن بشراسة، يحاول فَكَ العُقد، وحل كل الألغاز التي تسيطر على ذاكرته..

لاحظ وجود فتاة صغيرة على الجانب الآخر من الطريق، كانت تُلوح له من بعيد، لم يُعِرها أيّ اهتمام في البداية لكن الصغيرة لم تيأس كانت تُلوح له بحماس الأطفال المعتاد!

نظر «**شاهين**» إلى الأعلى ثم إلى الأسفل مُشككًا في قصد الفتاة لكنه تأكد أنها تقصده هو بالضبط، بادلها «**شاهين**» الابتسام و إشارات الترحيب بتلقائية..

استمر الوضع خمس دقائق حتى حاولت الصغيرة عبور الطريق، و ما أن وضعت قدمها أسفل ممر المُشاة؛ حتى ضربتها سيارة كانت تجري بسرعة جنونية!

صرخ «**شاهين**» وهو يشاهد الصغيرة تتأرجح في الهواء حتى سقطت غارقة في بركة من الدماء، وسرعان ما اختفت السيارة عن الأنظار..

هلع «**شاهين**» ناحية «**سام**»، لم ينتظر حتى تستفيق من نومها. نزل سريعًا و عَبَر البوابة، و مِن ثَمَّ الطريق الواسع إلى أن وصل للفتاة، حملها بين يديه و ظل يصرخ :

«**النجدة! النجدة!**»

كان الشارع خاليًا من المارة لم يسمعه أحد حتى الّذين لاحظوا وجوده لَم يهتموا لأمره، هكذا هي الحرب تقتل كل ما هو حي حتى مشاعر البشر!



واصل الصراخ دون أيّ رد فعل، بالأخير جاءت «**سام**» مفزوعة من صراخه و الدم الذي ينهال بغزارة من رأس الصغيرة.

٩:١٥ ص

ـ أسرعوا أيها الحمقى، الموت يداعبها أنقذوها أنقذوها!

سيطرت حالة من الهرج والمرج بعد أن اقتحمت سيارة الإسعاف مدخل المستشفى العام، كان النبض لا يزال حي في قلب الصغيرة و هي على الناقلة، هذا ما جعل فرصة النجاة من الموت قائمة، ولو بنسبة ضئيلة، بسرعة احتُجزت الصغيرة في غرفة الحالات الطارئة بعد أن انفعل أحد الأطباء على «**شاهين**» مُطالبًا إياه بالهدوء..

كان العجوز في حالة يُرثى لها من النحيب والبكاء، حاولت «**سام**» تهدئته لكن دون جدوى، جلس الاثنان معًا في ساحة الانتظار بعد تهديد الطبيب بالطرد لهما..

ـ هل تعرفها ؟

سألته «**سام**» .

ـ لا كنت أقف في الشرفة حتى لاحظتها تُلوح لي.

ـ ومِن ثَمَّ ؟

حاولتْ عبور الطريق بمفردها، ضربتها سيارة سوداء فـ سقطتْ على الأرض.



حاولت «سام» من جديد تهدئة العجوز لكن واصلت الفشل، كان يبكي كالأطفال، ذلك البكاء الذي يجعل منك شخصًا مثيرًا للشفقة والعطف!

بعد نصف ساعة جاءت إحدى الممرضات لهما..

ـ هل هي ابنتكَ؟

سألت الممرضة.

ردت «سام» قبل أن يرد «شاهين»:

ـ لا.

نظرت الممرضة إلى «سام» نظرة استحقار لا سبب لها..

ـ حسنًا، تعالى معي إلى دكتور «غوتزا» هو ينتظرك في مكتبه.

اعترضت «سام» على أمر الممرضة و طلبت مصاحبتهما، في البداية رفضت الممرضة و أصرت أن يأتي «شاهين» معها بمفرده، لكن إصرار «شاهين» على رفض أمر الممرضة، أجبرها على الموافقة بحضور «سام».

دعني أتحدث أنا مع الدكتور يا «شاهين»!

وافق «شاهين» بـ انهزامية على طلب «سام»..

انتظر الاثنان معًا بالخارج حتى أذنت لهم الممرضة بالدخول، وما أن دخلا حتى تفاجأ «شاهين» بترحيب حار من الدكتور، وكأنه يعرفه معرفة وطيدة!

استقبله بعناق حار وكلمات الاشتياق!

كان «شاهين» صامتًا تمامًا لا يفهم ماذا يحدث بالضبط حتى أنه لم



يتحرك ليبادله أيًا من مظاهر الاشتياق!

لاحظ الدكتور علامات «**شاهين**» الباردة لكنه واصل معاتبته له على الغياب، في حين لم ينطق «**شاهين**» بـ أيّ شيء.

كان «**شاهين**» يحاول استيعاب ما يحدث حوله، الخطأ الوحيد الذي حدث من «**سام**» هنا أنها لم تفرض سيطرتها على الحوار من البداية، ظلت صامتة أمام اللحظات الحميمة التي كانت تجمع بين العجوز وصديقه دكتور «**غوتزا**»..

نطق العجوز أخيرًا:

ـ أنا لا أتذكرك!

ضحك «**غوتزا**» بسخرية:

ـ أنتَ دائم المزاح يا «**شاهين**»، طال غيابك يا صديقي ظننت أنك في رحلة خارجية مفاجئة، لقد اتصلت بي «**مارتينا**» أكثر من مرة لتطمئن عليك. صراحةً لم أستطع مواجهتها بالحقيقة فـ أخبرتها أنك في رحلة عمل مفاجئة ـ ربما ـ ستدوم لوقتٍ طويل!

ظهرت علامات اللامبالاة والصمت أكثر على وجه «**شاهين**»!

و على الفور اقتحمت «**سام**» الحوار:

دكتور «**غوتزا**»! اعذرني على قطع حديثك! لكن أظن أن هذا الحديث لا يُلائم الوضع الحالي! فقط ماذا عن الصغيرة..؟!

بـ استهجان رد «غوتزا» :

ـ هل هي ابنتك ؟

ردت «سام» :

ـ لا.

اقترب «**غوتزا**» من «**شاهين**» وهمس بشيء ما في أذنه!

ضحك الاثنان معًا ثم استأذن «**غوتزا**» على أن يعود بعدما يطمئن على حال الصغيرة..

بهدوء مُصطنع أشعلت «**سام**» سيجارتها ثم نظرت إلى العجوز الذي كان يحاول تذكر أيّ شيء و سألته :

ـ ماذا كان يقول لك ؟!

ـ وما دخلكِ ؟

رد العجوز.

هنا ظهرت علامات الغضب أكثر على «**سام**» فقالت:

اسمع! أنا هنا لمساعدتك، الجلسات العلاجية لم تبدأ بَعد، خلال هذه الفترة أنا مسئولة عن كل شيء، إما أن أساعدك على استعادة ذاكرتك، و إما أن تتأقلم على الوضع الحالي؛ لذلك ما عليك إلا إخباري بكل شيء حتى تنتهي هذه الرحلة اللعينة.

على عكس المتوقع اقترب «**شاهين**» منها بـ انفعال وثورة :



اسمعي أيتها الحمقاء! أنا لست في حاجة للعلاج من الأساس، كل ما يجمعني بكِ هي فترة مؤقتة حيث أستعيد أهلي و أصدقائي، و مِن ثَمَّ عليكِ الاختفاء إلى الأبد.

فجأة اقتحمت المكتب إحدى الممرضات ومعها مُمثل عن التحقيقات العامة، كانت امرأة في الأربعينات من العمر..

ـ «**ديفيد شاهين**»؟

ساد الصمت للحظات ثم استعادت المحققة صدمتها من مواجهة «**شاهين**»، و سألته عن تفاصيل الحادث، قاطعتها «**سام**» على الفور:

سيدتي! هل تسمحين بخمسِ دقائق من وقتك؟!

رفضت المحققة ثم أمرتها بالصمت، لكن وكعادتها «**سام**» أصرت على طلبها حتى وافقت المحققة، و مِن ثَمَّ خرج الاثنان معًا .

مع خروجهم عاد «**غوتزا**» إلى المكتب، كان «**شاهين**» يتابع الأحداث في صمت قبل أن يسأله «**غوتزا**» عما حدث..

صدقني أنا لا أتذكر أيّ شيء، كل ما أتذكره الليلة الأخيرة من غياب «**لورين**» و بعدها استيقظت بـ إحدى المباني الطبية في «**مالطا**»!

بسخرية رد:

ـ أيّ غيابٍ تقصد؟ ألَم تكتفِ من النساء بعد يا رجل!!

ثار «**شاهين**» في وجهه:

ـ افهم يا «**غوتزا**» أنا لا أتذكرك، لا أتذكر أيّ شيء عدا «**لورين**» و «**باولو**» و «**أمي**»!

انفعال «**شاهين**» هذه المرة لم يكن عاديًا, لم يتحمل جسده هذه الانفعالات و الأحداث المُتتالية, سرعان ما عادت «**سام**» والمحققة بعد سماعهم صوته..

واصل «**شاهين**» ثورته على «**سام**» :

اسمعي! أريد أن ينتهي هذا الهراء الآن، أريد أن ينتهي كل شيء الآن، أنا لا أعرفك، لا أعرفه ولا أتذكر أيّ شيء، أريد العودة إلى منزلي، كفاكم هراءً، أريد العودة فورًا إلى منزلي، لينتهِ هذا الهراء الآن كفاكم عبثًا بذاكرتي، كفاكم عبثًا.. فلينتهِ كل شيء!

ظل يردد «**شاهين**» هذه الكلمات بغضب حتى سقط أرضًا..

هلعتْ نحوه «**سام**» و «**غوتزا**» و المحققة، كان رأي «**غوتزا**» أن ينتقل «**شاهين**» إلى إحدى الغرف الخاصة بالمستشفى لكن رفضت «**سام**» الاقتراح و أصرت على نقله إلى الدار، و بالفعل تم نقله إلى هناك بمساعدة «**غوتزا**» والمحققة..

ما أن عادوا إلى الغرفة حتى واصل «**شاهين**» النوم العميق بعدما تأكدوا أن سقوطه ما هو إلا إغماءة مؤقتة لا أكثر!

على الجهة الأخرى كان القلق يسيطر على المحققة أكثر من «**غوتزا**»!

ساد الصمت طويلاً في الغرفة، كلاً منهما مشغولاً في عمق أسئلة لا تنتهي بين «**غوتزا**» والمحققة. كانت «**سام**» الوحيدة التي تعرف ما حدث مع العجوز لكنها لا تعرف تفاصيل حياته السابقة، كل ما لديها تقارير طبية فقط.

أخيرًا قطع غوتزا حالة الصمت وهو يتأمل في وجه العجوز :



مسكين يا صديقي، دائم الشقاء!

هذه الكلمات لم تعجب المحققة التي ردت بسخرية:

ـ اختياره لمرافقة الأغبياء ما يجعله فريسة للشقاء.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ باستهجانٍ كان جواب «**غوتزا**».

حينئذٍ شعرت «**سام**» بوجود خلافات خفية بين المحققة و «**غوتزا**»، على الفور قالت وقبل أن تُعطي للمحققة فرصة للرد:

أظن أن الغرفة ليست مكانًا مناسبًا للحديث، سأُعد لكم القهوة.

خرجت «**سام**» من الغرفة ثم تبعها «**غوتزا**» تأخرت المحققة قليلاً عن ملاحقتهم للخارج فعاد «**غوتزا**» إلى الغرفة ليقطع وابلاً من القبلات على جبين العجوز كانت تقدمها له المحققة..

دندن وهو يضحك:

لم تكذب المعارضة حين وصفت المحققات بالعاهرات.

بصقت المحققة تجاه «**غوتزا**» ثم لحقته..

على الجهة الأخرى كانت «**سام**» تفكر فيما يجب عليها فعله، لم تبدأ جلسات العلاج إلى الآن لكن و مع اللحظات الأولى في «**البندقية**»، و الأحداث تتلاحق بدايةً من حادث الصغيرة، حتى العلاقة بين العجوز و «**غوتزا**» ومعرفة المحققة بالعجوز إلى الخلاف المنتظر بين «**غوتزا**» والمحققة!

هي بالمنتصف لا تعرف أيّ شيء عن العجوز سوى أنه رجل فاقد لجزء



كبير من ذاكرته، تحاول مساعدته بحُكم دورها المهني، لكن في باطنها كانت تعرف أن مساعدة العجوز تعني كشف الستار عن حقائق في حياتها أيضًا، رغم أن كل المؤشرات تؤدي لعكس ذلك تمامًا، لكن إيمانها التام يقودها لهذه النقطة المجهولة حتى اللحظة..

«**الصبر! الصبر يا سام**»

رددتها وهى تقلب القهوة.

هذا هو المنتصف، المنتصف من كل شيء. كانت «**سام**» في أمَسّ الحاجة لمعرفة تفاصيل أكثر عن «**شاهين**» لكن أيهما سيكون أكثر صدقًا في حديثه عن «**شاهين**»؟!

تبدو نظرات «**غوتزا**» لـ «**شاهين**» نظرات مُريحة بعض الشيء، لكن و رغم زعم المحققة بسطحية علاقتها بـ «**شاهين**» إلا أن نظراتها كانت أكثر عمقًا و صدقًا من «**غوتزا**»!

ثم مَن «**مارتينا**» هذه التي اتصلت بـ «**غوتزا**» أكثر مِن مرة لتطمئن على صحة العجوز؟!

ثم مَن هم الأغبياء الذين وصفتهم المحققة؟!

تساؤلات..تساؤلات، كل الاحتمالات واردة..

الفصل السابع

خرجت «**سام**» من المطبخ إلى الشرفة حيث المحققة و «**غوتـزا**»، قدمت لهما القهوة ثم ساد صمتٌ جديد حتى قاطعته المحققة :

أنا «**ديرا**»، مُحققة من «**المجلس النيابي**»، جِئت إلى هنا لـ أُثبت أحداث الواقعة .

همهم «**غوتزا**» :

لم يُحسنوا الاختيار.

نظرت لهما «**سام**» ثم تنهدت :

حسنًا، دكتور«غوتزا»! ما علاقتك بـ «**شاهين**» ؟!

بـ استهجان رد «**غوتزا**» :

ـ أظن أن هذا السؤال لابد أن أطرحه أنا عليكِ! «**شاهين**» صديقي فـ مَن تكونين أنتِ ؟!

ـ أظن ذلك!

همهمت «**ديرا**» .

أشعلت «**سام**» سيجارتها ثم بدأت الحديث:

لقد عثرت القوات الساحلية على «**شاهين**» مغميًا عليه بالقرب من



ساحل «**مالطا**»، استمرت حالة الإغماء خمسٌ و أربعين يومًا. خلال هذه الفترة لم نستطع جمع المعلومات الكافية عن «**شاهين**»، الغريب أننا وجدنا صدمتين في مكان واحد أسفل الرأس و مِن هنا ظهرت شكوك وظنون حول حالته حتى استفاق العجوز، في البداية حاولنا معرفة أيّ تفاصيل عن حياته لكن اكتشفنا أن كل ما يتذكره كانت أحداثًا قبل ثلاثين عامًا من الآن، حتى الشخصيات التي ذكرها حاولنا الوصول إليها، لكن الأمر كان أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش، كان لا يتذكر إلا أحداثًا من النصف الأول في حياته، بالضبط عند عُمر الخمس وعشرين، و ما بعدها لا يتذكر أيّ شيء عما حدث، ظننا أن الأمر فقدان في الذاكرة من الحادث الأول، لكن المعطيات التي ظهرت أمامنا أثبتت عكس ذلك و أن ما حدث فقدان جزئي لا أكثر، أما عن الحادث، فقد أعاد هذا الجزء لكن مع افتقاده للجزء الأُكبر من حياته، في النهاية قررنا المجيء إلى هنا، و بَدْأ جلسات علاجية مُكثفة باستخدام الذاكرات الإلكترونية.

بسخرية سأل دكتور «**غوتزا**» «**ديرا**» :

ـ هل استوعبتِ شيئًا مما قالته؟

لم تجب المحققة على سؤاله .

ـ بـ اختصار «**شاهين**» يعاني من فقدان الذاكرة خلال الفترة من عمر خمسة وعشرين و حتى هذه اللحظة.

صمتٌ طويل ساد الجلسة، كان كلاً منهما مشغولاً بما قالته «**سام**» حتى سألتها «**ديرا**» :

ـ مَن هم الشخصيات التي يتذكرها «**شاهين**»؟

ـ «**لورين**»، «**أمه**»، «**أبيه**»، صديقه «**باولو**»، والكلب «**بروف**» ..

انفجر «**غوتزا**» ضاحكًا :

ـ هذا الوغد لا يتذكر إلا النساء!

في هذه اللحظة شعرت «**سام**» أن «**ديرا**» تعرف «**باولو**» أو «**لورين**» ربما هذا الأهم فلا فائدة من معرفتها بـ والديه، فـ لقد ماتا، كذلك الكلب «**بروف**» بالتأكيد لم يعد له أثر!

سألتها :

هل تعرفين «**باولو**» أو «**لورين**» ؟

كانت «**ديرا**» صامتة بطريقة غريبة، صامتة كما لو أنها في عالم آخر، حتى كررت «**سام**» سؤالها ..

ـ لا لا لا أعرفهما.

عادةً النساء يجِدنَ كشف الكذب فيما بينهن..

تنهدت «**سام**» بعد أن شعرت أن «**ديرا**» ستكون أحد أهم الأضلاع لـ اكتشاف الحقائق الخفيّة..

عاد الصمت من جديد لكن هذه المرة كان صمتًا يخبيء بداخله حقائق على وشك الظهور!

على الجهة الأخرى كان «**شاهين**» غارقًا في غيبوبته، لم يكن بـ استطاعتهم فعل أيّ شيء سوى انتظاره حتى يستيقظ من سباته .

في الصباح استيقظت «**ديرا**» مرهقة، لم تنم لوقتٍ كافٍ كانت تفكر فيما ينتظرها بعد ساعات..



كانت «**ديرا**» تعيش حياة ناجحة بشكل كبير، امرأة مستقلة بذاتها تدرجت في المناصب الحقوقية حتى وصلت لمنصب هام في «**البندقية**»، حياة هادئة تمامًا خصوصًا بعد وفاة زوجها السيد «**بنجامين**» الذي لم يترك لها شيئًا يستحق الذكر سوى منزلٍ فخم في قلب «**البندقية**»..

وعن علاقتها بـ «**شاهين**» فـ هُم أصدقاء لا أكثر، ولسببٍ ما انقطع الوصل بينهم!

هذه هي «**ديرا**»، امرأة في مُقتبل الخمسين من العمر تعيش حياة هادئة تمامًا. بلا أهل، بلا أصدقاء، بلا حب. فقط العمل والعمل..

«النساء ينجحن بعد فشل عظيم، هذا الفشل إما عاطفي أو اجتماعي، لكن يبقى الفشل الأعظم وهو فشل مواجهة الحقيقة»!

عبارة قرأتها «**ديرا**» على غلاف أحد الكتب المرصوصة في أرفف مكتبتها، رمقتها رمقة سريعة ثم همهمت:

ـ وكيف أُواجه حقيقة موتي وأنا لازلت أحيا..؟!

وهي تتجه للباب ومِن ثَمّ إلى سيارتها..

بدأت الموسيقى بشكل تلقائي ما إن ركبت السيارة, كانت أغنية أسبانية كلاسيكية.. تقول المطربة:

«أرقص على حطامي وكأني أرقص معك في باريس»

انطلقت «**ديرا**» بسرعة ناحية الطريق الرئيسي لتصل مبكرًا .



٨:٠٠ ص

في مكتبه كان دكتور «**غوتزا**» يستعد هو الآخر للذهاب إلى لقاء «**سام**» و «**ديرا**»، فجأة رن الهاتف..

ـ أهلاً دكتور «**غوتزا**»!

ـ سيدة «**مارتينا**»! «**شاهين**» على ما يرام.

ـ رائع، طمئنّي أكثر عنه!

ـ غدًا سأنتظركِ في أيّ وقت.

ـ حسنًا إلى اللقاء.

ـ مارتينا!

ـ نعم!!

ـ لم تطمئني عليّ!

ـ إلى اللقاء دكتور «**غوتزا**».

انتهت المكالمة..

فورًا اتصل دكتور «**غوتزا**» بمساعديه و أمرهم بالحضور لـ ارتباطه بمواعيد خارجية، ثم اتجه إلى الشارع، أخذ سيارته و مِن ثَمَّ إلى مركز الرعاية..

في الطريق اتصل بـ «**ديرا**» على الهاتف، في البداية لم تُجب «**ديرا**» اتصاله!

عاود الاتصال مرة أخرى حتى أجابت..



ـ «**ديرا**»! أنا لا أثق في أمر «**سام**»!

ـ فلنسمعها يا «**غوتزا**» و مِن ثَمَّ نقرر!

صمت «**غوتزا**» للحظات ثم قال:

ـ أتشكين في ذكائها وقدرتها على إقناعنا بخُرافة!

ـ لن تكون أكثر مهارة و قدرة في إظهار الوفاء لصديقك!

بـ استهجان سألها عما تقصده!

أغلقت الهاتف و هي تقول:

إلى اللقاء «**غوتزا**».

الفصل الثامن

٨:٠٠ ص

هناك في دار الرعاية استيقظت «سام» مبكرًا، تسللت على أصابع قدميها للخارج؛ خوفًا من أن يشعر بها «شاهين» الغارق في نومه، على فراشه وجدت رسالة مكتوبة بخط «شاهين»، أمسكتها ثم قرأت..

«أنا هنا بلا أمل، بلا أحداث ذكريات و تفاصيل، ما أعرفه أنني لا أتذكر أيّ شيء، لكن لا يزال وجع الفقدان ينهش في قلبي، يمكنني القول أنني لا أتذكر ما سبب هذه الآلام العميقة في قلبي، لكنني أشعر بها».

لم تفهم «سام» من كلماته شيئًا فـ احتفظت بها لتناقشه عنها بعد أن ينتهي اللقاء..

خرجت إلى الصالة منتظرة قدوم «ديرا» و «غوتزا»، كانت تفكر في أمرهما بطريقة مرهقة، أشعلت سيجارتها ثم تمددت على الأريكة لـتُفكر بعمق أكثر.

بعد نصف ساعة جاءت «ديرا»، لم تتحدث إلى «سام» فقط اتجهت إلى الشرفة، أعدتْ لها «سام» كوبًا من القهوة، و بعد خمس دقائق حضر «غوتزا» ليرافقهما..

خلال صمتهم الطويل كانت «ديرا» تتبادل نظراتها مع «سام» بينما



«غوتـزا» كان مشغولاً بمتابعة المـارة على الطريـق..

دكتور «غوتزا»! ماذا عن الصغيرة؟!

بدأت «سام» بعدم اهتمام..

رد:

ـ على ما يـرام، بعض الكسـور المتفرقة فقط ؛ تواصلنا مع أهل الصغيرة وتفهمـوا الموقف تمامًا.

ـ لماذا نحن هنا الآن يا «سام»؟

بحدة كان سؤال «ديرا».

تنهدت «سام»:

ـ لنتفق أنه على ما يبدو «غوتزا» هو الصديق الأقرب لـ «شاهين»..

همهمت «ديرا» بسخرية:

نعم نعم..

تابعت «سام»:

ـ و لا أستبعد علاقتك بـ»شاهين» سيدة «ديرا».

ـ احتمالاتكِ ليست صحيحة.

ردت «ديرا».

قاطعها «غوتزا»:

ـ أنتِ تكذبين يا «ديرا»!

ـ انفعال قاطعت «سام» حديثهم:

ـ أرجوكم ساعدوني! أرجوكم أريد معرفة كل شيء و أقسم لكُما أن الأمر لن يخرج عنا!

ـ كل شيء؟!

سأل «**غوتزا**»..

منذ اللحظة الأولى يا دكتور!

ردت «**سام**».

ـ حسنًا سأحكي لكِ المواقف الهامة لا أكثر..

أشعل «**غوتزا**» سيجارته، و مِن ثَمَّ بدأ الحديث :

التقيت بـ «**شاهين**» في أحد النوادي الليلية في «**موناكو**»، كانت تظهر على ملامحه و مظهره علامات تدل على أنه رجل مرموق ذو هيبة. كانت تجلس لجواره امرأة جميلة في البداية ظننتها زوجته لكن خاب ظني بعدما لاحظت مداعباتٍ قذرة تدور بينيهما..

فجأة سقط أحد المخمورين في النادي أرضًا، اندفع «**شاهين**» بسرعة نحوه وصرخ بـ الإيطالية «**النجدة**»، لم يفهم أحد لغته لكنهم استوعبوا الموقف، حاولوا إنقاذ المخمور، بعيدًا عن الكذب لم أكن أنوي حتى تقديم المساعدة الشفوية لهم لكن بعد أن لاحظت أنها امرأة تقدمت نحوهم، كانت امرأة جميلة ذات مقومات أُنثوية من الدرجة الأولى..

همستُ لـ «**شاهين**» بـ الإيطالية:

ـ هل هي رَفيقتك؟

رد بـ الإيطالية :



مِن فضلك ساعدنا!

انفض الزحام من حولنا بعدما عادت الفتاة إلى الوعي، ما إن اطمئن «شاهين» عليها حتى عاد إلى طاولته وكأن شيئًا لم يكن، شعرتُ أنها فرصة مناسبة للتعرف عليه..

كانت المرأة التي تجلس معه تستعد للرحيل و ما أن رحلتْ حتى اقتربتُ من طاولته و استأذنت بـ احتساء كأس من النبيذ، لم يمانع فقط أشار برأسه أنه لا يمانع..

ساد صمت طويل بيننا لكنّي كنت أستكشف ملامحه، كانت مألوفة بالنسبة لي!

سألته:

ـ هل أنتَ إيطالي؟

هز رأسه إشارة بـ الإجابة

أنا أيضًا من سكان «**البندقية**».

جلستُ معه مدّة ساعتين، كانت الموسيقى الصاخبة تسود الأجواء، إلا أنها لم تجذبه حتى لتحريك قدمه، خلال الساعتين كان صامتًا حتى أنه لم يخبرني عن اسمه، ظل يشرب و يدخن بشراهة. فجأة نظر لنا رجل يبدو وكأنه من رجال الشرطة، تبادل مع «**شاهين**» النظرات طويلاً سألته:

ـ هل تعرفه؟

بهدوءٍ تام قال:

قِف أمامه.

انطلق «**شاهين**» على الفور، لاحقه الشرطي فـ وقفتُ أمامه لـ أعيق حركته، و نجحتُ في ذلك، ظننت بعدها أنني لن أرى «**شاهين**» مرة أخرى!

انتهى اليوم، خرجت من الحانة بعد ساعة من الواقعة فـ وجدتُ «**شاهين**» واقفًا بالخارج فـ اقتربتُ منه..

ـ ماذا حدث؟

ـ شكرًا على مساعدتك!

ثم أخذ سيارته و انطلق، حينئذٍ تأكدت أن «**شاهين**» ليس مجرد سائحًا عابرًا، الشرطي، السيارة الفخمة، مظهره الأنيق، كل شيء يوحي أنه رجل مرموق!

على الفور لاحقته بالسيارة، كان يجري بسرعة جنونية يصول ويجول بين الشوارع و الأزقة كما لو أنه عاش هنا ألف عام، واصلت ملاحقته حتى وقفت أمامه..

ـ يمكننا الحديث إذن!

ـ ماذا تريد مني؟

ـ قضاء هذه الليلة معك!

ـ أنت مخطئ أنا لا أعاشر المثليين والشواذ!

ـ حسنًا و أنا كذلك، اتفقنا سأتبعك إلى اللقاء.

عاد إلى سيارته و انطلق محاولاً الهرب مني لكن دون جدوى، واصل القيادة بسرعته الجنونية حتى وصل الساحل و مِن ثَمَّ اتجه إلى منزل قديم يقع بالقرب من حدود «**كتالونيا**»، مباشرة دخل إلى المنزل فـتبعته حتى



صعد إلى الطابق العلوي. هذه المرة وضحت ملامحه!

إنه «**ديفيد شاهين**» الكاتب والسيناريست المعروف تأكدتُ من ذلك عن قرب، جلس على الأريكة ثم سألني عما أريد، تفاجأتُ أنه لاحظ متابعتي له، لكن تمالكت أعصابي وبدأت..

ـ أنا «**أرماندو غوتزا**» مسئول الجراحات في المستشفى العام بالبندقية.

بعدم اهتمام رد:

شكرًا لك. لم أُصَب بعد، ماذا تريد إذن؟

كانت طريقته تشير إلى أنه يخبئ أمرًا هامًا بداخله، ليس كما يبدو على شاشات التليفزيون و في المحافل الرسمية!

سألته:

ـ أنت الكاتب «**ديفيد شاهين**». أليس كذلك؟

بغضبٍ رد:

نعم و مُمتن لما ستقوله فيما بعد، شكرًا لك, مع السلامة.

كان عليَّ ابتزازه، اتجهتُ للخارج و أنا أقول:

ـ أجمل ما في هذا المنزل أنه تابع للشرطة الفرنسية وبالقرب منها، رائع لن أنسى رقم هذا المنزل أبدًا كذلك رقم السيارة مميز جدًا, إلى اللقاء.

ـ انتظر أيها الوغد!

ابتسمتُ دون أن يلاحظ، شعرتُ بلذة النصر، صحيح أن الابتزاز أسلوب رخيص لكنه ممتع، و في هذه الليلة كان «**شاهين**» في أمس الحاجة



للحديث مع شخص غريب لكن ولـ أنه كان رجلاً لا يثق بـأحد وضع شروطًا معقدة، بصراحة لم أجادله، كان فضولي حينئذٍ أكبر من مخاوفي تجاهه..

لن أخبركِ عن الشروط التي اتفقنا عليها لكن و في النهاية عرفت ما لم يعرفه أحد عن «**شاهين**» أو على الأقل ما لم يجرؤ هو على قوله لـ أحد.

قاطعتْ «**سام**» حديث «**غوتزا**» بـ استهجان:

ـ أريد معرفة كل شيء بهدوءٍ تام!

رد «**غوتزا**»:

ـ سيدتي! أنا لا أثق بكِ ثقة كاملة، فـ لا تتعجلي .

همهمت «**سام**»:

ـ أسمعكَ.

واصل «**غوتزا**»:

«**شاهين**» نسخة مزيفة، هذا الذي تعرفه الأضواء والشهرة لا يَمُتّ بـصِلة للحقيقة، لم أدرس الطب النفسي، لكن ما أعرفه أن «**شاهين**» كان يعاني من اضطراب نفسي، اضطرابٍ نفسي حادٍ وقاسٍ يسيطر على تصرفاته وحياته، اختلفنا وما أكثر خلافاتنا، لكن و رغم كل الخلافات، كنتُ و مازلتُ أحبه!

بسخرية ردت «**ديرا**»:

أنا أعرف ذلك جيدًا.

ساد صمت طويل بعد أن انتهى «**غوتزا**» من الحديث عن أول لقاء جَمَعه بـ»شاهين».



ثم ماذا؟

سألتْ «سام» المحققة «ديرا».

تنهدتْ «ديرا» ثم بدأت الحديث :

سمعتُ الكثير والكثير عن «شاهين»، كعادتنا هنا فـ لا حرمة للحياة الشخصية للشخصيات العامة، هنا يقولون «شاهين» كاتب فاسد يستخدم كتاباته لـ جلب النساء, و هناك يقولون إنه كاتب سوداوي يعبر عن البائسين مثله!

لم أكن مهتمة بالقراءة بشكلٍ عام وبشخصِه بشكلٍ خاص لذلك لم أحاول حتى معرفة أيّ أمر يخصه، و بالصدفة البحتة وأنا أتصفح مواقع التواصل الاجتماعي قرأتُ عبارة شعرت و كأنها تحدثني أنا، لازلتُ أتذكر تلك الكلمات، كانتْ تقول:

«وهناك نوعٌ آخر مِن النساء لا تسلُك طُرق الغياب إلا بعد أن تتشبّع مِن مرارة القسوة و الإهمال، تلك التي تتحمل و تتحمل حَدّ لحظة تقرر الرحيل، فـ ترحل عنك بلا عودة».

لا أعرف سببًا منطقيًا لكن ظللت أبحث عن صاحب هذه الكلمات حتى عرفت أن كاتبها هو «ديفيد شاهين»، مِن هنا بدأتْ علاقتي بذلك الكاتب الغامض بالنسبة لي. بدأتُ أتابع إصداراته من بعيد، أقرأ و أشاهد الأفلام التي صنعها بقلمه، لم يتجاوز إعجابي به أكثر من إعجاب بـكلماته فقط، حتى يوم كنت مدعوة في أحد الحفلات الخاصة بالأدباء والمثقفين و رغم كوني لا أحب مثل هذه الأجواء لكن كنت في أمَسّ الحاجة للقاء هذا الرجل، تأكدت بالفعل من حضوره، تمنيتُ وقتها أن يحضر الحفل، ذهبت

إلى مكان الحفل، جلست على الطاولة مع إحدى صديقاتي و ظللت أتابع الحضور في صمت و ترقب تام حتى رأيته بالفعل. كان يتحرك تجاه الطاولة المجاورة لنا، جلس ثم بدأ بمتابعة الأجواء وهو يدخن بشراهة، يظهر وكأنه لا يبالي بـ أحدٍ من الأساس!

لحيته الكثيفة العشوائية، لون ملامحه الداكن، و المعطف الرمادي الذي يجعله أجمل الرجال، كان مثيرًا وجذابًا بطريقة تجعل أجمل الفاتنات في الحفل تنجذب له، و رغم كل الجاذبية الواضحة على مظهره إلا أن شيء ما في صمته كان غير مفهوم!

شعرت و كأنه طفل يحاول الكذب على أمه. شعرت و كأنه يجاهد لـ إخفاء شيء ما بداخله، هذه الرصانة و الهيبة التي استحوذت على مظهره ما هي إلا قناع كاذب ومزيف، لا أعرف لماذا انجذبت له لهذا الحد الذي جعلني أتأمله دون أن يلاحظ أحد، كنت أختلس النظر إليه وسط الحضور كـ سارق يستعد لسرقة شيء غالٍ وسط الحشود، مَرَّ أكثر من ساعتين و هو في مكانه و أنا أتأمله!

همهم «**غوتزا**» على الفور:

اللعنة على ثرثرة النساء!

باستحقارٍ نظرت «**ديرا**» لـ «**غوتزا**» ثم واصلت:

رأيته يتقدم نحو باب الخروج، وجدتها فرصة مناسبة للحديث معه، تقدمتُ خلفه لكن لاحظت أنه صعد بالمصعد إلى سطح المبنى، تعجبتُ من وجهته لكنني تابعته، حتى وصل. كان الهواء باردًا جدًا، لكن رغبتي في الحديث معه كانت أقوى من رغبتي في العودة للحفل، في البداية لم يلحظ



وجودي حتى اقتربتُ منه أكثر..

ـ هل تسمح لي؟

نظر إليّ وهو يضحك بسخرية:

تدخنين الحشيش؟

ضحكتُ ثم أجبته:

لا! لكن لا مانع من التجربة!

أعطاني لفافة الحشيش وهو يبتسم:

شرط أن لا تَشي بي!

كانت المرة الأولى التي أدخن الحشيش، و كأن لقائي به، كان بداية للحظات سعيدة معه لا أكثر، هذا الغريب الذي لم يسألني عن اسمي حتى كان سببًا في سعادتي دون مبرر..

بدأ دخان الحشيش يتسلل إلى صدري، و أنا أستمتع به، و هو يتابع المارة كما لو أنه ينتظر شيئًا ما، لا أعرف سبب استسلامي له بهذه الطريقة ومن اللحظة الأولى كنت أشعر أنني برفقة رجلٍ مختل أو عربيد صالح، أنا لا أثق في الرجال، لكن مع اللحظة الأولى من لقائي به و أنا أثق به، كنت أجاهد لـ أتذكر لماذا تبعته إلى السطح من الأساس!!

كان تأثير الحشيش أقوى، لاحظ هو ذلك فسألني :

ماذا تشعرين؟

ضحكتُ ثم قلتُ:

ـ أشعر بسعادة، بسعادةٍ عارمة!

ـ رائع!

ـ و أنتَ؟

سألته و أنا أضحك..

ـ لا أشعر بشيء.

ـ كيف؟

قال:

ـ أنتِ تبحثين عن السعادة لذلك وجدتِ سعادتك في المخدرات، أما أنا فـ أبحث عن شيء ليس بـ إمكان المخدرات أن توفره لي!

ـ في الحقيقة لا أفهم؟

ـ المخدرات لا توفر لنا الراحة.

تعجبتُ ثم سألته:

ـ و ما الفرق بين الراحة والسعادة؟

ضحك ثم قال:

السعادة تكمُن في الجنس، في الموسيقى، الخمر، والمخدرات، قد تشعرين بالسعادة و أنتِ تشاهدين فيلمًا سينمائيًا، و قد تصحبكِ السعادة في رحلتكِ حول العالم أو بين أوراق كتاب شَيّق، لقاء عابر مع نجمك المفضل أو شخص لم تلتقِ به منذ زمن بعيد، قد تغمرك السعادة بـحديث أحدهم عنكِ أو شهادة تكريم، أو حتى إنجاز عظيم حققتِه، السعادة هي اللحظة



العابرة التي لا تدوم طويلًا مهما كانت، في النهاية تنتهي سريعًا، السعادة تكمُن في الأشياء المضيئة الملفتة التي هي من الأساس مصدر للسعادة عند الجميع، أما الراحة فـ هي شعور لا يُشترى أبدًا.

أخذ لفافة التبغ مني ثم سحب نفسًا عميقًا إلى صدره..

لحظة! ماذا عن الراحة؟ لم تحدثني عنها!

استدار و اتجه إلى باب النزول وهو يقول:

ـ سنتحدث عنها فيما بعد.

حاولت اتباعه، لكن و مع الهواء البارد، و تأثير المُخدر لم أستطع، لاحظ هو أنني أتأرجح فـ أمسك بي وهو يضحك:

سمعتي في خطر الآن، لو شاهدكِ أحد على هذا الحال بالتأكيد سيقولون أنكِ كنتِ برفقتي، تعالي معي.

كنت في حالة سعادة غريبة، أخذنا المصعد ومن ثَمَّ إلى سيارته، أعطاني مشروبًا لـ أستعيد توازني، ثم سألني عن عنوان منزلي، في الحقيقة لا أتذكر ما حدث لكن فجأة استيقظت على صوت هاتفي..

ـ نهارك سعيد، الساعة الثانية عشر ظهرًا، في الثلاجة كل ما تحتاجينه من طعام، كذلك الحمام مُعَدّ، أنا في الطريق لكِ.

لم أستوعب أيّ شيء إلا بعد دقائق، كنت على فراش «**شاهين**» في منزله! كنت في حالة غضب و ثورة و سعادة في آنٍ واحد، بعد عشر دقائق عاد «**شاهين**» كنت مازلت على فراشه..

ـ ماذا حدث؟

ـ أنا في انتظارك بالخارج.

لحقته على الفور..

تصنعتُ الغضب:

ـ ماذا حدث؟

بهدوئه المستفز قال:

ـ لا داعي للغضب، لم يحدث شيء، كل ما في الأمر أنكِ فقدتِ الوعي فاضطررتُ لأخذكِ إلى هذا المنزل حتى الصباح.

ـ وكيف توصلتَ إلى رقم هاتفي؟

ضحك ثم قال:

ـ هذا هاتفي أنا يا سيدتي، ربما هاتفكِ في حقيبتكِ!

أمسكت بالهاتف بالفعل لم يكن هاتفي!

ساد صمت طويل لا مبرر له، بالأخير طلبت منه الخروج

قال:

ـ شرط واحد للخروج، أن تعتبري كل هذا كأنه لم يحدث من الأساس!

قلت له:

اسمي «**ديرا**» محققة بالمجلس النيابي!

قال وهو مشغولٌ بمشاهدة إحدى مباريات كرة القدم:

إلى اللقاء «**ديرا**»!

كتاباتكَ رائعة، إلى اللقاء..



مِن هنا يمكن القول أن علاقتي بـ»شاهين» بدأت، عدت للمنزل منهكة تمامًا، لكن، و في نفس الوقت أشعر بسعادة عارمة، شيء واحد أثار فضولي! لماذا يستخدم «**شاهين**» الشروط دائمًا في كلماته و أوامره؟!

غدوت في نوم عميق و أنا سعيدة بكل ما حدث رغم غموض وعشوائية الأحداث..



الفصل التاسع

انتهت «**ديرا**» بعد عناء مِن سَرد قصتها مع «**شاهين**»، ساد صمت طويل حتى قطع «**غوتزا**» ذاك الصمت:

«**سام**»! هناك أمر هام أود أن أخبركِ به!

أخرج «**غوتزا**» من لوحته الإلكترونية شهادة وفاة بـ اسم «**ديفيد شاهين**» قرأتها «**سام**» ثم واصل هو:

بعد اختفاء «**شاهين**» تكفلت بـ استخراج هذه الشهادة..

سادت حالة من الصمت و الذهول على «**ديرا**» و «**سام**»..

واصل «**غوتزا**» حديثه:

أعرف أن لا أحد منكم يعرف بـ أمر هذه الشهادة لكن بالفعل تم اعتمادها و مِن بعدها اعتُبِرَ «**شاهين**» في تعداد الموتى, لا وجود له.

بـ انفعال قالت «**سام**»:

ـ لكن هذا لم يحدث بالفعل!!

رد «**غوتزا**»:

ـ و ها قد حدث.

ردت «**ديرا**» بحزم:



يمكنني الطعن في هذه الشهادة و إثبات أن «**شاهين**» حيٌّ يرزق.

هذا قد يكلف «**شاهين**» الكثير والكثير، على أيّ حال لا ينبغي فعل هذا و لن يتحمل أحد عواقب إثبات حياة «**شاهين**»..

قالت «**سام**»:

ـ لا أفهم!

بدأ الغضب يسيطر على «**غوتزا**»:

ليس من شأن أحد أن يعرف لماذا تم استخراج شهادة الوفاة هذه بتلك السرعة، لكن أنا أحذركم لن يتحمل أحد عواقب تكذيب هذه الشهادة ؛ سأتصل بكِ في المساء لنتفق على موعدٍ آخر لنتحدث بشأن هذا الأمر، فقط لا تبدئي أيّ جلسة علاجية حتى تعرفي كل شيء عنه، إلى اللقاء!

خرج «**غوتزا**» مِن الشرفة تاركًا «**سام**» و «**ديرا**» في بحرٍ من الأسئلة التي لا إجابة لها..

ساد الصمت بينهما طويل، كل منهما تفكر في حقيقة تصرف «**غوتزا**» الغريب!

نظرت «**ديرا**» لـ «**سام**» ثم قالت:

ـ لا تثقي ثقة عمياء في «**غوتزا**» يا «**سام**»، هذا الرجل لا أمان له.

تنهدت «**سام**» بعد معاناة طويلة مع التفكير:

ـ لكن يبدو أن «**غوتزا**» هو الصديق الأقرب لـ «**شاهين**»!

ضحكت «**ديرا**»:

اسمعي يا «**سام**»، لا أحد أقرب لـ»شاهين» مِن «**شاهين**»، «**شاهين**» كان رجلاً غامضًا لا أحد يعرف عنه أكثر مما يسمح هو له، كل المقربون منه بالنسبة له مجرد شخصيات عابرة في حياته يعرفون القليل جدًا عنه. لـ «**شاهين**» فلسفته في التعامل مع من حوله، لا يعتمد اعتمادًا كاملاً عليهم، لا يثق ثقة عمياء في أحد، و لا يمكن لـ أحد أن يجزم بـ شيء في أمره، قد يبدو أمامكِ شخصًا مسالمًا و على الجهة الأخرى يخطط لـحربٍ مع شخص ما، قد يظهر أمامكِ كما لو أنه لا يبالي و هو يدقق في أدق التفاصيل، و لا تنخدعي بـهدوئه فـ لطالما كان هدوء «**شاهين**» مجرد صورة تختلف عن حقيقة ثورته الداخلية، لقد تعلمت منه أشياء متناقضة، تعكس حقيقة غموضه و شخصيته..

تعلمتُ أن أخفي حزني بـ ابتسامة باردة، أن أنفجر في هدوءٍ تام، أن أخبئ غضبي خلف قناع اللامبالاة، و أسقط و أنا في قمة الثبات، تعلمت أن لا أحتاج، لا أثق، لا أبكي أمام أحد!

بـالأخير كل ما عليكِ فعله الآن هو انتظار أحدث التطورات. أظن يجب عليكِ تأجيل جلسات العلاج حتى تعرفي كل شيء عن «**شاهين**» قبل البِدء، صحيح «**غوتزا**» ليس بالشخص الجدير بـالثقة لكن فلننتظر!

خرجت «**ديوا**» من الشرفة و مِن ثَمَّ إلى الشارع..

ظلت «**سام**» تنظر إلى المارة و هي غارقة في التفكير ـ مسكينة يا سام ـ كانت تحاول فك ألغاز «**غوتزا**» و محاولة الربط بين الشخصية التي كان يتعامل بها «**شاهين**» معهما!

بـالأخير لم يكن عليها سوى أن تنتظر، هذا ما قد يضطرها لـتأجيل



خطة العلاج!

كانت المشكلة هنا في رد فعل دكتور «**ألبا**» الذي ينتظر تقاريرها الطبية بدايةً و بالتأكيد «**شاهين**» الذي ينتظر على أحر مِن الجمر..

تنهدت ثم اتخذت قرارًا بـ الاتصال بـ دكتور «**ألبا**»..

ـ أهلاً «**سام**»! كيف حالك؟

ـ دكتور «**ألبا**»! أظن أن علينا تأجيل جلسات العلاج.

ـ لماذا؟

الأمر يصعب شرحه، لكن بـ اختصار قد يكون الحبس أو القتل ضريبة لعلاج «**شاهين**».

هذه ليستْ من اختصاصاتنا يا «**سام**»، نحن مسئولون عن إعادة الذاكرة لـ»شاهين»، لا يهمنا إن كان رجلاً طيبًا أو مجرمًا، ما يهمنا أن تعود ذاكرته، ابدئي من اليوم.

بصوتٍ يغلب عليه الضعف:

لكنه يهمني أنا يا «**ألبا**»!

ساد صمتٌ طويل بينهما، دارت معه معركة من الذكريات..

دكتور «**ألبا**» كان الصديق المقرب لـ «**سام**» وكانا على وشك الزواج لكن و لأسبابٍ رفضت «**سام**» الإفصاح عنها انتهت العلاقة تمامًا و تلخصت في علاقة عملية من الدرجة الأولى، في بعض الأحيان تحدُث بينهم مناوشات، لكنها سرعان ما تنتهي حفاظًا على طبيعة العمل التي تجمعهم..

قطع «**ألبا**» صمتهم الممتلئ بالذكريات :

ـ حسنًا كما تريدين يا «**سام**».

انتهت المكالمة وعادت «**سام**» لـ ذكرياتها مع «**ألبا**»..

كان اللقاء الأول في العيادة قبل خمس سنوات، كانت «**سام**» طالبة تحت التدريب و كان «**ألبا**» المشرف على أعمال الطلبة، لاحظ «**ألبا**» شخصية «**سام**» القوية، و تفانيها في العمل و كانت «**سام**» أول مَن التحق بالعمل النفسي في رعاية المسنين، مِن هنا بدأ كل شيء، كان يساعدها أكثر من غيرها، لاحظ الجميع تصرفات «**ألبا**» و لاحظت «**سام**» هذا الاختلاف أيضًا لكن كانت «**سام**» تبتعد و تحاول وضع حَدًا لـ هذه التصرفات..

«**سام**»! «**سام**»!

قاطعت مناداة «**شاهين**» شريط ذكريات «**سام**».

عادت للغرفة، كان «**شاهين**» قد استيقظ للتو..

ـ كم الساعة الآن؟

ـ الثانية ظهرًا.

ردت «**سام**».

سألها «**شاهين**»:

متي ستبدأ جلسات العلاج؟

بصعوبة حاولت «**سام**» تغيير مسار الحديث:

ـ أخبرني أولاً كيف لكَ أن تتذكر كلماتٍ تكتبها، و أنت لا تتذكر إلا القليل؟



ـ و مَن قال أن الكتابة تحتاج لذاكرة عتيقة؟

ضحكت «**سام**»:

ـ هكذا يقولون، لـ تكتب أفضل عليكَ أن تقرأ كثيرًا.

ـ لكن أنا لا أحب أن أكتب بطريقة أفضل مما أنا عليها! هناك فرق بين الكاتب الأفضل و الكاتب الأصدق، اسمعي يا «**سام**» الكتابة عمل شاق روحاني من الدرجة الأولى، عمل صادق لا يحتاج لدراسات و أبحاث بل تحتاج لما هو أكثر صدقًا من القراءة، الكتابة لا تحتاج إلا لوجع عميق بداخلك تكتب له، و الوجع أقوى مِن أن يتناثر مع النسيان، تفهمين قصدي؟

ـ إذن؟

الكتابة لا تحتاج إلا لوجع صادق يُكتَب له.

على الفور اتصل «**غوتزا**» بـ «**مارتينا**» على الهاتف بعد أن عاد إلى مكتبه، ومِن ثمَّ اتفقا على أن يلتقيا بـ أحد المقاهي رفيعة المستوى..

هذه المرة وقبل أن يذهب إلى هناك اتفق «**غوتزا**» مع مساعديه الالتزام بسير ونظام العمل على أنه سيتابع أحدث التطورات عبر الرسائل المرئية؛ نظرًا لـ ارتباطه برحلات خارجية، ولن يكون متواجدًا في المستشفى هذه الفترة..

انطلق إلى المقهى ثم التقى بـ «**مارتينا**»، كانت «**مارتينا**» امرأة خمسينية العمر جميلة جدًا، لكن تطفو الحدة على ملامحها، لطالما كان يحبها «**غوتزا**» لكن الحب وحده لا يبني العلاقات، هكذا رفضته بعدما عرض عليها أمر الزواج، ولطالما حاول «**غوتزا**» الاقتراب منها لكن دون



جدوى فتعلقها الشديد بـ «**شاهين**» كان عائقًا وحاجزًا منيعًا بينهما، حتى أنه حاول مرارًا افتعال ثورة بينهما، لكن دون جدوى، فالمشاعر التي كانت تحملها «**مارتينا**» لـ «**شاهين**» كانت أقوى مِن محاولاته..

«**غوتزا**» كان يؤمن بالصداقات الحميمة، لكنه كان على وشك التيّقن أن الأمر بينها وبين «**شاهين**» أكبر و أعمق من صداقة، أو رفقة عمل، مرارًا حاول معرفة أصل هذه العلاقة لكن وكالعادة كانت محاولاته أشبه بمطاردة سرب من الدخان..

ـ «**شاهين**» حيٌ يُرزق يا «**مارتينا**».

ـ أنتَ تمزح!

ـ كنتُ معه قبل ساعات.

ـ أين كان؟

ـ وجدوه غارقًا بالقرب من ساحل «**مالطا**» ومن ثَمَّ جاءوا به إلى هنا.

بتفكيرٍ عميق سألت:

ـ ماذا عن شهادة الوفاة؟

ـ أنا مَن عجلت بـ استخراجها!

بنفس لكنة التوتر قالت:

ـ ماذا قال لكَ عند لقائك به..؟!

ضحك «**غوتزا**»:

ـ هو لا يتذكرني، لا يتذكركِ، لا يتذكر أيّ شيء..



تنهدت «**مارتينا**»:

ـ لا يهم، يكفي أنه على ما يرام الآن..

ساد صمتٌ للحظات ثم واصلت «**مارتينا**» بحذر:

ـ كُن حذرًا، لو أن أحدًا عَلِمَ بالأمر، فلن يتحمل «**شاهين**» توابعه، ولا أستبعد أن ننال حظًا مما قد ينال منه!

أشعل «**غوتزا**» لفافة تبغ:

ـ بالتأكيد لن يعرف أحد، احتراما لعَهدي مع عشيقته دكتور «**سام**».

بـ استنكار:

ـ عشيقته!!

بـ خبثٍ و دهاء قال:

أو زوجته!

سرعان ما أدركت «**مارتينا**» محاولات استفزاز «**غوتزا**» لها:

ـ هل يمكنني رؤيته؟

ـ سأحاول. فقط هذا قد يتطلب بعض الشروط!

ـ أيّ شروط ؟!

ـ لا تخبري أحدًا عن حقيقة علاقتكم يا «**مارتينا**»!

بعد تفكيرٍ عميق وافقتْ «**مارتينا**» ثم استأذنتْ و رحلتْ.



الفصل العاشر

٠٠:٥ م

في الوقت الذي كان يتفق «**غوتزا**» مع «**سام**» على زيارة جديدة لـ «**شاهين**»، كانت «**ديرا**» في المبنى النيابي بالمدينة تفتش بين الأجهزة اللاسلكية على اسم «**ديفيد شاهين**» عسى تجد اسمه مرتبطًا بـ أيّ مِن القضايا الجنائية، كانت تبحث «**ديرا**» بخيبة أمل كبيرة فـ القانون الإيطالي يُسقط كافة التهم عن الجاني ما إن تثبت حالة وفاته، وهذا ما قد يجعل الأمر أشبَه بالمستحيل، فالأنظمة الإلكترونية الحديثة تحذف بشكل تلقائي الملفات القديمة..

استمرت محاولات البحث أكثر من ثلاث ساعات لكن دون جدوى، حتى قاطعها صوت الهاتف..

- سيدة «**ديرا**»! أنا «**سام**»!

- أهلاً «**سام**»! ما الأمر؟

- أريد رؤيتكِ بعد ساعة من الآن.

- حسنًا إلى اللقاء.

واصلت «**ديرا**» البحث عن أي شيء متعلق بـ «**شاهين**»، في الوقت نفسه كانت «**سام**» تحاول امتصاص غضب «**شاهين**» بعدما أخبرته بتأجيل



جلسات العلاج. هذا القرار الذي رفضه رفضًا تامًا، لكن هذه المرة لم يندفع بوجه «**سام**» بل حاول معرفة أسباب التأجيل..

كانت «**سام**» في وضع لا تحسد عليه. حاولت اختراع إجابات من وحي الخيال، ومِثل هذه المبررات كانت أضعف من أن يصدقها «**شاهين**»، حتى وجدت «**سام**» حلًا يرضي «**شاهين**» و هو زيارة الأماكن التي كانت تشهد على ذكرياته، دون استخدام الذاكرات الإلكترونية كـ تمهيد لبداية العلاج الفعلي ؛ بعد عدة محاولات وافق العجوز على الاقتراح ثم طلب من «**سام**» زيارة منزله القديم الذي يقبع في الحي السابع بالمدينة، حاولت «**سام**» الوصول إلى الحي عبر الخرائط الإلكترونية، لكن كان من المنطقي أن تفشل، فقد تغيَّرت أسماء الأحياء والشوارع منذ أكثر من عشرة أعوام، هذا ما اضطرها للاتصال بـ «**ديرا**» ثانيةً طالبةً مساعدتها، اتفقا على أن يلتقيا بالميدان العام..

حضرت المحققة بسيارتها في الموعد، كان «**شاهين**» و «**سام**» في انتظارها بالميدان العام..

ـ هذا ميدان «**سان ريجرو**» أليس كذلك؟

قالت «**سام**»:

ـ تغير اسمه الآن لـ ميدان «**نيبرويان**».

أشعل «**شاهين**» سيجارته:

ـ هنا كان اللقاء مع «**لورين**»..

بحذر وشغف سألت «**سام**»:

أشتاق لحديثكَ عنها.

ضحك «**شاهين**» ثم انغمس في بحر الذكريات:

ـ كان صباحًا غائمًا، الشمس تظهر بحياء و أمازيج العصافير تبدأ بالعزف كما لو أنها تقف على خشبة مسرح عالمي، نسمات هواء باردة تنعش الصدر وعدد قليل جدًا من المارة على الطريق، كان وقتًا مناسبًا لنزهة «**بروف**»..

بدأنا بالمشي واللعب في الطريق حتى لاحظ «**بروف**» كلبة من سلالته النادرة عبر الطريق الآخر، وقف «**بروف**» ينبح بطريقة جنونية حتى وقفت راعية الكلبة!

أقول لكِ أنه بـ لحظة وقوفها والحياة وقفتْ معها كما لو أنها فتاة من عالم آخر، عالم من الحب والمودة كانت هي «**لورين**»، فتاة في مقتبل العشرينات جميلة للحد الذي لا حد له، ابتسمت لـ «**بروف**» ابتسامتها التي تنهي أشد الحروب حمية وثورة، داعبتْ «**بروف**» على رأسه ثم انشغل «**بروف**» بكلبتها الصغيرة، كنت أتشوق للحديث معها، ساعدني «**بروف**» على ذلك بعدما أصَرَّ على اللعب مع كلبتها، كانت تدعى «**ريكا**»، و واصلنا المشي..

ـ أنا «**ديفيد شاهين**»!

أهلاً «**ديفيد**»، أنا «**لورين**»، ممتنة للقائي بكَ!

ردت بـكلمات المجاملة المعتادة، أما عني فـ بلا سبب يذكر كنت في غاية السعادة..



يحدث أن تقع في غرام إحداهن منذ اللحظة الأولى..؟!

صدقًا لا أعرف لكن ما أعرفه أن لقائي بها ما كان إلا لحظة أولى وفارقة في حياتي بعد وفاة أمي وأبي، هذه الجميلة كانت أشبه بثورة حقيقية اجتاحت كل أركان قلبي..

واصلنا المشي لمدة ساعة كاملة، كان حديثًا متبادلاً بين الاهتمامات والهوايات، عرفت أنها تحب الموسيقى ولا تستهويها القراءة والكتابة, تدرس الفنون الجميلة وتعزف «**الكمان**»، كان الأمر طبيعيًا جدًا فـ امرأة مثل «**لورين**» خُلقت للرسم، للعزف، للحياة الجميلة..

كانت وكأنها تتنافس مع الجو أيهما أكثر روعة في هذا الصباح الغائم، وما حيلة الصباح أمام امرأة تملك وحدها كل مقومات الروعة! الدفء، الجمال، الصدق، والصفاء!

مَرَّ الوقت سريعًا أكثر مما ينبغي، استأذنتُ بالرحيل وقبل أن ترحل قالت:

ـ كان لقاءً ممتع يا «**شاهين**»، لو أن وقتك يسمح فهذه دعوة لحفل غنائي في «**روما**»، سأعزف هناك مع الفرقة.

تأكدتُ حينئذٍ أنها بداية، بداية حياة جديدة مختلفة تمامًا، كنت في غاية الامتنان والسعادة، حاولتُ إخفاء سعادتي الجامحة فسألتها:

ـ ألا تعتبر «**الكمان**» آلة قديمة؟

ضحكت بلطفٍ تام ثم قالت:

ـ نعم إنها كذلك لكنها تشبهني.

ودعتني بـ ابتسامة رقيقة، ظللت أتابعها حتى اختفت عن ناظري..

هنا كان اللقاء الأول والأجمل والأصدق، دعتني لحضور حفل غنائي أما عني فلقد اقتحمتْ قلبي دون أيّ دعوة.

وقفت سيارة «**ديرا**» لتقطع «**شاهين**» من شريط ذكرياته مع «**لورين**»..

جلست «**سام**» على المقعد الأمامي بجوار «**ديرا**»، كانا يتبادلا الحديث بصوت منخفض، لم يهتم «**شاهين**» بهمساتهم، كان مشغولاً بالمارة والأضواء والمباني العظيمة في «**البندقية**»، كلما وقعت عيناه على مبنى أو شارع حتى تهجم عليه الذكريات بلا رحمة، هنا كان يلعب، هنا كان يبكي، وهناك كان يضحك!

قد تتغير الحوائط والجدران، لكن تبقى الأماكن بذكرياتها محفورة في قلوبنا؛ وقفت السيارة أمام منزل قديم بـ أحد الأحياء الراقية بالمدينة..

كان الظلام بدأ يفرض قبضته على المدينة، في هذا الحي الراقي كل شيء هادئ، هادئ جدًا!

دون أن يسأل نزل «**شاهين**» من السيارة، وقف في منتصف الطريق وهو يتأمل العقار، الجدران، المباني، والشرفات!

اقترب من عقار قديم ثم تأمل إحدى الشُرفات!

هنا كان اللقاء الأخير بينه وبين «**لورين**»، هنا مرَّت، وهنا كانت نظرته الأخيرة لها!

تقدم أكثر ثم صعد لتصعد معه «**ديرا**» و «**سام**»، الطابق الثاني بالضبط!



وقف أمام الباب الحديدي عاجزًا عن فتحه، كان الباب يفتح ببصمة اليد، لم يكن يتذكر «**شاهين**» مثل تلك التقنيات الحديثة فطلبت منه «**ديرا**» أن يضع يده على الجهاز ومِن ثَمَّ انفتح الباب..

كان المنزل مرتب، مرتب ومنظم وكأن «**شاهين**» لم يترك هذا المنزل منذ فترة ليست بالقصيرة أبدًا، تجول «**شاهين**» في أركانه كـ مَن يستكشف كهفًا في عمق الجبل..

نظر «**شاهين**» لهما ..

هذا منزلي، أنا أعرفه، أعرف تفاصيله، هناك غرفة أبي وهنا غرفتي، في هذه الغرفة عانق الموت أمي، هنا كانت تلعب «**لورين**» مع «**بروف**»!

«**بروف**»! «**بروف**»! «**بروف**»!

ثار «**شاهين**» وهو يفتش عن كلبه الصغير :

«**بروف**» أنا هنا، أين أنت يا صغيري، «**بروف**» كفاكَ مزاحًا اظهر الآن، اشتقت لك، اشتقت لك يا صغيري، «**بروف**» أين أنت؟!

نوبة بكاء هستيرية تجتاح العجوز:

«**سام**» أجيبيني أين «**بروف**»؟!

أين «**بروف**»؟ أشتاق إليه أَلَمْ يشتاق إليّ؟!

أين هو؟

اتصلي بـ «**لورين**» الآن أخبريها أن «**بروف**» قد تاه عني، لا لا، لا تفعلي هذا لقد كانت تحبه، و أوصتني برعايته، ستحزن إن علمت بغيابه، ربما سترفض عودتنا!



افعلي أيّ شيء يا «**سام**» أرجوكِ لا تصمتي!!

نوبة غضب تجتاحه وهو يفتش أركان المنزل:

ـ هيا يا «**بروف**»! هيا سأعطيك الحلوى التي تحبها!

يا لكَ من مشاكس! كفاكَ عتابًا على غيابي لم أغِب طويلاً عنكَ.

ـ اهدأ يا «**شاهين**»! اهدأ!

مرة أخرى لم يتحمل «**شاهين**» نوبات البكاء والغضب, ترك لجسده حرية السقوط على الأرض بعد أن حقنته «**سام**» بالمسكنات.

حملت «**ديرا**» و «**سام**» جسد العجوز حتى وضعوه على السرير في غرفته، كانت غرفة «**شاهين**» أشبَه بغرفة سرية بدائية الإمكانيات، مدفئة صغيرة، ومكتبة تحمل بعض الكتب النادرة، على اليسار مكتب عليه بعض الأوراق، خلفه لوحة فنية لـ إحداهن، كانت اللوحة مرسومة بطريقة لا يستطيع أحد التعرف على ملامحها وبالأسفل مكتوب بخطٍ أعوج :

« **عزيزتي "LY" أنتِ هنا لأن الاحتفاظ بكِ في الخارج أمر مستحيل**»

كانت ملامح الفتاة يغلب عليها الحزن والكآبة، مزيج بين الألوان الرمادية والزرقاء فقط، وحدها ابتسامتها كانت تحمل اللون الأبيض!

تأملتْ «**ديرا**» اللوحة حتى قاطعتها «**سام**» عن تأملها :

ـ هل تعرفينها؟

بتوترٍ شديد:

ـ لا



اتجهت «**ديرا**» إلى المكتبة لتنسحب من سيل أسئلة كان ينتظرها أثناء البحث عن شيء يرضي «**سام**»، أو يكشف خطوط جديدة في حياة «**شاهين**»..

سألت «**سام**» من جديد:

ـ لماذا لم نذهب إلى منزل «**شاهين**»؟

ـ قلتُ لكِ لا تستهيني بما قد يعرفه «**غوتزا**»، لا أستبعد مراقبته لـلمنزل من الأساس.

جلست «**سام**» على المكتب وهي تفتش بين الأوراق:

ـ ماذا تقصدين؟

قالت «**ديرا**» :

ـ أقصد أنه لا أحد يعرف بـ أمر هذا المنزل!

ضحكت «**سام**» :

لا أحد إلا أنتِ! أكاد أجزم أن علاقتك بـ «**شاهين**» كانت أعمق مما يعرفها أحد!

هنا وقع في يد «**سام**» جواب بخط يد «**شاهين**»..

«عزيزتي "**LY**" نهاركِ سعيد!

إن الكتابة عمل شاق جدًا وقد يكون استخدامي لمِثل هذه الطريقة القديمة مجالاً للسخرية خصوصًا بهذا الخط الأعوج الذي يتعثر أكثر كلما كتبَ لكِ، صدقيني لا أجيد الكتابة لا أجيد التعبير عن كل المشاعر التي تثور وتنتفض بداخلي لكني سأحاول جاهدًا و لتغفري لي أخطائي الإملائية

ثـم أمـا بعد..

لطالما عِشتُ وحيدًا منعزلاً في غرفتي، كنت أهرب من أعين الجميع كـ لِص هارب من العدالة، كنت مُشرَدًا بين شواطئ الحزن، و مخيمات البؤس؛ هنا يعصفني الحنين وهنا يلوي الوجع قلبي، أميل ناحية اليسار فيداعبني الموت وأميل ناحية اليمين لـأشاهد لحظات سقوطي في عمق العفن، كان الموت يحوطني، والكآبة تسيطر على كل شيء، فنجان قهوتي المُر، سيمفونية حزينة تسود غرفتي الكئيبة، وبقايا رسائل غرامية لم تكتمل، سوداويتي التي احتلت، و اعتلت كل شيء في حياتي، هذا أنا وهذه حياتي الكئيبة المملة..

تعرفين أن البائسين أمثالي لا تغريهم الحياة أبدًا، لا يحبون ضوء الشمس، وأكثر ما يبغضونه سكون الليل بعتمته وكآبته وذكرياته الموجعة..

عزيزتي سأكون صادقًا معكِ من اللحظة الأولى، أحبكِ وليس أكثر وهذا أمر لو تعلمين عظيم، ربما العظمة هنا ليس في كوني أحبكِ فـ أنا من ضمن موسوعة كبيرة مهيمنة بكِ، أعرف جيدًا أن الرجال يحبون الفاتنات مثلك، و أعرف كل هؤلاء الشعراء الذين كتبوا عنكِ، لم أهتم فكل الأشياء الجميلة تستحق أن يثنى عليها الموهوبين، ولكن أن تحبكَ إحدى الجميلات فـ هنا يكمُن الفرق..

لطالما حاولت الابتعاد عنكِ بطريقة أو بـ أخرى ولكن أقسم لكِ رغم توبتي و اعتزالي طريق العشق لم أتمنى في حياتي سوى عشقكِ، هنا كانت المشكلة الحقيقية، قلبي يريدك بكل ما أُوتي من مشاعر مرهفة، وعقلي يرفض وجودكِ بكل ما أُوتي من منطق، في الصباح يتملكني القرار الأخير،



ومع سكون الليل أبحث عنكِ في أرجاء عالمي الأسود..

لا جدوى الآن من الكذب، سأعترف لكِ بكل شيء، أحبكِ وأحب كل الهالات السوداء التي تزين عينيكِ الحزينة، أحبكِ وأحب ضجيج أفكاركِ العقلاني منها والعشوائي، أحب لحظات جنونكِ وتأملاتكِ نحو اللاشيء، أحبكِ وأحب كل الأشياء التي تحبينها، حتى و إن لم تكن تعجبني، فيكفيني عشقكِ لها، أحب عشوائيتكِ في الكلمات فلا يهمني أبدًا أن تكتبي لي قصيدة كل صباح، تكفيني ابتسامتك، ويعجبني دومًا اختياراتك للأشياء المختلفة، ألوانكِ المفضلة، ملابسكِ الغريبة، حتى أدق أدق اختياراتك البسيطة تبهرني..

في الختام ؛ الذين قالوا أن الكتابة أبسط طُرق التعبير عن الحب لا يعرفون شيئًا عن الحب ولا يجيدون الكتابة عنه، لقد عانيت حتى أكتب لكِ شيئًا عما أحمله لكِ بداخلي، لكن، وفي النهاية فشلت فشلاً ذريعًا..

إنني رجل ينكر الحب ويرفض الاعتراف به، لكن و رغمًا عني تنازلت عن كبريائي مع هذه الكلمات تمامًا كما تنازلت عن وحدتي في وجودكِ..

سأحاول أن أكتب لك شيئًا يليق بـلوعتي وجنوني بكِ، لكن في هذه الليلة اعذريني فـ أنا منهكٌ جدًا الآن!

أحبكِ وكفى.»

صمتت «**سام**» بعد أن قرأت الخطاب، أعجبتها كلمات «**شاهين**» لكنها زرعت شكًا آخر حول شخصية "**LY**" التي كتب لها «**شاهين**» هذا الخطاب!

- لماذا لم يرسله لها..؟!



ومَن تكون هي..؟!

نادت «**ديرا**» لـ ربما تعرف عن أمر "**LY**" لكنها أنكرت معرفتها بهذه الشخصية..

واصلا البحث لكن دون جدوى، كلها أشياء عادية لا تذكر، خطابات لمصادر مجهولة و اختصارات لـ أسماء شخصيات يختلف طبيعة كل شخص منهم، فالعاطفية مسجلة بـ اسم "**LY**" والعملية مسجلة بـ اسم "**Go**" و خطابات أخرى مسجلة بـ اسم «**شاهين**»، كان خطابًا واحدًا يستطيع خلق ألف خيط لا يتصلان أبدًا..

تأخر الوقت فاضطرت «**سام**» للاحتفاظ بكل هذه الخطابات في الوقت الذي استمرت «**ديرا**» بالتأمل في اللوحة..

اقتربت «**سام**» من «**ديرا**» التي كانت مشغولة بالتأمل من جديد في اللوحة لتسألها:

ـ هل كان لدى «**شاهين**» أطفال..؟!

ضحكت «**ديرا**»:

ـ «**شاهين**» لم يتزوج من الأساس، وإن كان فـ مِن المستحيل أن يكون لديه أطفال.

ـ هل يكره الأطفال؟

ـ نعم.

ـ لماذا؟

نظرت «**ديرا**» لـ «**شاهين**» الغارق في نومه:



ـ لا يوجد سبب حقيقي لـ كُره «**شاهين**» للأطفال أو على الأقل أسبابه لم تكن مقنعة. كان يقول مثلاً أنه لا يتحمل أن يحمل مسئولية شخص ما على عاتقه، أو أنه يخاف عليهم مما قد تحمله الحياة من عواقب.

في الحقيقة لم أقتنع بمثل هذه الأسباب, لم يكُن رفضه منطقيًا فقط بل كان يرفض حتى مداعبة الأطفال له، كان لا يطيق إزعاجهم وتلقائيتهم،

هذا الرفض المبالغ جعلني أُفتِش عن الأسباب النفسية التي جعلته يرفضهم لـ هذا الحد!

«**شاهين**» كان يرفض الأطفال لـ أنهم ببساطة يُعرون قناع القوة والثبات بداخله، يشبهونه، يشبهون ذاك الشخص الذي لا يعرفه إلا القليل، القليل جدًا..

إن تفاصيل هذا العجوز كانت تكمن في الخفاء في الظلام، كان يثور ويغضب ويتألم في ثبات أمام الجميع كما لو أنه لا يبالي بـ أحد، كان يغار كـ غيرة طفل على أمه من مداعبات طفل آخر لها، يغار في هدوء تام دون أن يلاحظ أحد غيرته، يغضب وهو مبتسم، ويضحك في أشد لحظات حزنه وغضبه حتى هدوءه كان قناعًا يخبئ بداخله ثورة وغليان، لكن وما ان ينفرد بنفسه حتى يسقط هذا القناع، يحطم ويدمر كل شيء في غضبه، يبكي كما لو أنه طفل رضيع في حزنه، وما إن يشتد الألم والوجع حتى يلتوي في نفسه كما لو أنه جنين في الرحم، كل هذه الأشياء التي لا يعرفها أحد عن العجوز..

المدهش أنك ستسمعين من «**غوتزا**» وصفًا آخر عن «**شاهين**»، وصف لا علاقة له بما وصفته لكِ، ولربما إن التقينا بشخصٍ آخر سيقُص عليكِ



وصفًا آخر عن «**شاهين**»، ولو اجتمعت بـ ألف شخص يعرفه ستسمعين وصف ألف شخصية عن «**شاهين**»!

لا تُكَذّبي أيّ منهم فلا أحد منهم يكذب، «**شاهين**» يجيد الخداع يعرف كيف يؤدي دوره على أكمل وجه، هنا جاني وهناك مجني عليه، هنا رجل مسالم وهناك رجل يخطط لقتل أحدهم، هنا رجل يدعو للحرية، وهناك رجل يرفضها، هنا رجل مخلص لعشيقته الأولى، وهناك رجل يستمتع بجسد إحداهن!

كل هذه الشخصيات تكمُن في شخص واحد كما لو أنه قبيلة من الرجال في رجل واحد، قد نختلف في وصف شخصيته الحقيقية، مخادع، مكار، صادق، منافق، متلون، كل الصفات يمكن إلصاقها به، لكن بالتأكيد سنتفق أن «**شاهين**» طفل كبير و لهذه الأسباب كان يكره «**شاهين**» الأطفال.

ضحكت «**سام**» بـ استخفاف:

ـ كل هذا الوصف وتقولين أن علاقتكما لم تكن إلا صداقة عابرة!

هَزّت «**ديرا**» رأسها:

ـ نعم يمكن لـ أيّ أحد مُهتم بعِلم النفس أن يلاحظ هذه التصرفات.

أشعلت «**سام**» سيجارتها وهي تتأمل «**ديرا**»:

ـ وهل يعرف أحد بـ أمر هذا المنزل؟!

ـ لا أعرف، صدقًا لا أعرف، لكن على الأقل لا أعتقد أن «**غوتزا**» يعرف بـ أمره!



سادَ صمتٌ طويل بينهما حتى غلب عليهما النوم.

***



«الرحيل قد لا يحتاج إلى كلمات، فقد تقوم الأفعال بهذا الأمر، وربما أكثر كفاءة وصدقًا منها»



الفصل الحادي عشر

على الجهة الأخرى..

كانت «**مارتينا**» تستعد لمقابلة «**شاهين**»، هذه المرة لن يتذكرها وقد لا يختلف الوضع كثيرًا فـ «**مارتينا**» لم تكن في حسابات وتفكير «**شاهين**» من الأساس، فما كانت بالنسبة لـ «**شاهين**» إلا امرأة عادية لا أكثر!

تذكرت «**مارتينا**» لحظة اللقاء الأول بـ «**شاهين**». كان ذلك قبل ثلاثين عامًا، يومها كانت الممرضة الخاصة بـ «**شاهين**»، تابعت حالته عن كَثَب حتى ساعدته على استعادة عافيته، استمرت العلاقة بينهما ولطالما حاولت «**مارتينا**» الاقتراب من «**شاهين**» لكن دون جدوى، لم يبادلها أيّ مشاعر. كان مشغولاً بحياته و إنجازاته، وعلى الجانب العاطفي كان يعاني من آثار فقدانه لـ «**لورين**»، اتفقا على أنهما صديقين لا أكثر.

«**مارتينا**» هي الصندوق الأسود في حياة «**شاهين**»، وحدها مَن شهدت البداية مِن كل شيء أو بمعنى أوضح بداية الحياة الجديدة لـ «**شاهين**» و رغم كونها الصديقة المقربة له إلا أنها لم تتحمل هذا الوضع فـ تزوجت ومِن ثَمَّ تلاشت علاقتهم رويدًا رويدًا حتى جمعتهم علاقة ما فـ عادت علاقتهم من جديد، لكن حدث ما لم يتوقعه أحد وفقد «**شاهين**» ذاكرته..

خلعت «**مارتينا**» ملابسها و اتجهت إلى السرير برفقة كأس النبيذ وهي تتمايل بين الذكريات واللحظات التي شهدت على علاقتها بـ «**شاهين**»،



وقفتْ أمام المرآة تداعب خصلات شعرها بـ نرجسية..

ـ ماذا كان ينقص هذا الجسد لـ يرفضه «**شاهين**»؟!

غبي! غبي! رفضني لـ أجل سمراء من الغجر مهما حاولت التَمَدن والحياة المتطورة لن تعطي أكثر مما كنت سأعطي أنا له، لم يفهم أن زواجي ما كان إلا للانتقام منه، لكنه لم يلاحظ من الأساس، أحببت هذا الغبي حُبًا جنونيًا!

حُب لن يفهمه أبدًا، شاركته كل المواقف الخطرة ليعرف أنني على استعداد لتقديم عمري له سبيلاً للعشق، وضعت روحي وقلبي على طبق مِن ذهب. كنت أكثر شغفًا منه، أكثر حبًا وصدقًا وإخلاصًا منه، رغم انتهاء علاقتنا مدة طويلة لم يَغِب عن بالي لحظة، رغم زواجي لم أستطع نسيانه!

ومِن ثَمَّ ماذا فعل هو؟ لورين! قائمة من العاهرات! النجاح! المجد! المال! وما لم يعرفه أحد سوانا!

كان يرغب في امتلاك كل شيء، تتملكه النشوة لكل شيء إلا أنا، يتذكر ويحب ويتمنى كل شيء إلا أنا، ثلاثون عامًا بجواره والآن لا يتذكرني!

سحقًا سحقًا يا شاهين!

صباحٌ جديد للأسف!

استيقظ «**شاهين**» بعد حقنة المخدر التي أعطتها له «**سام**»، اتجه مباشرة إلى الصالة ثم أشعل سيجارته وهو يتأمل أركان المنزل كما لو أنه يراه للمرة الأولى!

هنا كان يلعب وهنا كان يضحك وهناك سمع مداعبة والده لـ أمه، كان

يغار بلا سبب، يُقال أن أول عدو للرجل هو والده بسبب غيرته على أمه، كان يغار عليها بطريقة مريبة يظهر غضبه ويثور ويبعدها عنه لكن مع العمر استوعب أن الغيرة لا تشمل غيرته من أبيه فاحتفظ بثورته الداخلية حتى تأقلم على الوضع..

لم تكُن هناك عداوة مباشرة بين «**شاهين**» و والده لكن كان كل منهما يحمل عداوة خفية للآخر ؛ «**شاهين**» هو الابن الوحيد لهما و من هنا كانت الخلافات..

لطالما أراد الأب أن يسيطر على أفكار و أحلام الابن لكن كان رفض الأخير أكبر مما يتخيله أحد حتى أمه لم تتوقع هذا الرفض، لم يكتفي «**شاهين**» بالرفض، بل رفض وسخر من أفكاره ومبادئه بعجرفة لم ينساها الأب أبدًا، ومن هنا بدأ العصيان الأبدي بينهما، بل ظل الأب ينتظر لحظة خضوع الابن له حتى الأنفاس الأخيرة. ولطالما حاول «**شاهين**» رفض الخضوع والاستلام، حتى بعد وفاة الأم اتضحت الرؤية أكثر فأكثر، وظهر الخلاف الأبدي والحقيقي بينهما، توَعَد الأب بالجحيم للابن، وتَوَعَد الأخير للأب بالمجد وتحطيم أفكاره ومبادئه ..

هل نسيت يا أبي أنني ابنك الأول والأوحد والمفضل والمدلل؟!

هل نسيت أنني منك؟ في الأصل أنا صورة منك بكبريائي وغروري وقوتي..

الصورة اللعينة منك! ربما لكن في النهاية أنا جزء أصيل منك، جزء لا يتجزأ من شخصيتك، أنت لست مميزًا عني، أنت فقط تظهر بوجهك الجميل، وجهك الذي جعل الجميع يقدسك ويحترمك ويخاف منك!



أما عني أنا! فأنا الوجه الذي تُخبئ عن الناس، هذا الوجه الذي جعلتهم يبتعدون عني بسببه. جعلتهم يظنون بي كل سوء وكأنني من اخترت هذه الصفات، لولا التحدي ما كنت أنا، ما كان هذا وجهي وتلك صفاتي، لولا التحدي لـ اجتمعنا في مكان واحد، في صفات واحدة، لكنك رفضت أن يشاركك أحد الجمال والصفاء كما لو أنهم ملك لك وحدك!

هل تفهم! لولا التحدي ما حدث كل هذا.

الشيء المحزن أن «**شاهين**» لم ينسى التحدي الأبدي مع والده، كلما اتخذ خطوة في طريق النجاح كان يشعر بـ لذة الانتصار على والده، كان أشبه بتحطيم أصنام اليأس والفشل الذي توعد به الأب لـ «**شاهين**»، بل كان يعود إلى غرفته ويلعن ويسُب تلك الأيام والذكريات التي جعلت منه ناجحًا لينتقم منه.

تذكر وقتما اتهمه الأب في رجولته فأصبح يمارس الجنس ويتلذذ بصرخات النساء ثم يهمهم :

«**الآن أنا أقوى منك**»..

تذكر وقتما اتهمه الأب في عقليته فبدأ بالكتابة الإلكترونية حتى أصبحت كلماته تتداول بين الجميع، فـ يهمهم :

«**أنا الآن أعلم منك**»..

تذكر وقتما اتهمه الأب بفقر إمكانياته المادية وما إن امتلك حسابًا بنكيًا حتى قال :

«**أنا الآن أغنى منك**»..

تذكر.. وقتما اتهمه الأب في وفائه ومشاعره حتى بدأت علاقته بـ «**لورين**» فقال :

«**أنا الآن أوفى منك**»..

تذكر..تذكر.. تذكر كل شيء لكنه لم يتذكر ما حدث بعد رحيل «**لورين**»!

رفض الاعتراف بهزيمته أمام الأب، حتى بعد تجاوزه العقد الخامس من عمره، رفض الخضوع منتظرًا حلاً آخر، لكن وبالتأكيد ورغم ماضيه المجهول إلا أن بداخله كان يؤمن أنه لن يخضع أبدًا..

استيقظت «**ديرا**» كانت منهكة تمامًا كما لو أنها كانت تركض خلف غزال يهرب من مطاردة أسد جائع!

يقولون أن المجهود البدني يُقصر العمر!

ربما هذه القاعدة لها معطيات مختلفة مع «**ديرا**» فلطالما كانت تفضل المجهود البدني عن المجهود الذهني والنفسي..

استعادت عافيتها سريعًا ثم اتجهت لـ غرفة «**شاهين**» كان يقف هناك يتأمل صورة الفتاة المرسومة..

ـ هل تتذكرها..؟!

ابتسم «**شاهين**»: لا، لكن أشعر تجاه هذه الفتاة بـ شيء ما، شيء مألوف كما لو أنني أعرفها.

بضحكة حزينة جدًا سألت «**ديرا**»:

ـ وهل تتذكرني..؟!



ساد صمتٌ طويل بينهما، صمتٌ يغلب عليه الذكريات، يتبادلان النظرات، المشاعر، الأسئلة، وذاكرة واحدة فقط تعرف كل شيء والأخرى تشعر ولا تتذكر..

النسيان أكبر خدعة أوهم الإنسان نفسه بها ليتجاوز التعثرات والآلام، لكن في الحقيقة توجد ذكريات لا تتعلق فقط بالذاكرة، إنما تكمُن في المشاعر، في القلب، في التفاصيل!

قد تتجاوز لكن لا تنسى، قد تتأقلم لكن لا تنسى، قد تعتاد لكن لا تنسى، لا معنى للنسيان، لا محل له في مشاعر العشاق، وفي تفاصيلهم..

حتى «**شاهين**» ذلك العجوز الذي أصاب المرض ذاكرته لم ينسى، كان يعرف «**ديرا**»، يعرفها عن ظهر قلب، صحيح أن ذاكرته لا تتذكرها لكن قلبه ينبض، مشاعره تثور وتلتوي وعقله لا يهدأ!

عشر دقائق مرَّت يتأمل فيها كلاهما ملامح الآخر..

«اعترفي له، قولي له أنكِ حبيبته!

لا إياكِ وفعل ذلك، هو لم يحبك من الأساس!

عانقيه! عانقيه يا «**ديرا**» هو يحتاج لكِ!

لا لا تفعلي ذلك، هو لا يتذكرك من الأساس!

أمسكِ بيديه، ساعديه أن يتذكر كل شيء!

ماذا لو تذكر كل شيء إلا أنتِ؟!

أعطي له فرصة أخيرة، صدقيني سيصبح ملكًا لكِ!

لا هذا الوغد لا يستحق أيّ فرصة، لقد أوهمك بالحب!

لا هو لم يوهمك، كان يحبك يا «ديرا»، كان يحبكِ!

لم يحبكِ، أحب غموضكِ وحزنكِ و انعزالكِ!

كان يحبكِ، فعل الكثير لـ إسعادكِ؛ لـ تهوين أثقالكِ!

لم يحبكِ، فعل كل هذا لينساها بكِ!

أحَبكِ، كان يكتب لكِ، يتذكركِ دائمًا وسط مشاغله!

لم يحبكِ، كان يكتب لها، يتذكرها وهو نائم على صدرك!

اعترفي له، اجعليه يتذكركِ!

لا تعترفي، اصمتي!

اعترفي!

اصمتي!

تذكري لحظات عشقكم!

تذكري لحظات خذلانه لكِ!

تذكري كلماته عنكِ!

تذكري قسوته عليكِ!

عانقيه!

لا تفعلي!

اعترفي!

اصمتي!»



وبين رغبة الاعتراف و رغبة الصمت كانت تتمزق «**ديرا**»..

ـ صباح الخير..!

قاطعتهم «**سام**» عن صمتهم.

كانت قد استيقظت للتو على صوت «**غوتزا**» يخبرها أن هناك ضيف يريد الاطمئنان على «**شاهين**» و اتفقا على اللقاء بعد ثلاث ساعات، على الفور نهضت لـ تُخبر «**شاهين**» و «**ديرا**» بالأمر..

ـ كيف حالك الآن يا «**شاهين**»؟

ـ بخير، ماذا حدث بالأمس؟

قاطعته «**ديرا**»:

ـ لا عليك.

خرج «**شاهين**» إلى الصالة، ثم أشعل سيجارته وهو يتأمل من جديد في أركان المنزل..

جلست «**سام**» على الأريكة..

ـ استعدوا للرحيل.

سألت «**ديرا**»:

ـ ماذا حدث؟

ردت «**سام**»:

ـ اتصل «**غوتزا**» وطلب أن نلتقي بعد ثلاث ساعات.

بـ استهجان:

ـ لماذا؟

أشعلت «سام» سيجارتها:

ـ يقول أن هناك ضيف يريد الاطمئنان على «شاهين».

سألت «ديرا»:

ـ مَن يكون؟!

ردت «سام»:

ـ لم أسأله.

شغلت «ديرا» فيلمًا رومانسيًا على شاشة العرض، ثم نظرت لـ «شاهين»:

سيعجبك هذا الفيلم، أنا واثقة مِن ذلك.

مرت ساعة بين أحداث الفيلم حتى جذب انتباهه مشهد..

«الحديقة العامة، شاب وفتاة يتبادلان القبلات، وكلب صغير يجلس بعيدًا، الحديقة خاوية من البشر ممتلئة بممارسات الحب..

ـ هل تحبها؟

ـ أحبكِ أنتِ!

ـ إذن لماذا تُصِر على بقائها بجوارك!

ضحك البطل وهو يداعب خصلات شعر الفتاة: لا سبب لرحيلي عنها!

يعانقها من جديد، تبدأ الشمس بالاختفاء رويدًا رويدًا، وتلتهب ممارسة العشق بينهم..



-أنا أنتظر لحظة رحيلك عنها!

- لقد اقتربتُ لا تقلقي.

فجأة سمع صوتًا من بعيد!

كانت فتاة بصحبة صديقاتها يتحدثن بصوت عالٍ، اقتربت الفتاة من البطل ومعشوقته، حاول الاثنان الاختباء لكن دون جدوى..»

على الفور أغلق «شاهين» شاشة العرض وهو يقول:

- هذا المشهد أعرفه!

نظرت «ديرا» له:

- هذا العرض الأول من الفيلم!

حَكَّ «شاهين» رأسه:

- سينكشف أمر البطل! أليس كذلك؟

هزت «ديرا» رأسها :

- نعم.

قاطعتهما «سام»:

- ماذا يعني هذا؟

- يعني أن هذا الفيلم من كتابات «شاهين».

تنهد «شاهين»:

- اللعنة..!

الفصل الثاني عشر

عاد العجوز و «**سام**» إلى الدار، و اتجهت «**ديرا**» إلى المبنى النيابي بعدما رفضت حضور لقاء «**شاهين**» بالضيف الجديد..

في الشرفة كان يجلس العجوز يفكر فيما ينتظره، في داخله كان يعرف أن رحلة البحث عن ذاكرته لن تكون بالمهمة السهلة، كان يعرف أن صفاته اللعينة قد تكون أجبرته على فعل أي شيء. لا يستبعد كونه قاتل أو مقامر أو مخادع!

مهما أنكر هذه الصفات كان في نفسه يثق أنها موجودة بداخله!

سحب من سيجارته نفسًا كما لو أنه يحاول قتل إحدى الشخصيات بداخله، و أخذ يتأمل المارة..

بالخارج كان قد وصل «**غوتزا**» بـ صُحبة «**مارتينا**» ؛ للوهلة الأولي تأملت «**مارتينا**» ملامح «**سام**» كما لو أنها تعرفها معرفة شخصية، كان العمر بينهما يتجاوز الخمسة والعشرين عامًا وهذا ما قد يجعل لقاءيهما في السابق أشبه بالمستحيل!

رحبت بهما «**سام**» ثم اتجهت إلى المطبخ لـتُعد القهوة لهما، تابعتها «**مارتينا**» بنظراتها حتى اختفت عنها..

ـ هل تعرفينها؟





سألها «**غوتزا**»..

بتلقائية وهي تتابعها بالنظرات:

ـ نعم أعرفها، وأحبها!

ظهر «**غوتزا**» كأنه لم يسمع ردها:

ـ ماذا تقصدين؟

سرعان ما عادت «**مارتينا**» إلى وعيها:

ـ لا لا أعرفها.

عادت «**سام**» حاملة معها القهوة بـ ابتسامة باردة..

ـ أهلاً بكم، «**شاهين**» في الشرفة تفضلوا..هيا بنا!

بـ ابتسامة عادية:

ـ لا لا علينا الرحيل الآن!

بغضب رد «**غوتزا**»:

ـ ماذا! ألا تريدين رؤية «**شاهين**»..؟!

حملت «**مارتينا**» حقيبتها وهي تبتسم لـ «**سام**»:

ـ شكرًا على حُسن الضيافة، هيا يا «**غوتزا**»!

خرجت «**مارتينا**» برفقة «**غوتزا**»، وقفت «**سام**» متصلبة في مكانها، لا تفهم أي شيء مما حدث. سريعًا خرجت «**مارتينا**» ركبت سيارتها ثم اتجهت للطريق الرئيسي كان يجلس على المقعد الأيسر «**غوتزا**» وهو يحاول إيجاد مبررًا لما فعلته!

وقفت السيارة فجأة..

في ثورة قالت «**مارتينا**»:

ـ «**غوتزا**»! من الآن وحسب لا تتصل بي, لَسنا أصدقاء من الآن، وأحذرك إياك أن تخبر أحدًا بأمر «**شاهين**»، هل تفهم؟ انتهى كل شيء، انتهى كل شيء يا «**غوتزا**».

ـ ما الذي حدث لكل هذا؟

ـ ليس من شأنك معرفة أكثر مما قُلتُه لك.

فتحت «**مارتينا**» باب سيارتها ليخرج «**غوتزا**»، ما إن خرج حتى انطلقت بأقصى سرعة..

وهنا صاح «غوتزا: بغضب:

ـ لقد بدأ كل شيء يا «**مارتينا**»، لقد بدأ كل شيء يا عاهرة.

اختفت السيارة عن ناظريه، سقطت الأمطار كبداية لفصل الشتاء، أو ربما بداية لأحداث مثيرة منذ هذه اللحظة.

خرج «**شاهين**» إلى الصالة فـ وجد «**سام**» متصلبة في مكانها كما لو أنها جثة متجمدة..

ـ ماذا حدث؟

كانت «**سام**» صامتة تمامًا!

ـ «**سام**»! ماذا حدث؟

ـ لا شيء، لا شيء..



- تأخر «**غوتزا**» أليس كذلك؟

- لن يأتي، لقد اعتذر عن اللقاء.

- لماذا؟

- أسباب خاصة.

- رائع! ماذا سنفعل الآن؟

قبل أن ترد «**سام**» على العجوز رن الهاتف..

- مرحبًا!

صوت امرأة يغلب عليها القلق:

احترسي من «**غوتزا**»، احترسي مما قد يفعله.

«انتهت المكالمة»..

«المبنى النيابي»

كانت «**ديرا**» تجلس في مكتبها تواصل البحث عن شيء بخصوص «**شاهين**» أو «**غوتزا**»، لكن دون جدوى فلا أثر لهما في ملفات القضايا الجنائية!

رن الهاتف..

- أهلًا «**ديرا**»! أنا في انتظارك بعد ساعة من الآن في «**لاتنيو**» تعرفينه؟

- من أنتِ؟

- ستعرفين كل شيء بعد ساعة إلى اللقاء، شرط أن تأتي بمفردك،

وحدكِ يا «**ديرا**»، وحدك.

«**انتهت المكالمة**».

٦:٣٠م «**لاتنيو**»..

جلست «**ديرا**» بجوار النافذة تتابع المارة من خلف اللوح الزجاجي، تبدو المدينة هادئة في الخارج، في «**البندقية**» توجد أحياء هادئة طوال اليوم و أحياء لا تهدأ أبدًا مثلها كـ «**وول ستريت**» في «**نيو يورك**»، و»الشانزليزيه» في «**باريس**» و «**دمشق**»..

لكن هذه الليلة لم تكن «**ديرا**» إلا صامتة كـ «**دمشق**»، صامتة بطريقة مرعبة، لا تبكي، لا تتحدث عما بداخلها، وتبتسم طوال الوقت، ومثل هذه العلامات تعني أنها محطمة، محطمة تمامًا، لا أحد يعرف حقيقتها، هي تلك الفتاة التي وقعت في قصة غرامية مع رجل حبيس أوجاعه وأحزانه، حبيس حمقاءٍ سرقت ذهنه، وتربعت على عرش قلبه حتى بعد الغياب، كانت «**ديرا**» تجدها بين كلماته، بين تنهيدات حزنه ولحظات جنونه، تذكرت محاولاتها لـ انتزاع تلك الملعونة من قلبه، حاولت وحاولت لكن دون جدوى!

«**شاهين**» كان حلم فتاة مهووسة بكتاباته، كان أشبه بنجم بعيد بعيد جدًا عنها، تتأمل تحلم لو أنها تقترب أكثر، لو أنها تنام على سطحه حتى لو كانت ضريبة هذا النوم هو الاحتراق!

لم تنكسر «**ديرا**» بل احترقت، احترقت تمامًا في قصة عشق سرية لا أحد يستطيع أن يجزم بوجودها، حتى هي لا تستطيع أن تجزم إن كانت هذه القصة متكاملة الأركان أم أنها كانت ككل الأشياء التي تحبها ولا تراها!!



تحب الله دون أن تراه، وتشتاق للجنة رغم أنها لم تراها, و أوقعها الزمن في غرام «**شاهين**» رغم أنها لا تعرف حقيقة مشاعره لها، حتى بعد أن أعاد الزمن ترتيب المشاهد، وتبادل كل منهما الأدوار رفضت «**ديرا**» الخضوع مرة أخرى أمام «**شاهين**»، رفضت أن تظهر مشاعر الحب تجاهه كما لو أن هذا العجوز لا يعنيها!

الكبرياء!! هذا الذي لا يهدمه الزمان أبدًا حتى الحنين لا يقوى على هزيمته، قد نضعف، نشتاق ونحتاج ونتمنى لو أن كل ما حدث في الغياب ما حدث أبدًا، نكتب الرسائل الطويلة الممزوجة بتنهيدات الاحتياج، نستعيد الذكريات والمواقف والتفاصيل، نغفر كما لو كانت قلوبنا لم تتألم من مرارة الوجع أبدًا، نغفر ونسامح تحت عرش الحنين، لكن وقبل أن نسقط يظهر الكبرياء فجأة ليمنعنا حتى عن متابعة أخبارهم، نعود من حيث أتينا من حزن و وجع و آلام و كسر، وبالأخير نرتدي قناع القوة من جديد لـ تنتهي لحظات أليمة بطلها الفقدان والكبرياء والوجع.

- فودكا مع الكثير من الثلج من فضلك!

طلبت «**ديرا**» مشروبها المفضل من النادل..

لم تكن «**الفودكا**» مشروبها المفضل أبدًا، في الصِغَر كانت تكره السجائر والماريجوانا والكحوليات، كانت ترفض أي شيء يغيبها عن الواقع، كانت تؤمن أن الحياة الصادقة لا تستحق إلا مشاعر صادقة في الحزن والفرح، لكن ومَن في هذه الحياة لم يكن صادقًا في بدايته؟!

لم تكن «**ديرا**» فتاة عادية منذ الصغر كانت ثورية الطبع تحب الموسيقى، التشويق، والسفر، تتمنى لو أن الحياة هادئة، هادئة جدًا، فقط

الرقص والحب والعدل، لكن الحياة لا ترحم أولئك الذين انتظروا منها الحياة فـ أعطتْ لهم الموت ضريبة لـلأمل..

لـلأمل قصة أُخرى مع «**ديرا**»، كانت تأمل في كل ما هو جميل في الحياة، لكنها تعلمت الدرس، كان أقسى الدروس على الإطلاق، أصعب من مواد المراحل الأساسية، أصعب من مواد القانون في جامعتها، وأصعب من امتلاك قلب «**شاهين**»، الحياة لا تقدم لنا شيئًا دون مقابل، ثم ماذا كان بوسعها أن تُقَدِّم؟! فهي ولدت لـ تُعطي..

ماتت أمها قبل أن تكمل عامها الأول ومات والدها بسبب جرعة زائدة من الهيروين، هنا تنازلت عن حلمها في دراسة الموسيقى لتلتحق بدراسة القانون الجنائي، صحيح أنها نجحت وأصبحت امرأة قوية لكن وبداخلها كانت فارغة، فارغة تمامًا من الحياة..

بالخارج وعلى الجانب الآخر من الطريق كانت تجلس «**مارتينا**» في سيارتها، ترتب أفكارها حيث اللقاء بينها وبين «**ديرا**»، هذه المرة الأولى التي ستلتقي بها في غياب «**شاهين**» لطالما كانت العداوة بينهما قائمة..

«**مارتينا**» الممرضة والصديقة القديمة لـ «**شاهين**» هي التي شهدت بداية المعاناة، الوجع والحزن والصبر ومن ثَمَّ المجد، هي مَن تعرف ما لم تعرفه امرأة أخرى عن «**شاهين**»، هكذا ظنت فـهي تعرف الجانب الخفي منه.. أحبته «**مارتينا**»!

أحبته بطريقة لا يستوعبها أحد، تحملت معه كل شيء، تعرفه منذ نعومة أظافره، منذ ثلاثين عامًا!

كانت تؤمن أن الإنسان يولد بعد وجعه الأول، وهي أول مَن شهدت



على وجعه، على حزنه الأول وغربته الأولى..

أما عن «ديرا» فهي تراها فتاة غجرية أعجبها نجاحه فرافقته في مسيرة زائفة تحت أضواء الشهرة والمجد..

رن الهاتف لـ يُذكرها بـ الوقت، إذن هي السابعة مساءً!

رَمَت سيجارتها مِن النافذة كأنها ترمي معها أثقالاً وذكريات حان الوقت لـ تظهر لـلنور بعد سنين من الكتمان..

خرجت من السيارة و اتجهت ناحية المقهى، من بعيد لمحتها «ديرا» وهى تقترب إليها ؛ أشعلتْ «ديرا» لفافة التبغ بـعصبية، لطالما كانتْ رؤيتها تصيبها بحالة من العصبية والغضب..

في مثل هذه الحالات ينبغي الهدوء يا «ديرا».

همهمت في نفسها وهى تحاول السيطرة على مشاعرها..

بـ ابتسامة باردة تبادلا التحية!

الفصل الثالث عشر

بدأت «**مارتينا**» وهى تتأمل ملامح الأخرى :

ـ لم أتأخر أكثر مما ينبغي أليس كذلك؟

بـجدية تامة ردت «**ديرا**»:

ـ لا عليكِ، ما الأمر؟

تنهدت «**مارتينا**»:

كان من المُفترض أن ألتقي بـ «**شاهين**» في الصباح، بالفعل وصلتُ إلى هناك وكنت على وشك رؤيته لكن هذا لم يحدث!

بالطبع تسألين لماذا؟

سأخبركِ بشيءٍ في غاية الخطورة والسرية، لكن وقبل أن أخبركِ به الآن سأقول لكِ شيئًا آخر ؛ «**ديرا**»! أنا لا أكرهكِ، لكن أكره كل مَن يحاول الاقتراب من «**شاهين**»، أكره كثرة النساء حوله، ولطالما كثرت النساء حوله، لطالما كان «**شاهين**» بمثابة الأب والصديق والحبيب، أحببته رغم عشقه لـ «**لورين**» رغم جرحه العظيم منها، كنتُ أتمنى لو أنه يمكنني شفاء كل الأوجاع التي في قلبه منها، ثم يعود صافي القلب لا يعرف فتاة أخرى إلا أنا، لا يحب إلا أنا، لكن لطالما كانت هذه الأمنية أشبه بـ الخرافات، نؤمن بها لكن لا نصدقها، كنتُ أعلم أن الحياة الأبدية معه لن تحدث أبدًا،



حاولت، حاولت التربع على عرش قلبه لكن وفي كل مرة أقترب منه كان يبتعد هو..

قرأتُ ذات مرة قصة بين عاشقين ؛ يقول الكاتب:

«أنه كان هناك رجلاً يقول دائمًا لـ حبيبته

«إياكِ ثم إياكِ أن تحبيني، أنا قذر وسوداوي، ولا أصلح لـ أيّ علاقة عاطفية، أحب الموت مثلما تحبين أنتِ الحياة»

كان يقسو عليها لـ يبعدها عنه، يتركها في عناءٍ وبؤس ثم ينهال عليها بـ الإهمال لعلها تَمِل فـتبتعد عنه!

فـ كانت تبتسم وهى تقول له «**أحمقٌ أنتَ، إنني أحبكَ رغمًا عني، لو كان الأمر بيدي لـ اعتزلت غرامكَ الأبدي ولعنتُكَ بين حديثي عنكَ وكلماتي لكَ»**

كانت تنتظره بشغف ليعود نائمًا على نهديها، كانت تلتمس لغيابه ألف عذر وتغفر له قسوته عسى يشعر بالخجل ويقترب!

كان يصرخ: «**ابتعدي، أنا لن أكون لكِ أبدًا، أنتِ لا تستحقين الحياة معي، لا تستحقين الحياة مع هذا الوجه البائس والملامح التعيسة، لن أسمح لكِ أن تقضي عمركِ بداخل هذه السوداوية والكآبة التي تسيطر على حياتي»**

كان يدفعها بعيدًا عنه عساها تتألم فـتبتعد!

كانت تقترب وتهمس له: «**سأقترب، إن ما أحمله لكَ شيء لن يستوعبه عقلكَ الغبي، إنني لا أريد الحياة الوردية إن لم تكن معكَ، أرفض مسببات**

الحياة إن كانت ضريبة لغيابكَ، ولو أن القدر سيعوضني بما هو خير منكَ. فـ ما أجمل الشر إن كنتَ أنتَ كل الشر!»

كانت تثيره بكلماتها لعله يشعر بعمق مشاعرها نحوه فـ يقترب!

كان يثير غضبها فيظهر أمامها برفقة الجميلات، يكتب خطابات رومانسية لغيرها من النساء، يتحدث معها وهو فاقد الوعي تحت تأثير الكحول، ويسخر من حبها له عساها تشعر بالذل فتبتعد!

كانت تمتلئ غضبًا فتظهر أمامه لا تبالي، تُخبئ دموعها عنه وتلتمس لـ رفقته الجميلات الأعذار، ما إن تراه مخمورًا حتى تشفق عليه من أوجاعه، وما إن يسخر من حبها حتى تبتسم فرحًا لـ أنه على يقين من حبها له، كانت تلقنه دروسًا في الحب عسى يشعر بمشاعرها فيقترب!

كان يحبها لكنه لم يظهر حبه لها خوفًا مِن أن يؤذيها..

كانت تحبه حد إيمانها التام أنه لا يستطيع أن يؤذيها...

كان مغرورًا و وحيدًا، يفعل كل شيء لـ تحبه ثم يبتعد..

كانت طيبة وحنونة تستقبل منه كل شيء ثم تقترب..

كان كالصبار يوجعها بإرادته وعن غير إرادته..

كانت كالأرض تحتضنه رغم كل شيء..

أحبها بصمتٍ..

أحبته بجنون..

في النهاية ابتعدَ وهو يرتجف من شدة احتياجه لها..



ابتعدت وهي تظن أنه مِن الأساس لم يحبها..

انتهى الوصل وتفرقا بين طرق الغياب..

هو لم ينسى لكنه لن يقترب..

وهي لم تنسى لكنها لن تقترب..

يمنعه عنها الخوف..

ويمنعها عنه الكبرياء..

وبين الخوف والكبرياء ألف قصة لم تكتمل!»

تعرفين ما المشكلة يا «**ديرا**»!! أن هذه الفتاة التي وصفها الكاتب تشبهني، لكن «**شاهين**» حتى لم يجعلني أستقر على أرضٍ صلبة، فـ أنا لا أعرف إن كان حقًا أحبَّني أم لا!

لطالما كان يستمتع وهو يراني أتمزق في المنتصف المميت، استسلمت لـلأمر الواقع، أنا وهو طريقان متوازيان مهما تشاركنا الطريق لن نلتقي في نقطة واحدة أبدًا، كـ الشمس والقمر كنا، كـ قضيبيّ القطار، كـ كل الأشياء التي لا يجوز اجتماعها في نقطة واحدة..

لكن وفي مرحلة ما في حياتي أردت الانخراط، أردت ثورة حقيقية على هذا الوضع البائس، نعم لم أتحمل كوني فتاة في قائمة الفتيات التي يعشقن «**شاهين**»، حتى لو كنت أنا الأولى في هذه القائمة لكني لست الوحيدة، والمرأة حين تعشق لا تقبل المنافسة، لا تقبل مشاركة فتاة أخرى في حبيبها، ولطالما كان جسد «**شاهين**» ملك للكثير من النساء!

بالفعل انسحبت من هذه المنافسة وتزوجت ؛ لا مانع من الزواج بـ رجل

لا تحبينه فالحب وحده لا يبني علاقات كاملة، قد يكون التفاهم عوضًا عن الحب، وقد يكون النجاح والهدف عوضًا عن المشاعر الحميمة، لكن زواجًا بلا حب، بلا هدف، بلا أمل أشبه بـ آلة «**كمان**» مقصوصة الأوتار!

بدأ الملل يستوطن أركان منزلنا، لم تنجح المادة في ملء الفراغات النفسية والعاطفية، بدأت أتابع أخبار «**شاهين**» من بعيد، بدأت أفكر به وأنا بجوار رجل آخر، صحيح أنني لم أحاول التحدث معه، لكن في نفسي كنت امرأة خائنة!

في النهاية انفصلت عنه، لم أتحمل ذلك الوضع، لم أتحمل تلك الحياة المملة السخيفة، ولم أتحمل غياب «**شاهين**» عني، ولأن الحياة لا تعطي لنا شيئًا بالمجان قبلتُ شرطًا قاسيًا للانفصال، نعم كان أصعب ما يمكن التخلي عنه.. هي ابنتي، ابنتي الوحيدة والتي قررت الحياة أن تضعها فوق طاولة المفاوضات والمراهنات، تنازلت عنها، شرط أن لا تعرف سبب هذا الانفصال، شرط أن أختفي، أختفي تمامًا عنها وللأبد. إما أن يسافر هو أو أسافر أنا!

وبالفعل اختار هو السفر، ومِن ثَمَّ عادت حياتي الطبيعية مع «**شاهين**» بعد خمس سنوات من الغياب..

في هذا الوقت كان «**شاهين**» قد بدأ بالفعل مشواره الأدبي لكنِّي شعرت بـ شيءٍ مُريب يحدث، شيء تغير في حياة «**شاهين**»!

الانفصام! ربما! ولِمَا لا فـ أنا لم أنسى أنه كان يعاني من الانفصام قبل الحادث الأول!

كثرت معارف «**شاهين**» في هذه الفترة بطريقة غريبة, ومِن ثَمَّ





اكتشفتُ سِر معظم هذه العلاقات المُريبة..

تنهدت «**مارتينا**» كما لو أنها تحاول كسر حاجز من الصمت دام لسنوات!

ساد صمَتٌ طويل بينهما...

في نفس الوقت كان «**شاهين**» و «**سام**» يستعدان للخروج من الدار بعدما اتفقا على مشاهدة أحد الأفلام السينمائية في المدينة..

في الطريق كانت المدينة هادئة جدًا، اتخذ العجوز و «**سام**» أقدامهما وسيلة للوصول إلى العرض السينمائي هناك..

رن هاتف «**ديرا**»..

ـ «**ديرا**» أنقذينا!

بقلق ردت «**ديرا**»:

ـ ماذا حدث؟!

وهي تتلعثم ردت «**سام**»:

ـ أصيب «**شاهين**» بـ طلقٍ ناري، أنا في مستشفى «**رياجوا**»، أرجوكِ لا تتأخري!

في المستشفى..

كانت الدقائق تمر ببطءٍ شديد، حالة من الصمت تسيطر على «**ديرا**» و «**سام**» بين الترقب والقلق والتساؤلات..

ماذا ينتظرهم؟

من المُتسبب في هذا الأمر؟

من المُستفيد بالضبط من قتل «**شاهين**»؟

وحدها «**مارتينا**» كانت لديها الإجابات المنطقية لكل تلك الأسئلة..

سألت «**سام**» عن «**غوتزا**»..

ـ لا تتصلي بـ «**غوتزا**» لا داعي لـ إخباره!

ردت «**ديرا**»!

من غرفة العمليات خرج الطبيب وعلى ملامحه علامات الطمأنينة..

الرصاصة لم تخترق جسده لـأنها أطلقت من مكان بعيد هذا ما تسبب في بطء سرعتها، العجوز يحتاج للراحة مع وضعه تحت المراقبة الدورية، نحتاج لبعض الإجراءات القانونية لتوفير غرفة خاصة به..

قاطعته «**ديرا**»:

هل حالة العجوز تسمح بنقله من المستشفى إلى المنزل؟

رد الطبيب:

مِن الممكن حدوث ذلك، لكن لماذا علينا فعله من الأساس؟!

نحن نملك أفضل الأجهزة والأطباء للعناية به!

بـ ابتسامة مصطنعة ردت «**ديرا**»:

أعرف ذلك سيدي، هل تسمح لي بـ إجراء مكالمة هاتفية؟

حسنًا لك كل الوقت، سأعود لكم بعد عشر دقائق..

نظرت «**سام**» إلى «**ديرا**» وعلامات القلق تسيطر عليها :



ماذا سنفعل الآن!

لم تهتم «**ديرا**» لكلمات «**سام**»، أخذت هاتفها ثم اتجهت للخارج، وبعد خمس دقائق عادت إليها:

اسمعي يا «**سام**»! الأمر يبدو مُعقدًا بعض الشيء والوقت يداهمنا، الآن عودي إلى الدار و اجمعي أغراضكِ وأغراض العجوز ومِن ثَمَّ أذهبي إلى منزل «**شاهين**» وهناك سأخبركِ بكل شيء، فقط حاولي الإسراع فالوقت لم يعد في صالحنا، ولو اتصل «**غوتزا**» بكِ، إياكِ أن تخبريه بـ أي شيء، هل تفهمين؟!

إياكِ أن تخبريه بـ أي شيء!

صمتت «**سام**» محاولة فِهم ما يحدث حولها!

فـ صرخت «**ديرا**» في وجهها وهي تتجه إلى مكتب الطبيب:

ـ الآن..الآن!

اتجهت «**ديرا**» إلى مكتب الطبيب..

اسمح لي بـ إذن لخروج العجوز!

باندهاش رد الطبيب:

لماذا؟

أظن أن هذا الأمر لا يخصكَ سيدي!

بحزم رد الطبيب:

هذه الحالة أنا من أشرفتُ عليها و واجبي كـ طبيب إخبار الجهات

المعنية بالحادث، خاصةً إذا كان الحادث جنائي!

أخرجت «ديرا» بطاقة صغيرة من معطفها الأسود وقدمتها له وهى تقول :

أنا «ديرا ألبيرو»، محققة من المجلس النيابي، الأمر في غاية الخطورة ويخص الأمن الوطني، وبقاء العجوز هنا قد يكلفك تحقيقًا شاملاً لن تسلم منه أبدًا، لذلك أرجو أن تستخدم ذكاءك وتعتبر كل شيء كأن لم يكن!

ضحك الطبيب: أنا مستعد للتحقيق.

ردت «ديرا» وهى تتجه نحو الباب:

رائع! ستتكفل الضرائب والمصنفات بهذا الأمر، غدًا سأتخذ كل الإجراءات القانونية ضدك، إلى اللقاء!

انتظري!

رد الطبيب.

ابتسمت «ديرا» ثم نظرت إليه، فـ واصل الطبيب:

المفاوضات لا تُدار بهذه الطريقة يا سيدتي!

عادت «ديرا» إلى مقعدها:

سأُسقِط عنك كل التهم الضريبية، اتفقنا؟!

أشعل الطبيب لفافة التبغ: اتفقنا.

الآن أخبر رجال الأمن بالسماح لنا بالمغادرة..

بالفعل أخبر الطبيب رجال الأمن بالسماح لهم بالخروج.



في الخارج كانت هناك سيارة إسعاف تنتظر «**ديرا**» والعجوز، اتجهت السيارة نحو المنزل القديم لـ «**شاهين**».

في الوقت نفسه كانت «**سام**» تستعد لمغادرة الدار، الأمر الذي لم يفهمه العاملين بالدار، أخبرتهم أنها ستعود بعد ثلاثة أيام..

ركبت سيارتها، وهي في الطريق إلى منزل «**شاهين**» القديم رن الهاتف، كان صوت «**غوتزا**»:

كيف حال «**شاهين**»؟

ما أن سمعتْ صوته حتى صمتتْ لثوانٍ، فكرت للحظة أن تخبره بما حدث لكنها تذكرت تحذير «**ديرا**» لها فـ أغلقت الهاتف في وجهه!

واصلت القيادة بسرعة جنونية حتى وصلت بالفعل إلى المنزل، ما إن طرقت الباب حتى فتحت لها «**مارتينا**»..

فوجئت «**سام**» بوجود «**مارتينا**»، حاولت فهم ما يحدث خاصةً بعد أن استدارت الأخيرة على عَجَل، دخلت «**سام**» متوترة لا تفهم ما يدور بالضبط، جلست على الكرسي تتصنت على «**ديرا**» و «**مارتينا**» وهن يتحدثن في غرفة «**شاهين**»..

بعد عشر دقائق خرجت الاثنتان..

ساد صمتٌ طويل بينهم حتى قاطعته «**ديرا**»:

- حالة «**شاهين**» ليست بالخطرة، الرصاصة لم تخترق جسده كما قال الطبيب لكن ربما المشكلة كانت في لحظة سقوطه بالأرض، لقد عاد «**شاهين**» إلى غيبوبته الطويلة، لا أحد يعرف بالضبط كم سيستغرق

سباته، الشيء المؤسف هو أننا مضطرون للبقاء هنا لمدةٍ طويلة حتى يعود «**شاهين**» ومِن ثَمَّ يعود مِن حيث أتى!

الشيء الجيد أن هذا المنزل هو الرقعة الوحيدة الآمنة في «**فينيسيا**»، لا أعرف بالضبط مَن الذي دَبَّر هذه الحادثة!

بنظرة خاطفة لـ «**مارتينا**» واصلت «**ديرا**» الحديث:

قد يكون الوقت غير مناسبًا الآن، ربما خلال بقاءنا هنا تتضح عدة أمور، بـ أمكاني الانسحاب من هذه اللعبة خاصةً بعد الحادث لكن هذا لن يحدث لأنه وببساطة علاقتي بالعجوز لا تستحق التخلي عنه حتى لو أنه لم يعد يتذكرني، أنا أعرفه و أتذكره..

«**سام**»! يمكنكِ العودة إلى حياتك الطبيعية، صدقيني لن تُوضَعي محل اتهام، الأوراق الرسمية تؤكد وفاة العجوز منذ فترة، هذه لعبتي سأدافع عنكِ وينتهي كل شيء..

«**مارتينا**»! أنتِ الأقرب للعجوز، لكن بإمكانك أيضًا الانسحاب والحفاظ على حياتك، لا يهمني إن كان «**شاهين**» يعرفني أو لا، لا تهمني عواقب البقاء معه، المهم أنني لن أتخلى عنه أبدًا، لن أتركه لموتٍ جديد، إن أردتم الخروج فأنا لن أمانع، و إن أردتم البقاء فشرطٌ واحدٌ وميثاق واحد يجمعنا ألا وهو أن نصارح بعضنا البعض حتى يتضح كل شيء ويغادر العجوز إلى بلدة أكثر أماناً من «**فينيسيا**»، اتفقنا!

دون تردد قالت «**مارتينا**»:

اتفقنا.

ردت «**سام**»: إذن اتفقنا!

الفصل الرابع عشر

«اليوم الأول- في الصباح»

استيقظت «**سام**» على صوت الهاتف..

كيف حالك يا «**سام**»؟

بـصوتٍ خافت ردت:

أهلاً «**ألبا**»! أنا على ما يرام..

أخبروني في الدار أنكِ غادرتِ أمس بعد أن جمعتِ أغراضكِ، ماذا حدث بالضبط؟

أسندت «**سام**» ظهرها إلى السرير:

سأخبرك بكل شيء فيما بعد، سأعود إلى «**مالطا**» بعد أسبوع من الآن على أقل تقدير، اعذرني أنا مشغولة الآن إلى اللقاء!

أغلقت «**سام**» الهاتف دون أن تنتظر ردًا منه.

لثوانٍ تأملت السقف نحو اللاشيء، لطالما كانت تكره الفراغ، اللامعنى اللانهاية، لا تحب البحر لأنه إله الغموض، تتجنب التأمل في السماء لأنه يثير فضولها، يجعلها تغوص في عمق الأسئلة التي لا إجابة لها، تحب الأبيض لأنه يرمز للصفاء، وتحب الأسود لأنه يرمز للحزن، وتبغض الرمادي لأنه لون اللامعنى، لون الغموض..



تؤمن أن الأشياء المغلقة أشياء لا قيمة لها، لا جدوى منها، لا يجب المحاولة معها لكشف غموضها ومعرفة حقيقتها، تؤمن أن النهايات الحزينة تنتظر البدايات الغامضة والطرق المجهولة، لهذا السبب تجنبت الحب لأنها ولدت في ظروف غامضة ؛ أب سِكير و أم لا تعرف عنها شيء، اكتفت من الغموض والطرق المجهولة، المزيد والمزيد من الأسئلة، من المحاولات البائسة، فتجنبت العلاقات الاجتماعية بشكل عام..

لكن ومنذ لقاءها الأول بالعجوز حتى عاد الغموض يسيطر عليها، يلوح لها من بعيد، ليعود الفراغ منتظرًا مَن يملأه، مَن يكشفه، وهذه المرة يقودها قلبها نحو الطرق المجهولة..

في الفراغ نحن نشتاق، في الفراغ نتذكر ونتألم ونسخر ونبكي!

لم يولد الإنسان في الفراغ، الشيطان هو من صنع الفراغ ليجعلنا نتساءل :

«كيف بدأ الخلق؟»، «ماذا يفعل الله في هذا الوقت؟»، «كيف لا ينام وكيف لا يشرب؟»، «ما الجدوى من الحياة ولماذا خلقنا من الأساس؟»

يجعلنا نفكر ونفكر حتى نكفر بالكون وصانعه ومُوجِدنا..

الحزن هو مَن صنع الفراغ ليتلذذ بـ آلامنا؛ ليذكرنا بالمواقف الموجعة، بالتفاصيل المميتة، بهزيمتنا وانكساراتنا، بالخيبات العظيمة، بالحنين!

خُلق الفراغ ليُحطم كبريائنا، ليعبث بكرامتنا، ليجعلنا بلا كرامة بلا مبدأ، الفراغ أشد خطورة من الكحول والكوكايين، أكثر ضررًا من النيكوتين، من السهر، الفراغ عدو الإنسان الأول و الأوحد!

تابعت «سام» سرب الدخان وهو يختفي نحو الفراغ..

همهمت في نفسها:

ـ الفراغ، الفراغ هو عدو الإنسان الأول..

قاطعها عن تفكيرها صوت دندنة «مارتينا» من غرفة المكتب..

ـ صباح الخير!

توقفت «مارتينا» عن الدندنة ووقفت تتأمل في لوحة الفتاة المعلقة بجوار المكتبة..

ـ هل تعرفينها؟

سألتها «سام» على أمل أن تجد إجابة تحل لغز هذه الفتاة مشوشة الملامح.

ردت «مارتينا» بنبرة هادئة:

لن يعرفها أحد إلا «شاهين».

ـ ماذا تقصدين؟

اتجهت «مارتينا» إلى الكرسي المتحرك في غرفة «شاهين» ثم أشعلت سيجارتها وبدأت بالحديث:

هذه الفتاة مِن خَلْق «شاهين»، هو مَن صنعها بهذه النظرة الحادة والملامح البريئة، ما أقصده بالضبط أن هذه الفتاة قد تشبه إحدى الفاتنات التي عاشرهن أو التقى بِهِنّ العجوز، لكن ليست هي بالضبط، للشاعر وللكاتب وللفنان نظرة مختلفة عنَّا، نظرة تعبيرية وحسية تختلف؛ لأنهم وببساطة يعطون الحرية الحق في التعبير، في الإبداع والتصور..



«**عنترة بن شداد**» ذلك الذي وصف حبيبته بـ أجمل التشبيهات ومثلها في أجمل الصور في شِعره وكلماته رغم أن «**عبلة**» كانت امرأة ليست بالجميلة بل أقل من عادية، بل وسخر البعض مِن وصفه لها بالجميلة، هنا ليس على الشاعر حرج فهو يراها بمشاعره لا بعينيه..

«**فينسينت فان جوخ**» ذلك الرسام المبدع الذي وصف الحياة في لوحاته بالمعاناة، بالألم والجحيم، في الوقت الذي كانت الحياة فيه ليست بهذه القسوة والبشاعة التي حاول إظهارها لنا الرسام..

والعظيم «**فرانز كافكا**» ذلك الذي وصف و صوَّر نفسه كـ «**حشرة**» رغم أنه كان رجلاً وسيمًا..

كم من فنانين ومشاهير وصفوا الحياة بالجحيم، بالرقعة الملعونة، بالعذاب!

وكم مِن الأشخاص هاجمهم و اتهمهم بالبؤس والكآبة!

كم مِن «**ممثل كوميديا**» انتحر بعدما أعتبر العالم مكانًا بائسًا وحزينًا!

كم مِن مُفكر ومبدع قضى حياته في مستشفى للأمراض العقلية لأن نظراتهم للحياة لا تنطبق مع الحياة الواقعية!

الذين انتحروا من الموهوبين لا لوم عليهم، والذين جُنُّوا بحبيباتهم لا لَوم عليهم، والذين ألحدوا وكفروا بـ الإله لا لَوم عليهم، لأنهم وببساطة ينظرون للحياة بنظرة داخلية مختلفة لا تشبه أحدًا..

مهما حاولتِ الكشف عن صاحبة هذه اللوحة لن تفلحي أبدًا لأنه وببساطة لن يعرفها إلا «**شاهين**»، حتى صاحبة الصورة نفسها قد لا تعرفها،

هل فهمتِ ما أقصده بـ الضبط؟

ردت «**سام**» وهي تستكشف بين الكتب الموضوعة على الرف في المكتبة:

نعم..نعم فهمت ما تقصدين ؛ تعرفين المشكلة الحقيقة أنه ومنذ اللحظة الأولى مِن قدومي إلى هنا و أنا في بحرٍ مِن الأسئلة التي لا إجابة لها، لا أفهم ما يدور، ينتابني أحيانًا شعور بالخوف خاصةً بعد الحادث الأخير، ثَمَّة أشياء لا أفهمها!

جِئتُ إلى هنا لـمساعدة العجوز على استعادة ذاكرته، هذا عملي أولاً و أخيرًا، لكن نعم فكرت في الانسحاب، في العودة إلى «**مالطا**» مِن جديد، عمليًا أنا هنا بلا فائدة تُذكر، حتى البرنامج التأهيلي للعلاج لم يبدأ و على ما يبدو أنه انتهى مِن الأساس، لكن أنا حتى لا أعرف لماذا وافقت على البقاء معكم في هذا المنزل، في هذه اللعبة التي ومِن الواضح أن أول خسائرها هي خسارة النفس!

إن وجودي هنا لا لـأسباب علمية أو عملية، إنما لـأسباب خاصة جدًا، أسباب لا أجد لها أي تحليل علمي!

هذا العجوز أنا أعرفه! هل تفهمين يا سيدتي!!

أنا أعرفه، أكاد أشك أنني مَن فقدتُ الذاكرة ليس هو!

يحدث أن نلتقي بـ أحدهم صدفةً لكن و في داخلنا شعورٌ وكأنه فرد مِنّا، جزء من عائلتنا!



مهما حاولنا تكذيب تلك الفكرة السخيفة يبقى شيء في داخلنا يقودنا نحوها!

تقولين أنه لا لَوم على الشاعر والكاتب والرسام! وأنا أقول لكِ لا لَوم على أي شخص يشعر ويقوده إحساسه نحو الجنون!

الإحساس هو الحياة يا «**مارتينا**»، الإحساس وحده لا يميز بين أبيض وأسود، بين رجل و امرأة، بين إنسان وحيوان، وأنا أسيرة هذا الحس الذي يرافقني تجاه العجوز، أشعر بشيء مألوف نحوه كما لو أنه أبي الذي مات!

أنا هنا حتى أعرف الحقيقة ؛ «**شاهين**» ليس وحده مَن يُعاني مِن فقدان الذاكرة، أنا أيضًا أعاني مِن فقدان شيء ما بداخلي، أعاني مِن رغبة مُلِحَه لمعرفة كل شيء عنه، عسى أجد بين حياته شيئًا يشبهني أو يُلامسني!

لا أعرف بالضبط كيف سيحدث هذا لكن سأحاول، سأحاول رغم أنني امرأة لا تحب الغموض والبحث، تعبت من الركض خلف الحقيقة، من البحث عن الإبرة في كومة القش!

أنا امرأة عاشت التناقضات كما ينبغي، أبٌ حملني على كتفه مُهاجرًا إلى «**باريس**» حتى «**مالطا**»، كان يقول أبي أن:

«**الله يحب المحسنين**»

وهو غارق في تخدير الكحول!

كان يحدثني عن الحب والوفاء، ومِن ثَمَّ أجد ملابس نسائية في غرفته!

لم يكن وفيًا لأمي، أمي التي لا أتذكرها، لطالما سألت أبي عنها فيتنهد ويقول: «**هي في رحلة عند الله**»

كنت أبكي وأنا أشاهد الأمهات يُداعبنَ أبنائهن في المدرسة ثم يسألني أحد الصغار عن أمي فأقول له:

«أمي في رحلة عند الله»

في الصيف كنت أتابع الطائرات في السماء فأقول في نفسي:

«ستعود أمي على مَتن هذه الطائرة»

تَمُر ساعة تلو الأخرى وأنا أنتظر في شرفتي أتابع الوجوه, أراقب وأنتظر مَن لا أعرفه مِن الأساس, ينتهي اليوم ومِن ثَمَّ أعود لـ أسأل أبي:

«أين يجلس الله؟»

فيقول:

«في السماء السابعة»

أعود و أتأمل السماء حتى مد بصري فـ يَمُر الصيف كئيبًا بلا أمل في عودة أمي..

وفي الشتاء أسمع عن خرافات تقول أن:

«السماء تُسقط ضيوف الله مع المطر»

فأقف فوق سطح المنزل وأنا أتابع قطرات المطر قطرة قطرة، يشتد الشتاء ويبدأ البرق والرعد في إظهار قوتهم, هنا أقول:

«أحدهم وجد أُمه»

هنا أقول:

«أمي تضحك»، «أمي تبكي»، «أمي تتألم»!



ينتهي المطر وينتهي أملي في البحث عن أمي، فأعود إلى أبي باكيةً أسأله عن مكان الله! فـ يقول:

«في السماء»

هنا أسخر منه أشد سخرية. لم تأتِ أمي عبر الطائرات ولم تهبط مع المطر فلا أجد بين إجابات أبي شيئًا يُقنعني..

وفي أعياد الميلاد يقولون أن:

«سانتا وحده يحقق الأمنيات المستحيلة»

هنا أرتدي أجمل ملابسي وأنتظر قدوم «**سانتا**» بفارغ الصبر، وعلى أحَر مِن الجَمر، فيضل «**سانتا**» الطريق إلى منزلنا فـ تعود خيباتي من جديد، يحتفل الصغار بأعياد الميلاد وأنام أنا بخذلان وانكسار آخر!

وفي أحد الأعياد طرق الباب رجلٌ عجوز يرتدي ملابس «**سانتا**»!

«هذا الذي أعرفه عن ظهر قلب هو «سانتا» هو «سانتا» بالتأكيد بلحيته البيضاء وقبعته الطويلة»!

صرختُ:

«يا لَكَ مِن غبي! تأخرت كثيرًا، حسنًا حسنًا، أعد لي أمي يا «سانتا» أرجوكَ أرجوكَ»

ضحك «**سانتا**»، ضحك كثيرًا ثم قال:

«إذن أين هي أمك؟»

«**أمي عند الله يا «سانتا»**، أمي في رحلة عند الله، أرجوك لا تتأخر»

فجأة تحولت ملامحه لملامح حزينة بلا سبب، عانقني ثم قال:

«لا يمكنني إعادتها لكِ يا صغيرتي، لا أستطيع فِعل ذلك»

صرختُ في وجهه وأنا على وشك الانهيار:

«لماذا يا «سانتا»؟ لماذا؟ أنت تُحقق كل الأمنيات. لماذا؟!»

«لأنها عند الله!»

«إذن أنت تعرف مكانها، أذهب إليها يا «سانتا»، أذهب أو دُلّني على طريقه وأنا سأصل إليه، دُلّني يا **«سانتا»** أرجوك أنا مشتاقة لها، أين الله؟ أين الله؟ أنا سأصل إليه، و أعود بـ أمي، لست بـصغيرة سأعبُر الطريق وحدي، سأسافر وحدي، فقط دُلّني على الطريق، أين الله يا عجوز؟!» هنا قال **«سانتا»** أغرب العبارات التي لم أفهمها وقتها، لكني كنت أستشعرها، كنت أشعر بـصِدقها:

«الله يكمُن في الحب يا صغيرتي، يكمُن في الدعوات الخفيَّة والأمنيات التي لا يعرفها إلا هو، في لحظات الشغف، الانتظار، وابتسامات الحزن كابتسامتكِ هذه التي تبتسمينها، في تنهيدات الموجوعين، ونظرات الاشتياق والفقدان، الله يكمُن في المطارات، في محطات القطار، بين رسائل البحر، وأحاديث القمر، وقصص العشاق، الله يكمُن في المقعد الفارغ في طاولة لشخصين، في صورة لعائلة ينقص فرد منها، وفي فصلٍ صغيرٍ ينقصه طفل مريض، الله يكمُن في لحظات الوداع واللقاء، الله يعرف عن حُزنكِ عن انتظارك لـ أمكِ، وعن مرارة فقدانكِ و اشتياقكِ لها، ويعرف الكثير الكثير عنكِ، لا تقلقي ستعود لكِ أمكِ ذات يوم، ستعود حتمًا، بالتأكيد ليس الآن، لكن الأكيد أنه حتمًا ستلتقي بها، ربما بعد وقتٍ



طويل، لكن حتمًا ستلتقي بها»..

هنا اقتربت «**مارتينا**» من «**سام**» لتعانقها، كانت «**سام**» في حالة من الحزن يُرثى لها كما لو أنها عادت طفلة في هذه اللحظات، كما لو أنها فقدت أمها للتو!

واصلت «**سام**» وهي تتنهد ألمًا وحزنًا:

ـ تعرفين! يعتقد البعض أن الحزن يختفي رويدًا رويدًا مع الوقت حتى يختفي تمامًا، الذين يؤمنون بهذه العبارات ما هم إلا مخادعين حاولوا التأقلم على الحزن لا أكثر، الحزن لا يختفي، آثار الحزن لا يداويها النجاح، لا يداويها حب جديد، لا يداويها أي شيء، الحقيقة أننا نكبر فننضج فنتعلم كيف نخفي أحزاننا، كيف نتمالك أمام المواقف الصعبة، نتعلم كيف نواصل الحياة وجزء مِنّا مفقود، جزء مِنّا لا وجود له. النضوج وحده ما يعلمنا كيف نخفي هشاشة قلوبنا، كيف نظهر أقوياء حتى في أشد اللحظات التي ينبغي علينا السقوط والاعتراف بالهزيمة، النضوج يعلمنا كيف نخفي احتياجنا وهشاشتنا حتى ونحن في أشد احتياجنا لـمَن يخبرنا أن كل شيء سيكون على ما يرام، كيف نسمع عن أوجاع الآخرين ولا ندع فرصة لـ أحد أن يسمع أوجاعنا رغم احتياجنا لشخص ولو مُختل ليسمعنا ويسخر من كلماتنا، إنها لمهارة أن نُطَمْئِن الناس ونحن نرتجف، نشد بأزرهم ونحن نسقط في الوحل، النضوج وحده ما يُعلمنا التعامل مع الحزن، نحن نعتاد عليه حتى لحظة نسقط من جديد في أعماقه، نسقط كما لو أن أسباب الحزن حدثت منذ ثوانٍ، نسقط لأننا لم نتعافى منه بشكل جيد، لم نتعافى منه من الأساس، هل تفهمين؟

الحزن لا ينتهي إنما نحن من نتأقلم ونعتاد عليه، الحزن لا يختفي إنما نحن من نتعلم كيف نخفيه عن أعيُن الجميع لنحتفظ به في أعماقنا حتى لا يشعر به أحد غيرنا، الآن وقد تجاوزت الخمس وعشرين من العمر مازلت أشتاق ومازلت أشعر وكأن أمي رحلت عني منذ لحظات!

سأقول لكِ شيئًا قد يجعلك تسخرين مني، مع مرور الوقت وبعدما تأكدتُ أن أمي رحلت ولن تعود أبدًا بدأت، أتوهم وجودها, بدأت أتوهم وجودها بالفعل كما لو أنها بجواري كما لو أنها معي تشاركني لحظات وتفاصيل حياتي رغم أنني لا أعرف ملامحها لكن أؤمِن بـ وجودها و ألتمسه تمامًا، كما أؤمِن بوجود الله رغم أنني لا أعرف ملامحه ومظهره، لكن أشعر به، و أشعر بـ أمي حولي وفي كل مكان، لكن وصدقًا وبعدما رأيت العجوز شعرتُ كما لو أنه أمي!

الأمر مُضحك لكن هذا العجوز يعرف أمي يعرفها عن ظهر قلب، ثَمَّة نساء في حياته ربما تكون إحداهن، ربما يكون قد مارس الحب معها قبل أن تذهب هي إلى الله، ربما يكون التقى بها عابرًا في طريقه، في أحد حفلاته، في أحد زياراته الخارجية!

أبي لم يخبرني عن اهتمامات أمي، لكن لاحظت مكتبة عظيمة في غرفة أبي رغم أن أبي لم يكن من هواة القراءة، لم أشاهده يومًا يقرأ!

هنا تأكدتُ أن أمي كانت مهووسة بالقراءة، لا أعرف بالضبط لماذا لم يتحدث أبي عن أمي!!

لم يحكِ عنها شيئًا غير أنها في رحلة عند الله!



هنا وبعد أن التقيت بالعجوز شعرت وكأنني وجدتها، لذلك سأبقي حتى اللحظة الأخيرة، إما أن أجد أمي بين ذكرياته و إما أن أنتهي!

يقودني الجنون! ربما! لكن فليقُدْني الجنون هذه المرة وما المانع؟!

فلقد قادني الحزن والفقدان لـ أعوامٍ وأعوام!

الفصل الخامس عشر

هنا دخلت «ديرا» غرفة المكتب لتقطع حبل الذكريات الذي بدأته «سام» و انتهى بـ دمعه خبيثة سقطت من «مارتينا» وهي تستمع لها..

ما أن دخلت الغرفة حتى توقفت «سام» عن الحديث، لم تُظهِر في البداية أي اهتمام بما يحدث، كانت تُدندن أغنية فرنسية قديمة وهى تُفَتّش في أغراض «شاهين» المكتبية..

جلست على كرسيه ثم نظرت لـ «سام»..

ـ ماذا تحتاجين بالضبط لمساعدتكِ؟

ـ أحتاج لمعرفة كل شيء عن العجوز!

ـ هذا مستحيل! لا أظن أنه بـ إمكانكِ فِعل ذلك، لا يمكن أبدًا الجلوس مع كل مَن يعرف «شاهين» ليُخبركِ عن كل شيء في حياته!

قاطعتهم «مارتينا»:

المواقف الهامة فقط!

ـ لا كل شيء عن العلاقات الاجتماعية! وهى تشعل سيجارتها ردت «ديرا»:

هل أنتِ متأكدة أن الأمر يخص عملكِ فقط؟!



إن كنتِ تحلمين بـعلاقة وردية مع العجوز فـ لن يحبكِ ؛ «**شاهين**» لا يحب أحدًا إلا «**شاهين**»!بـ استهجان ردت «**سام**»:

أرفض هذه اللهجة!ـ إهدأي يا «**سام**»!

ردت «**مارتينا**».

بسخرية ضحكت «**ديرا**»:

اسمعا! سأفعل المطلوب مني لمساعدة «**شاهين**», لكن لن أتحدث عن شيءٍ يخص علاقتي به, سأخبركم عن العلاقات التي كنت شاهد عيان عليها, أما عما حدث بيننا فـلا أظن أن هذا سيفيدك في شيء!

بـنظرة ولهجة عدوانية قاطعتها «**مارتينا**» مِن جديد:

لا لا. اتفقنا على أن نحكي كل شيء!اقتربت «**ديرا**» مِن «**مارتينا**»:

لماذا كل شيء يا «**مارتينا**»؟!

لـتعرفي ما كان يقوله «**شاهين**» عنكِ؟!

لتعرفي أي امرأة أنتِ في حياته، أليس كذلك؟!

كنتِ تحبينه! أنتِ مَن جعلتِه يقاوم لعنته الأولى! شاركتِه لحظات بؤسه وحزنه! أنتِ مَن ساعدتِه على المقاومة! أنتِ مَن أبعدتِ فكرة الانتحار عنه! وافقتِ على مشاركته كل شيء!

هراء..هراء ؛ لا تصدقي كذبتكِ، ما أنتِ إلا امرأة عادية في حياة «**شاهين**»!

بـ هدوءٍ أشبه بـالهدوء الذي يسبق العاصفة ضحكت «**مارتينا**»:



على الأقل لم أُكن امرأة عابرة في حياته!بـصوتٍ يملأه الغضب قاطعتهما «**سام**»:

لدينا اثنتا وسبعون ساعة من الآن، ومِن ثَمَّ لن نلتقي أبدًا، أرجوكما الوقت لن يرحمنا، سأحتفظ بكل التفاصيل والمواقف والذكريات في ذاكرة جديدة ومِن ثَمَّ سأحاول ترجمتها إلى خلايا عصبية في رأس العجوز عسى يتذكر أي شيء، صحيح أنه أصبح الآن وفي «**فينيسيا**» شخصًا لا وجود له، لكن على الأقل يستحق أن يعيش حياة يعرف ولو جزءًا بسيطًا منها في «**مالطا**»!

أرجوكما ساعداني!

تنهدت «**ديرا**»:

متى سنبدأ؟

كان رد «**سام**» :

الآن إن أردتم!

جلست «**مارتينا**» على الكرسي ثم قالت:

حسنًا سأبدأ أنا إذا سمحتم!

لم تَجد معارضة مِن الطرفين فـ بدأت...

كانت ليلة باردة جدًا , وقتها كنا في منتصف كانون الثاني, وكنت أنا و زملائي نحاول تدفئة أجسادنا المتهالكة من الجو شديد البرودة والصقيع في قسم الطوارئ؛ حتى سمعنا صوت سيارة الإسعاف!



كان بها حالتين لقوا حتفهم على الفور، هكذا ظننا في البداية لكن بعد أن أجرينا الفحوصات الأولية تأكدنا أن أحدهما حيًا يُرزق!

كان شابًا في الخامسة والعشرين من العمر - «ديفيد شاهين» - على ملامحه يعاني مِن ارتجاج عنيفٍ في المُخ نتيجة لـ اصطدام رأسه بصخرة عظيمة أسفل الجسر المائل، في البداية لم نستطع جمع معلومات عن الحادث، خاصةً بعد أن وجدنا في جثة الرجل الآخر طلقات متفرقة في أنحاء جسده، كان يجب علينا في هذا الوقت إبلاغ الشرطة بما حدث، لكن لسببٍ ما لم نفعل و انتظرنا حتى يستعيد «**شاهين**» عافيته لنسأله عما حدث بالضبط..

نجحت العملية بالفعل وبدأ «**شاهين**» بـ استعادة عافيته. وقتها كنت أنا مَن أتابع الحالة بـ استمرار حتى يوم طلبتُ مِن «**شاهين**» أن يشرح لي ما حدث في هذا الوقت!! فقال :

«**كنت أجلس على الجسر حتى سمعت صوت رجل بالأسفل يصرخ بجنون كأنه يصارع الموت، حاولت التعرف على ملامحه لكن الظلام كان أقوى مِن محاولاتي الطائشة، ولم أشعر بجسدي إلا وأنا أتصارع مع الماء بعد أن دفعني الهواء بقوة إلى أسفل**».

في هذا الوقت وبعد مرور ثلاثة أيام من الحادث اضطررنا لـ إبلاغ الشرطة بخصوص الرجل الآخر. جاءت الشرطة وطلبت حضور «**شاهين**» لربما يعرف صاحب هذه الجثة!

في البداية رفض «**شاهين**» طلب الشرطة خاصةً أن الأمر لا يتعلق به، كان لرفض «**شاهين**» سبب منطقي، بالإضافة إلى أنه في هذه الفترة كانت



جرائم القتل في ذروتها..

بمحاولات عديدة حضر «**شاهين**» بالفعل وحدث ما لم يتوقعه أحد؛ لثوانٍ وقف «**شاهين**» أمام الجثة يتأملها، ثم صرخ فجأة وهو يعانق الرجل :

«**باولو! «باولو**»! إنه صديقي باولو!»

في نوبة بكاء كانت الأولى والأقسى في حياتي معه، شاهدته يبكي ويصرخ على قتل صديقه، حاولنا تمالك الأمر لكن صراخه كان أقوى مِنَّا, أقوى مِن كل شيء، صرخ «**شاهين**» كما لو أنه لم يصرخ في حياته!

بعد التحريات تأكدنا أن «**شاهين**» لا علاقة له بمقتل «**باولو**»، و أن مُنفذي الحادث هم «**المافيا الإيطالية**»..

لم يكن «**شاهين**» يعرف عن علاقة صديقه الحميم بالمافيا من الأساس، كان في حالة صدمة يرثى لها, اضطررنا لحجز «**شاهين**» تحت العناية المركزة بعد الصدمة التي كادت أن تقتله، ومع الوقت ظهرت بوضوح علامات الإضطرابات النفسية.. كان يضحك في الصباح، ويبكي في المساء، يتحدث معنا بلهجة ونبرة صوت جديدة كل يوم!

يتهجم على الممرضات في المساء ولا يتذكر في الصباح ما حدث منه!

الانفصام! نعم كان «**شاهين**» يعاني انفصاما من الدرجة الأولى..

شيئًا واحدًا كان مجتمعًا معه في كل حالاته وهو أنه حزين على فراق والديه وحبيبته «**لورين**»، ودائمًا كان ما يسأل عن صديقه «**باولو**» كما لو أنه لم يشاهده جثة هامدة!



هنا سألت «**سام**» :

إذن كان يعاني من الانفصام؟

ردت «**مارتينا**»:

نعم!

قاطعتهم «**ديرا**»:

لكن كيف كان يشعر بغياب عائلته و «**لورين**» في شخصه الآخر؟!

نظرت «**مارتينا**» إلى «**ديرا**» وكأنها كانت تعرف أنها ستطرح هذا السؤال..

الحب أقوى من الأمراض النفسية والجسدية يا «**ديرا**»، ثَمَّة أمراض يقف العلم عاجزًا أمامها لأنها تحتاج للحب، لأن طاقتها ودوائها هو الحب، المرض لا يقتل أحدًا بل يموت الناس حينما يفقدون القدرة على الحب!

ضحكت «**ديرا**»:

وكأنني أتحدث مع «**شاهين**»!

واصلت «**مارتينا**»:

«**شاهين**» كان يؤمن بالحب، لكن كان يخاف منه حد الكُفر به، كان يرتعد كلما حاول أحد الاقتراب منه، هكذا بدأ الأمر معي بعد أن تم نقله إلى مستشفى الأمراض النفسية، حاولت الاقتراب منه بصفة أنني صديقته فلم يمانع ؛ هو لم يمانع من القرب لأنه حتى وهو يعاني من اضطراباته النفسية، كان يعرف كيف يتعامل مع القرب بالطريقة التي تجعلك تتساءل:

«**أين أنتَ في حياته**»!

أنتَ تعرفه ولا تعرفه، تفهمه ولا تفهمه، تقترب منه في نفس اللحظة التي يجعلك تظن أنكَ أبعد الناس عنه..

بعد أن خرج «**شاهين**» من المستشفى عاد لحياته الطبيعية بشكلٍ تدريجي، جامعته التي توقفت في عامها الأخير، والكتابة هوايته المفضلة، اتفقنا على أن نكون أصدقاء وحاولت أن أساعده في إنجاز أعماله، كانت صفعة فقدان «**لورين**» وصديقه «**باولو**» لا تزال تؤثر على نفسيته بشكلٍ أو بـ آخر، كان صامتًا، صامتًا طوال الوقت، يبكي بلا سبب ويضحك بلا سبب، يثور أحيانًا لـأسبابٍ تافهة، و أحيانًا تشعر وكأنه بلا قلب لا يتأثر، هكذا كان «**شاهين**» في بداية علاقتي به، مهمل الشكل محطم، محطم تمامًا، لا يرد على أي مكالمات، لا يتحدث مع أحد ولا يحب الجلوس مع أحد، ينهي محاضراته في جامعته ثم يتجه لمنزله ليغوص في نومٍ عميق إلى نهاية العام!

لم يكُن «**شاهين**» شخصًا اجتماعيًا بالمرة، لا أتذكر يومًا شاهدت أحد أقاربه، حتى «**لورين**» لم أسمعه يومًا يتحدث عنها أو عن أمه، كذلك لم يتحدث يومًا عن ذكرياته مع «**باولو**»، على العكس كان والده وبعض الذين لا يحبهم يتحدث معهم بشكلٍ دائم، هذه المعادلة التي لم أفهمها أبدًا حتى يوم كنا نجلس في غرفته وكان يتحدث معي عن والده سألته:

أنتَ دائم الحديث عن أولئك الذين تكرههم، فلماذا لم تحدثني عن الذين أحببتهم..؟هنا فتح «**شاهين**» في عالمي نافذة جديدة للحياة

تنهد ثم قال:

صدقيني لا أعرف لماذا لا أجيد الحديث عن الذين أحببتهم! ربما لأن الحب دائمًا مرتبط معي بوجع عظيم! وجع لا أستطيع الحديث عنه!



إن أصعب الأحاديث تلك التي تبدأ بالذكريات، الذكريات التي لن تعود أبدًا..

تعرفين! بداخل كل مِنَّا قصة، قصة أصعب من النطق بالكلمات، مِن الحديث عنها، قصة صامتة تنهش قلبه بصمت كسكين يغزو أعماقه، حزنه عظيم يكاد يبتلعه، كيف نجرؤ على الحديث عن أشخاص أحببناهم بصدق حتى انتهى كل شيء بيننا!

أنا لا أعرف كيف يمكن لأحدهم أن يحكي قصة كان ينوي أن لا تنتهي أبدًا؟

لا أعرف كيف لأولئك أن يتحدثون عن شيء ما انتهى بداخلهم؟

«**لورين**»! نعم أحببتها! لكن وما فائدة الحب إن لم يكتمل بالشكل الذي نريده؟!

ما فائدة أن أحكي لكِ الذكريات التي جمعتني بها إن لم تتحول الذكريات لواقع جديد؟!

الأحلام التي لطالما حاولت تحقيقها وتحولت فجأة لكوابيس!

الحديث عن حب انتهى وجع خاص جدًا يا «**مارتينا**»، وجع لا يستطيع معرفته إلا صاحبه!

أما الحديث عن الذين يكرهوننا هو الذي يدفعنا للأمام، هو الذي يُحي بداخلنا رغبة الانتقام!

لا تتعجبي! فـ مِن رحم الوجع يولد الإبداع, ومِن رحم الانتقام يولد النجاح والقوة!

الانتقام هو ما يدفعني للأمام، هو الذي سيجعلني وبعد عشر سنوات من الآن رجلاً وشخصًا آخر، شخص يقتدي به ولن يقدر عليه أحد، سأحتفظ بوجعي وحزني بداخلي، سأدفنه مثلما دفن الحب بداخلي، لو تحدثتُ معكِ عن كل الذين أحببتهم لما اتخذتُ خطوة واحدة للمستقبل، ولو أن الذين رحلوا عني أحبوني مثلما أحببتهم لما افترقنا أبدًا، لكنه القدر!.بعد تلك الليلة تغيرت علاقتي بـ «**شاهين**»، تعلقتُ به، أعجبتني فلسفته وذكائه وحزنه!

لم يكن فضول، لكن رجل مثله ورغم كل هذا الحزن والفوضى التي يعاني منها كان يعرف كيف يحافظ على خطواته بشكل سليم، كيف يتخذ قراراته حتى وهو في قاع الحزن والآلام!بعد خمس سنوات من علاقتي به كان قد أصدر أول كتاب له, لم يحدث شيء يُذكر في حياته الشخصية، كان تركيزه مُنصَب على بلوغ أكثر درجات النجاح والشهرة، تحول إلى مجرد «**روبوت**» يعمل ويكتب ويزداد شهرة، انعزل تمامًا عن الناس بل وتجنب الحديث معهم، أولئك الذين يسعون دائمًا لتحقيق أهدافهم ينعزلون بطريقة أو بأخرى عن المواضيع التي لا جدوى منها..

صحيح أنني لم ألتقي بـ «**لورين**» ولم يحكي كثيرًا عن أمه وصديقه «**باولو**»، لكن في بعض الأوقات كنت أراهم في لحظات بكاءه النادرة..

«**شاهين**» لم يبكي كثيرًا وهنا كانت المعاناة الحقيقة، كان يتجنب الحديث عنهم رغم صمته طوال الوقت، كان يخاف الوحدة، كانت مشكلته أنه يرفض اقتراب أحد منه رغم احتياجه لـيدٍ تُربت على كتفه لـتخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام، ومع ذلك كان يرفض شعور الاحتياج!

يومًا سألته:



ألا توجد فرصة لعودتكما..؟!

تصنع الغباء وقتها، هكذا كان دائمًا يتصنع الغباء عندما يُسأل سؤالاً قد يثير فوضى جديدة بداخله..

- أقصد «**لورين**» يا «**شاهين**»..؟-الذين رحلوا لا يعودون أبدًا!

ضحكتُ من كلماته الساذجة:

تقصد الذين ماتوا، «**لورين**» لم تمت يا «**شاهين**»، «**لورين**» لا تزال على قيد الحياة!ضحك هو الآخر من سطحيتي:

ثَمَّة أشياء لا تنبغي عودتها، ثَمَّة علاقات لا تعود مثلما كانت في البداية، في لحظة الفراق ثَمَّة أشياء تُقتَل بداخلنا! تُقتَل بلا أمل في إحيائها من جديد، القهوة وإن بردت ينبغي علينا صنع قهوة جديدة حتى وإن حاولنا إعادة تصنيع القهوة الباردة سنفشل لأنها ستفقد رونقها ولذتها، ستفتقد لمذاقها الأول الأصلي!

الدم الفاسد إما أن يخرج من جسم المريض و إما أن يقتله، لا مجال لإصلاح الدم مهما حدث!

اللوحة التي يرسمها الرسام في حالة النشوة تظل جميلة لأنها صادقة، مهما حاول المبدع تعديل أشياء بداخلها سيفشل فشلاً ذريعًا لأنه استخدم عقله لم يستخدم مشاعره الحقيقية!

وفي الحب الأول نحن نحب ببراءة، بسذاجة وطفولية وعقلانية، كنا أنقياء، أنقياء جدًا في مشاعرنا بعفويتها وتلقائيتها، نقدم كل شيء دون النظر لمقابل، نكون على سجيتنا الأولى بكل الفوضى والعشوائية، والمشاعر الجياشة!

بيننا حاجز الآن! حاجز أقوى من أن يهدمه الحب، أقوى من أن تهدمه رغبتنا في العودة!

بيننا ليالي قسوة وحزن وإكتئاب!

بيننا الكبرياء الذين يمنعها من الحديث معي ويمنعني من الحديث معها !

خمس سنوات ولا أعرف عنها أي شيء!

لم تحاول حتى مواساتي في وفاة صديقي الوحيد! هي ليست قاسية أنا أعرف أنها ربما تتألم أكثر مني!

أنا أجيد وصف أشياء تحدث بداخلي عن طريق الكتابة، أما عنها فهي لا تملك قلمًا مكسورًا يشرح مأساتِها ويمنعها الكبرياء عن الشكوى والبكاء أمام أحد!

«**لورين**» أحبتني نعم! لكني كنت قاسيًا معها قبل أن نفترق، وبعد أن حدث هي من بدأت بالقسوة!

وإياكِ أن تستهيني بعدد الأيام التي مرت على غيابنا لتجعلني أرفض عودتنا، فلقد بكيتُ في كل ليلة كما لو أنني بكيت مائة عام، وتألمت في اللحظة الواحدة ألف ساعة، وهي أيضًا تألمت وبكتْ أنا متأكد من هذا الأمر، لن نعود لأن بيننا حاجز من القسوة والآلام المشتركة حتى الحب لن يفلح في هدم كل تلك الحواجز.



«أنت مُجبر على العيش مع مجموعة من المنافقين والموهومين والكذابين مع عدم وجود طاقة لاحتمال كل هذه التفاهات»

فرانز كافكا

الفصل السادس عشر

بعد ساعة من الحديث لم تحكي «**مارتينا**» شيئًا يستحق الذكر، ما بين أحلام «**شاهين**» ورغبته في الانتقام وبين محاولاتها البائسة لـ اقتحام عالمه!

مثل هذه التفاصيل لم تكُن لـ تعجب «**ديرا**» أما بالنسبة لـ «**سام**» فـكان الوضع يختلف معها، كانت تحفظ كل شيء عبر الحاسوب وفي داخلها كانت تنتظر الحدث الذي لربما يكشف عن هويتها!

بالأخير واصلت «**مارتينا**» سرد تفاصيل حياة العجوز بعد مناوشات معتادة بينها وبين المحققة:ـ بعد مدة ليست بالقصيرة وبعد محاولات عديدة لـ اقتحام عالم «**شاهين**» الخفي، أقصد قلبه على وجه التحديد فشلتُ!

ربما فشلت فشلًا ذريعًا، كان «**شاهين**» يجيد وقتها التلاعب أو ربما الحفاظ على هدفه الأول والأخير في الوصول لـأبعد نقطة ممكنة في النجاح والمجد، لم أتحمل برودة مشاعره وقتها، وذات يوم طلب أحد أصدقائي الزواج مني، كانت علاقته بـ «**شاهين**» علاقة سطحية، في المرة الأولى رفضتُ وفي الثانية كذلك لكن ومع استمرار برودة مشاعر «**شاهين**» اضطررتُ للاستسلام لـلأمر الواقع، لكن، وفي داخلي كنت آمل في رد فِعل لـ «**شاهين**»، بالفعل كان وقتًا مناسبًا لـأخبره عما يحدث..كنا نجلس في غرفته:



«**شاهين**»! ماذا لو أخبرتكَ أنني أُفكر بالزواج!ـ عظيم! زواجٌ مبارك!

ماذا تقصد؟!ـ ماذا تريدين بالضبط يا «**مارتينا**»؟ـ سأتزوج يا «**شاهين**»! هل تفهم؟ سأصبح ملك لرجل آخر، قد تنتهي علاقتنا للأبد بعد الزواج, قد لا نلتقي مجددًا، هل تفهم؟!

هنا ضحك «**شاهين**»:

وما المشكلة يا «**مارتينا**»! إنها حياتكِ وأنتِ تستحقين حياةً تليق بكِ!

لم أستطع تحمل المزيد من كلماته السخيفة, صرختُ في وجهه:

ألَم تُخبرني يومًا أنكَ تُحبني؟صَبَّ «**شاهين**» كأسًا مِن النبيذ وهو يشعل لفافة الحشيش و استعاد جلسته وقال:

ـ عزيزتي «**مارتينا**»! اسمعي جيدًاأحبكِ! نعم أنا لستُ رجلاً كاذبًا يا «**مارتينا**»، نعم أحببتكِ ومازلتُ أحبكِ لكن المسألة عندي تختلف، إن للحب مقاييس أخرى، مقاييس لا يستوعبها إلا أنا، نظرتي للحب تختلف عما تنظرين أنتِ له، إن العلاقات معي لا تبدأ بالحب بل تبدأ بالتفاهم، بالتقارب، بالأفكار التي تجمعنا والأحلام التي نسعى إليها، أعرف أن الحب كفيل بتغيير كل شيء لكن مَن هُم مِثلي الحب معهم أمر نسبي، أمر قد يتغير مثلما تتغير الأشياء مِن حولنا!

إن غابت المشاركة، إن ساد الملل تفاصيل العلاقة، إن أصبحنا عاديين، عاديين جدًا في حياتنا سيختفي الحب، سيذوب تمامًا كذوبان السكر في فنجان القهوة، أنا من أولئك الذين يقدرون الحب لكن لا يتخذونه قائدًا لهم، لا يعيرون له اهتماما أكثر مما ينبغي!

لن تفهمي أنني خلقت لـأكون واقعيًا، واقعيًا جدًا، ما إن يشعر قلبي بالحب حتى أتجه وبـأقصى سرعة ممكنه للواقعيـة!

هل نحن متناسبين؟ أظن الإجابة وبكل تأكيد لا، لـأنكِ وببساطة امرأة مُنظمـة، امرأة مُنظمـة حَدَّ الملل، تُحبين الأبيض، تعشقين مشاهدة الأفلام الرومانسية، وتعجبكِ قصص الحب الأفلاطوني، تحلمين بحياة وردية بـصحبة زوج يحبكِ وطفل وبيت صغير في «**كندا**»!

تلك الحياة الجميلة التي لن تناسبني يومًا، أو كانت تناسبني ومِن ثَمَّ لم أحظَ بها فـأقسمتُ أن أتبرأ منها، أن أثور عليها ؛ تحلمين بالهدوء والاستقرار..

أما عني فـ أنا لا أُطاقُ ولا أُحتَمَل, أنا فوضوي من الدرجة الأولى، أحب الأشياء العشوائية وليدة اللحظة، أحب الموسيقى الحزينة لـأنها تشبهني حتى لو كانت كفيلة أن تؤدي بي لـمحاولة الانتحار لا يهم سأستمع و أنا في الطريق للموت، أحب الكتابات الحزينة لـأنها تولِّد بداخلي إحساس الآلام، تجعلني أُقَطِع وأسلخ جسدي، قد أصرخ لكن وفي نفس اللحظة أشعر بلذة السكين وهو يسلخ جسدي، لا يعجبني الورد الأحمر، يجذبني أكثر الصبار كيف يتحمل هذه الوحدة الأليمة؟!

أتساءل كيف يستطيع التأقلم على هذا الوضع وهو لا يستطيع أن يحتضن أحدًا؟!

أنا أُشبه الصبار، أشبهه كثيرًا!

تحبين الصباح لـأنه رسائل أمل مِن عند الله وأنا أحب الرمادي لـأنه يثور على رسائل الله!



لو أنكِ كتبتِ لي رسالة كل يوم تعبيرًا عن حبكِ لوقفتُ أنا ألف يوم لأُفكر كيف لكِ أن تكتبي هذه الكلمات!!

سأُفكر في الأشياء التي دارت في عقلكِ وأنتِ تكتبينها، والكلمات التي خطرت ببالكِ، سأراجع تشبيهاتكِ و أضع ملاحظاتي عليها، وقد أُعدل في شيءٍ منها وأجعل منها قصة قصيرة!

لن أهتم بمشاعركِ، سأهتم بما قبلها، باللذة التي جعلتكِ تكتبين هذه الكلمات!

هل تفهمين أن المسألة عندي مختلفة؟!

أنا أعرف النساء، أعرف أدق أدق تفاصيلهن، أجسادهن، أفكارهن وأحلامهن، أنتِ لا تعرفين إلا القليل القليل جدًا مِن الرجال، لن أتحمل جهلكِ أو براءتكِ، لن أتحمل خبرتكِ المحدودة عَنَّا!

ذات يوم سأثور عليكِ!

ماذا ستفعلين..؟!

ستعانقينني!!

هذا سيعجب رجلاً آخر لكن لن يعجبني أنا!

أنتِ امرأة حكيمة ومثالية و أنا أنفر مِن المثالية، أبتعد عنها و أرفض كل أصحاب الأخلاق الحميدة، أنا استمتع بحماقاتي وسخافاتي، أتلذذ بأخطائي لأنني خلقتُ لأُخطئ، نحن هنا لنُخطئ؛ لو خُلقنا مثاليين لما خلق الله الجحيم والنعيم! الثواب والعقاب!

هذه المثالية لا تعجبني أنا!

أنا أستمتع وأنا أشرب الخمر وأنتِ لا تحبين شُرب الخمر، أنا أستمتع وأنا أُدَخِن الحشيش والدخان يصيبُ قلبكِ بالحساسية، أنا أستمتع وأنا أرقص على الموسيقى الحزينة فوق الحطام وأنتِ تحبين التراتيل الدينية!

لن نتفاهم، سيصيُبنا الملل ذات يوم، سأهرب منكِ، هكذا أنا منذ الصغر أهرب بلا مرسى كسربٍ من الحَمَام، لا أحب الاستقرار، لا أحب الحياة الواحدة، أختفي فجأة وأظهر فجأة دون سبب واضح!

خُلقت لأكتب يا «**مارتينا**»، لأُبدع، لأثور في كتاباتي وأعاشر كل النساء بقلمي لا بقلبي!

أتقبل أن أكسر قلبكِ لأننا لن نجتمع على أن أكسره بالخيانة!

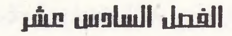
لا تستحقين الخيانة وأنا أُفكر في ألف امرأة في اللحظة!

لن أغفر لنفسي الخيانة حتى وإن غفرتِها أنتِ لي أنا لن أغفر لنفسي!

لذلك تزوجي حتى وإن لم يكُن الحب أمر مشترك بينكما، الأهم أن تتزوجي من شخص يُشبهكِ التفاصيل والأفكار، تزوجي رجلًا يُشبهكِ يا «**مارتينا**»، أنا لا أُشبهكِ.!

بعد هذا اليوم انتهت علاقتي بـ «**شاهين**» لمدةٍ ليست بالبسيطة، خمس سنوات بالتمام والكمال، خلالهم كنت أُتابع أخبار «**شاهين**» مِن بعيد، ارتفعت أسهم شهرة «**شاهين**» في مجال الأدب والسينما وبدأ برحلةٍ جديدة في عالم العقارات!

وقتها لم أفهم بالضبط لماذا أختار هذا المجال على وجه التحديد، لا أتذكر يومًا كان مهتمًا بالعقارات!



وبعد انفصالي عن زوجي عادت من جديد علاقتي بـ «**شاهين**»..

هنا قاطعتها «**ديرا**» وهي تضحك بسخرية:

ـ ولماذا انفصلتِ عن زوجكِ..؟تنهدتْ «**مارتينا**»:

أظن أن «**سام**» ليستْ في حاجة لمعرفة شيء عن علاقاتي الشخصية!

بـ استغراب نظرت لهما «**سام**»:

مع كامل احترامي لحياة «**مارتينا**» الشخصية لكن أظن أن تلك التفاصيل لن تفيدني! أنا أريد معرفة كل شيء يخص العجوز لا أكثر!

وهي تداعب خصلات شعرها ردت «**ديرا**»:

مَن يدري! مَن يدري!

همهمت «**مارتينا**»:

وغدة!

ثم واصلتْ:

لم أجد صعوبة في لقاء «**شاهين**»، لم يمانع في عودة علاقتي به. كان مسالمًا لـأبعد مدى!

تغير كل شيء!نعم تغير كل شيء في حياة «**شاهين**»، انتقل مِن منزله القديم إلى منزل أكثر فخامة وجمال، في هذا الوقت كان «**شاهين**» دائم السفر، يعمل ويعمل بلا هدنة، لكن اكتشفت اهتمامات أخرى له، وثَمَّة شخصيات ظهروا في حياته لا يشبهونه!

لم أستطع الوصول إلى العالم الآخر من حياته أو إلى عمله الجديد، كان

يسافر بلا سبب ويختفي بالأيام و أحيانًا يصل الأمر إلى عدة أشهر ثم يعود!

فجأة ينهي ارتباطاته الأدبية ومِن ثَمَّ يعود من جديد إلى «**باريس**»!

في البداية لم أفهم هل تحولت حياته إلى هناك؟!

لم تكن «**باريس**» البلدة المفضلة له مِن الأساس، كان يكرهها وبطبيعته يرفض الفرنسيين والأسبان ومع ذلك كان يستقر هناك لمدة طويلة!

كان يصاحبه بشكل دائم صديقه «**غوتزا**»، تعرفت على «**غوتزا**» صدفة في منزل «**شاهين**»، الغريب أن «**غوتزا**» لم يظهر معه في أي حفلات أو برامج!

حتى أنه لم يكن يذهب معه في العروض الأولى للأفلام التي كتبها «**شاهين**»، هذا لم يكن يزعج «**شاهين**» أبدًا، كان يتعامل بشكل طبيعي جدًا!

لم أسمع بينهما أي خلاف ولم أفهم سر أرتباطهما، لم تكن الاهتمامات مشتركة بينهما ولم يكن يجمعهما شيء واضح وصريح، حتى في اللقاءات التي حضرتها كانوا يتحدثون عن العقارات، عن الرياضة، عن النساء، مجرد أشياء عادية لا تستحق الذكر!

حتى يوم كنا في زيارة لـ «**روما**» كان هناك حدث أدبي ضخم وكان «**شاهين**» مَدعو بصفة رسمية، بدأت مراسم الحفل ثم فجأة وقفت سيارة ضخمة أمام مقر الحفل ومن ثَمَّ خرج مجموعة من الملثمين منها و انهالوا على الحضور بالطلقات!



على الفور سحبني «**شاهين**» إلى الباب الخلفي و أخذ سيارته و اتجه بسرعة جنونية، كنت في حالة رعب حقيقية، اكتملت بعد أن لاحظت أن هناك سيارة تتبعنا بأقصى سرعة ممكنة!

حذرت «**شاهين**» منها وأنا أصرخ:

إنهم يتبعوننا!..إنهم يتبعوننا!

لم يهتم «**شاهين**» كان يتحدث في الهاتف وهو يقود بجنون :- «**غوتزا**»! «**غوتزا**»! حدث ما كنت تتوقعه بالضبط، حاولوا اغتيالي، حاولوا النَّيل مِنّي! حسنًا، حسنًا، سأفعل، لا تقلق..

نظر «**شاهين**» إليَّ ثم قال:- لا تقلقي يا «**مارتينا**»، لا تقلقي فقط انبطحي، انبطحي ولا تهتمي بما سيحدث الآن!

أثناء المطاردة كان يتحدث بشكل متواصل مع «**غوتزا**»!نصف ساعة من المطاردة لم أفهم مجرى الحديث بالضبط, لكني كنت أسمع «**شاهين**» وهو يتحدث..

- " حسنًا أنا في الطريق الآن.. لا لم يطلقوا النار علينا إلى الآن.. لا أستطيع تمييز الوجوه إنهم ملثمون..لابورجيني سوداء..يبدو أنهم أربعة أشخاص..لا لم يطلقوا الرصاصات..نعم لم يحدث سوء حتى الآن..أنا في الطريق إلى «**تورينو**»..لا الشرطة لا تطاردنا..يبدو أنهم يريدون الحديث معنا لو أنهم أرادوا العنف لأطلقوا الرصاصات على الفور..لا تقلق لن أتوقف لن أتوقف..حسنًا! مستعد الآن فلنبدأ اللعبة..»

حتى سمعت سيلاً من الرصاصات ومن ثَمَّ انفجاراً ضخمًا من بعيد، كنت أصرخ أصرخ وأنا بالأسفل، لا أفهم بالضبط ما يحدث لكني أسمعه

وأشعر به!

عاد «**شاهين**» من جديد ليتحدث مع «**غوتزا**» عبر الهاتف..ـ «أحسنتَ يا صديقي!نعم فلنحتفل هذا المساء!هذا أمر متوقع كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة للانتقام.لا تقلق «**مارتينا**» على ما يرام.هاهاها لم يزعجني صوت الرصاص، أزعجني صوت صراخها.حسنًا سأنتظركَ في المنزل.الأحمق لازال يُشكك في قدراتنا!يا له من رجلٍ سخيف!حسنًا إلى اللقاء.»

بدأت الموسيقى في السيارة، شعرت أن الأمور عادت لطبيعتها، خرجت من أسفل الكرسي، كنا قد اقتربنا من «**تورينو**» بالفعل!

نظرت لـ «**شاهين**» فوجدته يدخن الحشيش وهو يقود ويدندن مع الموسيقى..

ـ ماذا حدث؟

ضحك «**شاهين**»:

انتهت المطاردة لا تقلقي!سألته:

لماذا كانوا يطاردونك..؟رد «**شاهين**»:

ستعرفين كل شيء في وقتٍ لاحق، الآن نحن في «**تورينو**»! فلنحتفل.. رن هاتف «**شاهين**» من جديد..ـ **أهلًا «لايانا»**! لا تقلقي أنا على ما يرام،لا لم أذهب للحفل من الأساس أنا في «**تورينو**» الآن، أفتقدكِ كثيرًا، فلنتحدث فيما بعد أنا مشغول الآن، إلى اللقاء!

قاطعت «**سام**» حديث «**مارتينا**»:



«**لايانا**»! ربما هو الحرفين المكتوبين أسفل اللوحة المرسومة للفتاة الغجرية بجوار المكتبة، اختصارا لهذا الاسم!!

نظرت «**ديرا**» لـ «**سام**»:

لا أتوقع هذا.

تنهدت «**مارتينا**»:

أنا أتوقع!لا يهم؛ المهم وفي هذه الليلة كنت مع «**شاهين**» و «**غوتزا**» في «**تورينو**»، ذهبنا على الفور إلى منزل «**غوتزا**» هناك!

كنت صامتة طوال الوقت، كعادته «**شاهين**» لم يسأل عن صمتي، كان يتحدث مع «**غوتزا**»، يحكي له تفاصيل المطاردة بسخرية كما لو أن مثل هذه المطاردات شيء عادي في حياتهما!

استعدي لحفل المساء يا «**مارتينا**»

كنت منهكة تمامًا:

أنا لا أفهم شيئًا يا «**شاهين**»!

مسح على رأسي قائلاً:

لا تقلقي سأخبرك بكل شيء فيما بعد، الآن ادخلي هذه الغرفة ونامي، الحفل بعد ثلاث ساعات.

في الحفل كانت الأجواء غريبة! شخصيات لم ألتقِ بهم في حياتي من النساء والرجال، يعاملون «**شاهين**» و «**غوتزا**» بـ احترام مبالغ، الخمر الرقص والموسيقى!

على الطاولة كنا نجلس بمفردنا أنا و «**شاهين**» و «**غوتزا**»، يتردد



علينا بعض الحضور يتبادلون الحديث عن المطاردة ومن ثم يذهبون ليأتي غيرهم!

المطاردة! المطاردة! المافيا! نعم إنهم يتحدثون عن المافيا الإيطالية والأسبانية!

كنت في حالة من الذهول والصدمة، أستمع فقط!

انتهى الحفل ومن ثم عدتُ أنا و «**شاهين**» إلى «**فينيسيا**» وهنا في هذا المنزل أتضح كل شيء..

كنا في الرابعة فجرًا، كان «**شاهين**» منهكًا تمامًا غير مُهيأ للحديث عن شيء، وقتها ثِرتُ في وجهه:

أخبرني الآن بكل شيء!

واصل «**شاهين**» خلع ملابسه حتى ألقى بجسده على السرير!

كررت طلبي بعدوانية:

أنا لا أفهم شيئًا يا «**شاهين**» ماذا يحدث؟

رد «**شاهين**»:

لا أظن أن الأمر سيعجبك!

لا يهم، أريد معرفة كل شيء!

أشعل سيجارته:

ماذا لو لم تعجبني تصرفاتكِ!

حاولت تمالك أعصابي:



ماذا تقصد؟!

للمرة الأولى منذ علاقتنا لامس «**شاهين**» خصلات شعري، شعرت بالنشوة! ربما!

واصل «**شاهين**»:

لو خرج الأمر عنًا!!

ألا تثق بي؟

رد «**شاهين**» وهو ينفخ أنفاسه على رقبتي:

أرجوكِ يا «**مارتينا**» لا تعتبري الأمر شخصي، أنا لا أثق بـ أحد يا «**مارتينا**»، لا أثق إلا بـ «**ديفيد شاهين**»!

أقسم لكَ أن الأمر لن يخرج عنا!

لا فائدة من قسمكِ، سأخبركِ بكل شيء لكن أولاً فلنشاهد هذا الفيلم!

أخرج من حقيبته حاسوبًا صغيرًا، كان فيلمًا من كتاباته، توقف عند مشهد ما كان يشبه نفس المكان الذي حضرنا به الحفل..

سألني:

هل تعرفين هذا المكان؟

رددت:

نعم يشبه المكان الذي حضرنا به الحفل في «**تورينو**» قبل ساعات!

رد «**شاهين**»:

هذا المشهد لمجموعة من المافيا يحتفلون بانتصار عظيم لهم على

مجموعة أخرى من المافيا..

واصل «**شاهين**» المشاهدة حتى توقف عند مشهد صورة أحد الضباط الطاليان في الفيلم يدعى «**تورنادو**»!

هل تعرفين الهارب «**تورنادو**»!

رددت على الفور:

نعم أعرفه لكن بالتأكيد لا أعرف هذا الضابط!!

إنه هو نفس الشخص!

حككت رأسي:

لا أفهم!

واصل «**شاهين**» الفيلم حتى توقف عند مشهد اغتيال الضابط!

كان مشهدًا عدوانيًا من الدرجة الأولى!

أغلق «**شاهين**» الفيلم ثم بدأ بعرض فيلم آخر!

هذه المرة لم يكن فيلمًا بل كان الحفل!

نعم الحفل الذي حضرناه قبل ساعات!

اقتربت الكاميرا من طاولتنا. هنا أوقف «**شاهين**» الفيلم ثم ابتسم:

أنتِ ومنذ هذه اللحظة أحد أعضاء جماعتنا!

قاطعتها «**ديرا**»:

ـ قصة خيالية سخيفة!



كانت «**سام**» في حالة صدمة لم تنطق بـ أي شيء..

ردت «**مارتينا**»:

وماذا عن اغتيال «**تورنادو**» بعد عرض الفيلم؟!

ردت «**ديرا**»:

لم يُغتَل بل تمت تصفيته بالخطأ بعد مطاردة مع الشرطة!

ضحكت «**مارتينا**»:

والشرطي الذي صوب الطلقة نحو «**تورنادو**» ماذا حدث له؟

انتقمت المافيا منه!

بسخرية ردت «**مارتينا**»:

مجموعة «**شاهين**» هي مَن تولت هذا الأمر، ليس لـأنه شرطي وحسب، بل لـأنه أحد أفراد جماعتهم أيضًا!

في ذهول قالت «**سام**»:

تقصدين أن الشرطي كان عضوًا في المجموعة!

نعم! نعم!

أشعلت «**ديرا**» سيجارتها:

لكن ولماذا تم اغتياله!

ردت «**مارتينا**»:

ـ هذا ما لا يفهمه إلا أصحاب السلطة هنا، كان «**شاهين**» و «**غوتزا**» أحد المسئولين و صاحبي القرار في المجموعة مع رجل آخر لم ألتقِ به في حياتي!



كان الميثاق الذي يجمعهم أن مَن يقوم بتنفيذ المهمة يُقتَل لـيُدفن السر معه، واتهام المجموعات الأخرى، أو الشرطة بـ اغتيال الضحية دون إثبات أي شيء على المجموعة نفسها!

كانت العمليات وتفاصيلها تحدث عن طريق الأفلام الموسمية التي يكتبها «**شاهين**» ومِن ثَمَّ يتم التنفيذ عبر هذه الرسائل، كان الأمر في غاية الدقة والمهارة!

صرخت «**ديرا**»:

تكذبين! أنتِ تكذبين يا «**مارتينا**»!

أنا لا أكذب يا «**ديرا**»، هذه الحقيقة! «**شاهين**» أحد أهم و أخطر رجال المافيا الإيطالية!



الفصل السابع عشر

صمتٌ تام..

صمتٌ يعتلي كل الأصوات..

الأفكار، الصدمة، التساؤلات..

«**ديرا**» الفتاة التي أحبته ولم تحب عالمه يومًا، لم تحب أصدقائه، اكتشفت أنها على حق رغم أنها لم تكن تعرف عن «**شاهين**» كل الأحداث التي كشفتها «**مارتينا**»، لكن كان في سجيتها تعرف أن شيء ما كان غامضًا في حياة العجوز!

تحدثت مع نفسها كما لو أنها تتحدث مع شخص آخر..

«**منذ اللحظة الأولى يا «ديرا»** و أنتِ تعرفين أن هذا الرجل لا يصلح لكِ، لا يناسبكِ، يختلف عنكِ في كل شيء، في اهتماماته وأفكاره وعالمه، أنتِ التي لم تُدخني في حياتكِ كنت برفقته وهو يحرق الحشيش، أنتِ التي رفضتِ العلاقات العابرة كان يعاشركِ كل ليلة دون مسمى، الخيانة أكثر ما كنتِ ترفضينه في حياتكِ، كنتِ تقبلينها منه، كان يداعبكِ وأنفاسه ممزوجة بأنفاس الأخريات، كنتِ تأملين أن يقع في غرامكِ ويتحسن! لم يحبكِ يا «**ديرا**» لم يحبكِ، كان يخدعكِ كان يضيع وقته معكِ حتى أنه لم يخبركِ عن عمله هذا! أنتِ مَن تطالبين بفرض القانون على الجميع أوقعكِ الغرام في طريق أخطر رجال المافيا!"



هنا سمعت صوتًا آخر :

"كان يحبكِ يا «**ديرا**»! صحيح أنه لم يخبركِ بأسراره لكن كان يخبركِ دائمًا أنكِ أفضل النساء، صحيح أنه كان يعاشر غيركِ، لكن لم يبكِ إلا في حضنكِ أنتِ، لم يعرف أحد شيئًا عن وجعه إلا أنتِ، تعرفين! لم يبكي «**شاهين**» في حياته إلا معكِ! صحيح أنه بكى حزنًا على فقدان صديقه وأمه وحبيبته، لكنه كان يبكي معكِ، والرجل لا يبكي إلا مع امرأة يحبها!

القتل!! ومَن مِنَّا لم يُخطئ في حياته، ومَن مِنَّا لم يرتكب جريمة في حق نفسه وحق الآخرين!!

كان يحبكِ يا «**ديرا**»، رغم كل شيء كان يحبكِ حتى لو لم يُظهر لكِ ذلك..!»

في الوقت نفسه كانت «**مارتينا**» تفكر كما لو أنها سمعت عن «**شاهين**» كل الأحداث التي كانت تعرفها..

"في قانون الشطرنج المُشاهد وحده سيد اللعبة، هو الأكثر مهارة مِن الطرفين؛ لأنه وببساطة خارج إطار المعركة!

لو شاء القدر وفُتحت الملفات القديمة و أُعيد النظر في الجرائم السابقة حتمًا ستنالين مصيركِ من السجن المؤبد!

صحيح أن يديكِ لم تُلَوَثا بالدماء لكن كنتِ تعرفين كل هذا، كنتِ صامتة أمام الحقيقة، كنتِ تعرفين الجاني، وتغمين عينيكِ عن القاتل الحقيقي، «**شاهين**» هو القاتل، هو المسئول عن كل نقطة دم حدثت تحت إشرافه، كم مِن ضحايا سقطوا لرغبته في الانتقام!!

و أيّ انتقام كان يبحث عنه!!

كان يعرف المسئول عن قتل «**باولو**» فلماذا تأخر كل هذه المدة في الانتقام منه!!

هل تصدقين أن قرار الابتعاد كان برغبته!!

أعوام وأعوام وهو يباشر القتل كثورٍ هائج، وأعوام وأعوام وأنتِ خاضعة له، توافقينه وتشاركينه كل شيء في سبيل الحب، وأي حبٍ هذا الذي جعل منكِ مجرمة!

ماذا عن ابنتكِ؟ ماذا لو علمت بحقيقة أن أمها التي لم ترَها مجرمة؟

أفسدكِ الحب يا «**مارتينا**»، أفسدكِ الحب وأفسد كل شيء، أنتِ الآن في نظر «**ديرا**» مجرمة وفي نظر «**سام**» مجرمة وفي نظر المجتمع مجرمة، لكن في نظر الحب أنتِ ضحية، لن يغفر لكِ الحب أمام القانون!

أحببتِ رجلاً قلبه مُتحجرًا وقاسيًا رغم كل شيء لم يحبكِ.!»

قاطعت «**سام**» صمتهم وهي تسأل «**مارتينا**» :

ـ ومَن الذي حاول اغتيال «**شاهين**»..؟!

في هدوءٍ تام ردت «**مارتينا**» :

بالتأكيد «**غوتزا**»!

قبل ثلاثة أشهر كانت العملية الأخيرة ؛ أنا الوحيدة التي علمت بهذا الأمر، كانت المرة الأولى التي لم يكلف «**شاهين**» أحدًا بالقيام بهذه العملية، هو مَن استعد لها بدوافع انتقامية!



هذا هو الرجل المسئول عن اغتيال «**باولو**»!

بعد أعوام وأعوام مِن البحث أخيرًا تأكد مِن المسئول عن قتل صاحبه!

كنا في مساء نيسان الخريفي، كان «**شاهين**» متحمسًا للانتقام، أقسَمَ أنه و في هذه الليلة لن ينام إلا وهو على جسده دماء قاتل صديقه الوحيد، أقسَمَ أن يقيم احتفالا ضخمًا بهذه المناسبة التي لطالما انتظرها، لطالما كانت تراوده وتلوح له من بعيد ؛ لم يستدعِ «**غوتزا**» هذه المرة بل طلبني أنا لمشاركته هذه العملية، لم أشارك في حياتي في مثل هذه العمليات، كنت أتابع مِن بعيد لكن لم أشارك بشكل رسمي!

هذه المرة أنا من سأرافقه! أنا مَن سأشاركه القتل!

كانت المرة الأولى والأخير!

الرابعة فجرًا، الخامس والعشرون مِن نيسان ..

اتجهنا بسيارته إلى منزل الضحية، بالطبع تعرفونه المحامي المشهور «جورج إيفريست "كما يلقبونه زملائه!

كانت صدمة، و أي صدمة!

لطالما سمعت عن هذا الرجل كل الخير لكن و أي صدمة كانت أقوى مِن «**ديفيد شاهين**» السيناريست المعروف، الشخص الذي كرمته الدولة وأصبح مثالاً يُقتدى به وهو في الحقيقة أخطر الخارجين عن القانون!

لم يكن الوقت مناسبًا للتفكير أكثر، وقفتُ بالسيارة أسفل المنزل وقبل أن يخرج «**شاهين**» مِن سيارته قال :

ـ إن تأخرت عن عشر دقائق بلِّغي «**غوتزا**» بالأمر ثم عودي لمنزلي القديم، إلى اللقاء!

خرج «**شاهين**» من السيارة و اتجه مباشرة ناحية المنزل..

خمس دقائق.. عشر دقائق.. خمس عشرة دقيقة.. عشرون دقيقة!

تأخر «**شاهين**»!

تأخر جدًا!

لا أعرف لماذا لم أفعل ما أمرني به!

كنت قلقة عليه، كان القلق يمزقني، اتصلت بـ «**غوتزا**» على الهاتف فلم يرد!

تعجبتُ مِن ذلك!

كان «**غوتزا**» يعرف أن «**شاهين**» في عملية خاصة وبمفرده!

أرحل أم أصعد إليه؟!

هل أُنفذ أوامر «**شاهين**» أم أخضع لرغبه قلبي في الاطمئنان عليه؟!

ماذا لو صعدتُ فوجدتُ أن رصاصة «**إيفريست**» اخترقت جسد «**شاهين**» فبالتأكيد سأنال أنا نفس المصير!

لو لم أفعل فقد يكون «**شاهين**» في أَمَسِّ الحاجة لمساعدتي!

كررت اتصالي بـ «**غوتزا**» ولم يستجب أيضًا!

الحب! الحب!

الحب وحده ما يقودنا نحو الجنون، يجعلنا نلقي بـ أنفسنا في التهلكة،



وما أدراك ما التهلكة مع «**شاهين**»!

صعدتُ إلى المنزل.. الباب مغلق!

طرقتُ الباب..المرة الأولى لم يفتح أحد!

المرة الثانية لم يفتح!

اتصلتُ بـ «**شاهين**» على الهاتف لم يرد!

بدأ القلق يراودني أكثر!

دفعتُ الباب بقدمي، الباب لم يكن مغلقًا بـ إحكام!

دخلت، هدوء تام، لا وجود للإضاءة في الصالة!

تذكرت أن غرفة النوم في الطابق الثاني الداخلي بالمنزل كما وصف لي «**شاهين**»، صعدتُ بسرعة ودفعتُ الباب..

«**إفريست**» غارقًا في دمائه، و «**شاهين**»؟!

« **شاهين**» على الأرض يبكي وهو يعانق امرأة ترتدي قميصًا أحمر اللون!

هكذا ظننتُ لكنه لم يكن أحمرًا إنما الأحمر هي الدماء التي انفرجت من صدرها!

كان يعانقها، يعانقها ويقبل وجهها كما لو أنه يعرفها! كما لو أنها زوجته!

لا لم تكن زوجته، لم يكن بكاءً عاديًا بل كان عويلاً وصراخًا!

يداعبها، يقبلها، يعانقها، ويصرخ :

لم أقصد يا «**لورين**»، لم أقصد يا «**لورين**»! لم أقصد! لم أقصد!

«**لورين**»!!

هنا صُعقَتْ «**ديرا**» و «**سام**»..

نوبة بكاء أصابت «**مارتينا**» وهي تواصل:

نعم، كانت «**لورين**» حبيبته الأولى!

قتلها «**شاهين**»، وضع الرصاصة في قلبها مثلما وضعت هي سهم الفراق في قلبه!

كان يصرخ بجنون، لم أتمالك أعصابي جلستُ بجواره وعانقته، كان يرتعش كالأطفال!

لم أشاهده طفلاً لكني لمسته هذه المرة!

طفل في بركة دماء يعانق حبيبته المقتولة!

كان اللقاء الأول والأخير الذي يجمعني بـ «**لورين**»!

«**لورين**» كانت امرأة عادية الملامح، لم أتوقع هذا لطالما قرأتُ عنها بين كتاباته ولم ألتقِ بها، كنت أظنها امرأة في غاية الجمال، لكنها لم تكن كذلك!

الحب!!

الحب الذي جعلني أوافق على مرافقة «**شاهين**» في عمليات القتل هو من جعلها سيدة كل النساء في نظره!



الذي جعلني أنفصل عن زوجي وأبتعد عن ابنتي جعله يكتفي بها عن كل النساء حتى أجملهن لم يحبها «**شاهين**» بهذا القدر!

«**ديرا**»! أنتِ التي حدثني «**شاهين**» عنها، لو شاهدته وهو يبكي لاعترفتِ أنه لم يحبكِ في حياته، لو شاهدتِه وهو في هذه الحالة لما صدقتِ أي كلمة حبٍ كتبها ونطق بها لغير «**لورين**»!

خمسة وعشرون عامًا مِن الغياب ولم يلتقِ بها!

لم يسمح القدر باللقاء إلا بعد إن أصبحت حبيبته جثة هامدة!

حتى ولو كانت ماتت في قلبه قبل زمن فلقد أعادتها رصاصة المسدس إلى حياة أخرى في قلبه!

ثمة أوجاع نظن أننا تجاوزناها، أننا تعافينا منها!

ثمة أوجاع نقسم أنها لم تعد، حتى موقف عابر يثير كل شيء، يزيدنا فوضى وآلام و وجع يجعلنا أمام حقيقتها الأولى التي لطالما ظننا أنها اختفت، اختفت وللأبد!

وهنا كان موقف «**شاهين**» هو الموقف الأخير! انتقم لدماء صديقه القديم وانتقم عن غير قصد لوجعه القديم..

دقت السادسة صباحًا، سينكشف أمرنا، ساعة ونصف و «**شاهين**» يبكي!

ـ «**شاهين**»! أرجوك هيا بنا، أرجوك!

حاولت تهدئته، حاولت حتى انطلقت بالسيارة إلى المنزل القديم، لم يتوقف «**شاهين**» عن البكاء لكن هذه المرة كان بكاءً صامتًا!

اتجه مباشرةً إلى غرفته.

رن الهاتف:

«**غوتزا**»! اتصلت بك أكثر من مرة ولم ترد!

ـ هل حقًا «**لورين**» امرأة جميلة؟

ـ ماذا تقصد؟! هل كنت تعرف أن «**لورين**» زوجة «**إيفريست**» ..؟!

ضحك بـ استفزاز:

لو أردتِ نفس مصيرها فتحدثي عن هذا الأمر!

اندفعتُ عليه بالكلمات:

لماذا؟! لماذا لم تخبره؟

اندفع هو الآخر:

أنا أكرهه، أكرهه! ليتذوق نفس النيران التي أشعلها بداخلي بعدما رأيتكِ بجواره، أنا الأحق بكِ ليس هو, أنا الذي أحبكِ ليس هو، أنا وحدي مَن أستحقكِ! هو! هو ماذا فعل في حياته ليحصد كل هذا؟ الشهرة؟ المال؟ والسلطة؟ وأنتِ؟ ماذا فعل ليحصد كل هذا..؟!

الآن ومِن جديد فلينعَم بوجعٍ آخر، وجع لن يهدأ، لن تنطفئ نيرانه إلا بالموت، بإمكاني أن أضعه في السجن الآن لكن لن أفعل سأتركه في معاناته الأبدية، بـ أمكاني أن أُخبر بَقيَّة الأفراد بنية «**شاهين**» بالاعتزال الآن و إنهاء كل شيء لكن لن أفعل، حتمًا سيقتلونه والموت رحمة لا أتمناها له! سأتركه يا «**مارتينا**» في عذابه الأبدي الذي لن ينتهي أبدًا!



«**غوتزا**»! الصديق المُقرب لـ «**شاهين**» كان ألد أعدائه، كيف أعطى «**شاهين**» له كل هذه الثقة؟!

كيف استطاع «**غوتزا**» أن يرسم دور الصديق الوفي وهو أشد الناس حقدًا وكرهًا له؟!

كل هذه الفترة وهو يكرهه! وهو يتمنى له الشر!

أغلقتُ الهاتف في وجهه ثم سقطتُ أرضًا مِن شدة التعب..

لم يكن الوقت يسمح بمزيد من الصمت، كان النهار قد بدأ في الغروب وعقارب الساعة تشير إلى السابعة مساءً!

سؤال واحد فقط ويسدل الستار على «**شاهين**» قائد المافيا الذي لا يعرف الجميع عنه إلا أنه الكاتب المعروف!

كانت «**ديرا**» أول من بادرت بالسؤال :

إذن هنا قرر «**شاهين**» الاعتزال! ولهذه الأسباب تم استخراج شهادة وفاة له؟!

ردت «**مارتينا**»:

نعم، لكن كان الأمر في غاية الصعوبة، في أيامه الأخيرة عاد الإكتئاب مرة أخرى لـ «**شاهين**»، لم يتوقف على المرض النفسي عند «**شاهين**» وحده بل أثر على قراراته العملية، فسخ عدة عقود والتزامات أدبية ثم إنهاء كتابه الأخير بعنوان «**الإله يعترف**»

ومِن بعدها الاعتزال التام، كان لقاءنا في هذه الفترة أشبه بالمستحيل، انعزل هنا في هذا المنزل، بدأت التجاعيد تسكن ملامحه أكثر فأكثر،

ظهر كجثة في السبعين من العمر، حاول «**غوتزا**» التواصل معه لكن دون جدوى، استدرجني أيضًا لعلِّي أعرف عن مكانه لكن باءَتْ محاولاته معي بالفشل، وبعد الحادثة الأخيرة تيقن «**غوتزا**» أن «**شاهين**» اختفى، اختفى و للأبد لذلك بادر بـ استخراج شهادة الوفاة ومِن ثَمَّ سيطر هو على المجموعة بمفرده فالشخص الثالث الذي كان شريك قراراتهم اختفى هو الآخر منذ فترة طويلة!

ليس لصالح أحد أن يعود «**شاهين**» إلى الحياة خصوصًا لو عادت ذاكرته؛ لذلك رفض «**غوتزا**» مساعدتك يا «**سام**»، ربما كان اختفاء «**شاهين**» فرصة رائعة ليفوز بي «**غوتزا**» لكن فشلت محاولاته أيضًا ومِن ثَمَّ كانت عودة «**شاهين**» بمثابة رصاصة في قلب «**غوتزا**» لذلك قرر الانتقام من كل شيء، ولا أظن أن النار التي أشعلها الحقد ستنطفئ إلا بالموت، ومن ثم ينبغي علينا الخروج من «**فينيسيا**» في أسرع وقت ممكن!

انتهت «**مارتينا**» مِن سَرد المواقف الهامة في حياة «**شاهين**»، في حياة «**شاهين**» فقط..!

الفصل الثامن عشر

حل الظلام!

الظلام التام على المدينة!

وقفت «**ديرا**» في الشرفة تستمتع بـ أجواء «**فينيسيا**» الباردة وهي تفكر فيما سمعته من «مارتينا"..

«الخديعة!!

و أي خديعة..؟!

إن مشكلة الحب تكمُن في نظرته الأولى، في الإحساس الذي يقودنا نحو الجنون، لم تخدعنا النهايات الحزينة، كانت ظاهرة أمامنا منذ اللحظة الأولى مِن لقاءنا لكننا كذّبنا هذا الوضوح بـ إرادتنا، ربما لـأننا وقتها كنا في حاجة للحب!

أو أننا قبلنا المُراهنة على تغيير الواقع والحقيقة!

وعلى الرغم مِن إيمان البعض أن الحب لا يقدر على الوقوف أمام القدر, لكن حين يتملّك الحب مِن قلوبنا يقودنا الأمل أحيانًا نحو المجهول، لا لَوم على الحب ولا ذنب، فما الذنب إلا على أولئك الذين تشبَّثوا بالأمل الكاذب، و وضعوا مشاعرهم على طاولة المراهنات أمام القدر وكذّبوا علامات الغياب في اللقاء الأول، فما حصدوا إلا الحزن والكآبة وأصاب



الفـزع والوحـدة قلوبهـم وحياتهـم، المشـكلة يـا سـادة أن النهايـات تختلـف مِن شـخص لـآخر، فـهناك مِـن يعوضـه الزمـن عن الفقدان بـ أشـياء جديـدة تعيد له الحيـاة وهنـاك مَـن يسـتوطن النسـيان ذاكرتـه سـريعًا، وثَمَّة أشـخاص يسـتعيدون رونقهـم بـلذة الانتقـام فـينتصرون على الوجـع والفقـدان بـالقوة والأمـن، لكن هناك مَن تفسدهم النهايات فـيتحولون لـأطفال رُضَّع يخافون مِن الجميع بـلا استثناء، أولئـك الذيـن جعلوا أحبَّتهـم عالمًـا خاصًـا مـا أن يغيبـوا عنهـم حتى يغيـب العالـم معهِـم، أولئـك مُصابـي متلازمـات التفاصيـل والعشـق الجنوني والاهتمـام الزائـد عـن الحَد، مـا أن تصِبهـم النهايـات الحزينـة حتـى يصبحـوا شـخصيات خائفـة، تخـاف مِـن النـاس ومِـن الاهتمـام ولا تَضـع اعتبـارا لـلأمل، أولئـك هـم ضحيـة الخيبـات، يعيشـون حيـاة طويلـة فـي غرفهِـم منعزليـن تمامًا عـن التجمعـات السـخيفة، لا يحبـون الثرثـرة، وكلمـا حاولـوا الاندمـاج وسـط القطيـع شـعروا بـغربة قويـة تجتـاح قلوبهـم، لا أُشـفق إلا علـى أولئـك الذيـن تَبِعوا الأمـل حتـى اسـتقر بهـم الأمـر عنـد محطـات البـؤس والحـزن وحكـم عليهـم القـدر بـالخوف الأبـدي، فـهم لا يقـدرون علـى الحـب ولـم يعـد بـداخلهم شـيء يصلـح لـمراهنات جديـدة و فقـدوا الثقـة فـي الجميـع بـلا اسـتثناء، فـأصبحوا غربـاء عـن كل شـيء حتـى عـن أنفسـهم، لا لـوم علـى الحـب، فـالحب مـا هـو إلا مرحلـة مـن مراحـل الجنـون، وطالمـا أنـكَ وافقـت علـى أن يقـودك مُختـل متهـور فـلا لـوم إن أسـقطكَ فـي الوحـل، لكـن اللـوم كل اللـوم عليـكَ فـأنتَ مَـن وافقـت، وأنـت مَـن سـمحت، و وحـدك مَـن راهنـت علـى القـدر، ومـع ذلـك فـمازلتُ أشـفق علـى العشـاق البؤسـاء أصحـاب النهايـات الحزينـة، خاصـةً أولئـك الذيـن حّولهـم الغيـاب لـأطفال يخافـون مـن الحيـاة بـ أكملهـا ولا يؤامنـون لـأحد..

كنا ومنذ اللحظة الأولى نعلم أنه الطريق الخاطئ, ونعلم كمّ الأوجاع والآلام التي تنتظرنا، لكنه القلب حين يجتمع مع الحب! و يا لغباء اختيارات القلب! «

هذا الغباء الذي أصاب قلب «**ديرا**» بالجنون، في المساء كان تنام مع الصائد وفي الصباح تستيقظ لتطالب بحق الفريسة!

كانت تداعب القاتل ثم تصرخ من أجل القصاص لدماء القتيل!

امرأة مثل «ديرا اعتادت الحياة بمفردها اعتادت التعامل مع المجرمين والسفاحين، اعتادت على أن لا تثق بأحد، هي امرأة لا تصلح للحب أبدًا تذكرت عشيقها الأول ذلك الرجل الذي كان بمثابة الأب لها، تذكرت عشقها الجنوني له، وتذكرت كم الوجع والخذلان الذي أصابها منه، ومِن ثَمَّ المعاناة! المعاناة الأبدية حتى أنها قررت أن لا تثق في رجل و أن تنعزل عن هذا الجنس وللأبد..

حتى ذلك الرجل الذي كان يحبها وحاول انتشالها من وحل الكآبة والحزن، لم تحبه هي لم تحاول من الأساس، كانت تعرف أنها لم تصلح للعلاقات العاطفية، كانت تؤمن إيمانًا تامًا أنها شخصية لا تُحتمل، حاولت الانتحار أكثر من مرة لتتخلص من هذه الحياة التي لا تناسبها..

المزاجية! التفكير حد أقصى مراحل الصداع! القلق بلا سبب! والإكتئاب المُزمن مع نوبات الحزن والبكاء المفاجئة!

كل الأمراض واللعنات النفسية التي لا يستطيع أحد تحملها كانت تعاني منها رغم صمودها أمام الجميع!

الأصدقاء؟!



في الصغر لم تكن مشكلتها في الصداقة بشكل عام لكن كانت مشكلتها في الفهم الخاطئ، هي لا تعرف كيف تدافع عن نفسها, لا تجيد كلمات المواساة والتهوين حتى في أشد لحظات سعادتها كانت تعجز عن إظهار امتنانها لهم، كانت صامتة، صامتة طوال الوقت بطريقة مخيفة، هذا ما جعل البعض ينفر ويبتعد عنها، هي مسالمة حد أنها التمست لهم كل أعذار البعد والفراق، كانت تعرف أنها لا تُطاق، حتى وصلت لمرحلة أن لا صديق لها!

الأقارب؟

لطالما عرفها أقاربها ومنذ نعومة أظافرها بالفتاة الأنطوائية الكئيبة والمتعالية أحيانًا، كعادتها لم تحاول الدفاع عن نفسها, كانت تسمع، تسمع فقط بلا رد فعل، كانت تعرف أن لا أحد يستطيع فهم شخصيتها الحقيقية!

هي اجتماعية من الدرجة الأولى لكنها لا تحب التجمعات، لا تحب ضحكات وكلمات المجاملة، وبداخلها أفكار مختلفة لن يتقبلها أحد، وقد يتهمونها بالكفر والانحلال!

إنها لعنة اللا انتماء، اللا انتماء لأفكار أقاربها، تختلف اهتماماتهم عن اهتماماتها، تختلف نظرتهم للحياة عن نظرتها للحياة!

هي تحبهم لكنها لا تنتمي إليهم..

الحب؟!

كانت تعرف أنها لا تصلح للحب، لا تصلح للارتباط، مَن ذلك الذي يستطيع تحمل فتاة مصابة بالوسواس! بعقدة الفقدان!

مَن سيتحمل اهتمامها بالتفاصيل! ومَن يستطيع أن يبقي بجانبها في لحظات احتياجها وإكتئابها!

ومَن سيحترم لحظات صمتها الطويل!

كانت تعرف أن شخصيتها والحب طريقان لن يلتقيا أبدًا..

فقدت الثقة بأقاربها وأصدقائها ونفسها حتى ظهر «**شاهين**» في عالمها، تجاوز كل العقبات التي وضعتها أمامه، أقسم أن لا يتركها، أن لا يتخلى عنها، أعاد ثقتها المفقودة بنفسها، رسم على لوحتها الكئيبة ألوان البهجة والسعادة، أزاح حطام الحزن والفقدان من قلبها ثم أعادها لطفولتها، لفتاة بلا خوف، بلا وجع، بلا حزن، رغم نجاحها وشخصيتها القوية كانت طفلة معه!

وبعد مرور مدة ليست بالقصيرة وبعد أن اعتادت وجوده وأحبت الحياة معه بل وجعلته صديقها ورفيقها وحبيبها الوحيد، بعد أن أمتلك قلبها امتلاكا تامًا رحل!

رحل بلا سبب واضح يرضيها، فعادت امرأة بملامح العشرين وقلب لم يعد يصلح للحياة، ولم تكتفِ الحياة بذلك الرحيل بل كشفت أن عشيقها، وحبيبها نسخة مزيفة ملطخة بالدماء، وكأنها في خلاف أبدي مع الحب، إما أن تحب من لا يحبها، و إما أن يحبها من لا تحبه، ولو أحبت من يحبها لا تحبهما الحياة معًا!

مِن حبل الأفكار قاطعتها «**سام**»

ـ الأجواء بالأسفل تبدو رائعة، أليس كذلك؟!



دون اهتمام ردت «ديرا»:

لأننا ننظر لها من الأعلى

سألت «سام»: ماذا تقصدين؟

ردت «ديرا»:

انظري إلى القمر! يبدو جميلاً أليس كذلك؟

انظري إلى هذه النجوم تظهر متوهجة وبديعة، انظري إلى هؤلاء الذين يعبرون الطريق طريقتهم في المشي رائعة, يبدو أنهم لطفاء جدًا!

كلما ابتعدنا أكثر تجملت الصورة واختفت عيوبها وكلما اقتربنا أكثر حتى ظهرت حقيقتها، لو أننا اقتربنا أكثر من القمر ربما لن نتحمل برودة أجواءه ولو أننا اقتربنا من النجوم حتمًا ستبتلعنا بنيرانها، ولو عرفنا قصة اللطفاء الذين يعبرون الطريق ربما لن يبدوا لطفاء بأعيننا!

هذه هي الحقيقة ثمة أشياء ينبغي أن تبقى بعيدة و أن نبقى على قرب مسافة واحدة منها نراقبها دون أن نلامسها، نستمتع بها ولا نمتلكها، مسافة واحدة كفيلة بإنهاء كل شيء!

نحن وفي بداية حياتنا كنا ننظر للعالم من شرفتنا بشغف وفضول نتمنى يومًا أن نصبح فردًا منه، فردًا مسئولاً عن أفعاله لكن ومع الوقت وبعدما أُجبرنا على الانضمام له أصبح العالم أكثر وحشية وقبحًا وكلما اقتربنا أكثر كلما أتضح قبحه أكثر وأكثر. هذه هي الحقيقة يا «سام»، الأشياء بعيدة المدى لابد أن تبقى بعيدة المدى والمنال لنحافظ على رونقها وجمالها بداخلنا

هذه فلسفة **«شاهين»** أليس كذلك؟

ضحكت **«ديرا»**: هذه فلسفة الحياة يا **«سام»**!

خرجت **«ديرا»** من الشرفة وظلت **«سام»** تتابع الأجواء الشتوية في **«فينيسيا»**، تذكرت.. تذكرت والدها، ذلك الرجل الذي قرر الذهاب إلى **«باريس»** ومِن ثَمَّ إلى **«مالطا»** بعد الانفصال و وفاة والدتها، لم تفهم سر القرار ولم تفهم كيف ماتت أمها!

والد **«سام»** كان رجلًا غليظ التصرفات والعدوانية، كانت تلاحظ ذلك في مكالماته الهاتفية مع أصدقائه، لكن كان يتعامل معها بمودة وحب، يحاول توفير كل احتياجاتها..

نجح في فعل كل شيء إلا عودة والدتها إلى الحياة!

إلى الآن لا تعرف الكثير عن طبيعة عمله لكن ما تعرفه أن عمله لم يكن مرتبطًا بـ **«مالطا»**، فلقد كان كثير السفر!

تنهدت **«سام»** وهي في الطريق إلى غرفة النوم

ـ «أفتقدكِ يا أمي! أفتقدكِ كثيرًا!"

في الوقت نفسه كانت **«مارتينا»** في غرفة **«شاهين»** تتأمله وهو غارق في نومه، تذكرت معه أحداثًا لم تذكرها في حديثها مع **«سام»** و **«ديرا»**

ـ كانت ليلة عصبية، يومها قررت البلدة تكريم **«شاهين»** على أعماله الأدبية، كان»شاهين» يستعد لحفل الصباح بصحبة الفودكا والماريغوانا.. على غير العادة كان **«شاهين»** يشرب بشراهة كما لو أنه يريد أن يغرق بالكحول!



يومها بدأ الكحول يفرض سيطرته على عقل «**شاهين**» ودون سبب بدأ بالحديث معي..

سمعتِ عن قصة «**إليزا**»؟!

لم ينتظر إجابتي وبدأ يحكي:

قديمًا في أحد الأحياء الفقيرة ولدت «**إليزا**» في منزل فقير، أب يعمل بمبلغ زهيد وأم تتسوّل في الشوارع من أجل إطعام صغارها، كانت «**إليزا**» فتاة جميلة جدًا وتشعر ومنذ اللحظة الأولى أنها مختلفة عن أخواتها، لم يكن اهتمامها مُنصَب على المال وحسب بل كانت تؤمن أن هناك شيء أسمى وأصدق من المادة هو «**الحب**»، كانت تبحث عنه في منزلها بين إخوتها، بين صديقاتها لكن كانت رحلة البحث عنه أشبه برحلة البحث عن سمكة في قلب المحيط الأسود!

بدأت الحياة تداعب «**إليزا**» وبدأت تترعرع وتظهر ملامح أنوثتها، وفي الشارع هناك كل شيء ممكن ومباح، القتل! السرقة! التحرش! الاغتصاب!

كل تلك الأفعال عادية طبيعية عدا الحب!

كانت الجريمة التي لا تغتفر أبدًا..

وذات يوم شعرت «**إليزا**» بالحب، وفي نفس الوقت شعرت بالخوف من أن تُكشف جريمتها حسب معتقدات الحي، حاولت الحفاظ على سرية العلاقة التي جمعتها مع شاب آخر، بدأ شعور الندم يلاحقها، حاولت الحديث مع والديها عن هذا الأمر، لكن سرعان ما صبوا غضبهم عليها، بل، وأجبروها على الزواج من رجلٍ آخر في نفس عُمر والدها كل ما يعرفه عنها أنها فتاة جميلة!

عاشت **«إليزا»** حياة بائسة مع زوجها العجوز حتى ظهر من جديد عشيقها الأول، حاولت الابتعاد عنه والخضوع للأمر الواقع..

الأمانة! الأمانة!

سقطت الأمانة أمام هيبة الحب، عادت علاقتها من جديد بعشيقها السابق حتى يوم انكشف أمرهما فاجتمع سكان الحي على أن يطهروا **«إليزا»** من الحب فذهبوا إلى منزلها ثم قاموا بسحبها إلى الشارع وعلقوا يدها بذيل الفرس ثم تركوها للأرض ليجرها الحصان ناحية المحكمة الشعبية، كان الجميع يضحك ويغني احتفالا بالنصر العظيم، النساء! الرجال! والأطفال يقصفونها بالحجارة وهي على الأرض ملطخة بالدماء حتى وصلت إلى القاضي الذي أمر برجمها حتى الموت!

هنا صرخت «إليزا :

"سيدي القاضي!

لم تصدر يومًا حكمًا ضد القتلى! ضد المُرتشين! ضد المفسدين في الأرض! والآن تُطلق أحكامك على امرأة تهمتها الحب؟!

أي عدل هذا؟!

مَن مِن هؤلاء لم يفكر بالحب..؟!

ولو أن الحب بالنسبة لكم يعني **«الجنس»** فالحيوانات تفعل مثلما نفعل نحن أيضًا!

إن الحب ليس عدوكم الأول، القتل عدوكم! الاعتداء والنصب والسرقة أعدائكم!



لماذا؟ لماذا لم تُطلق المحكمة حكمًا ضد هؤلاء..؟!

لماذا ثار الناس على الحب ولم يثوروا على القمع! على التحرش والفقر والجهل!

في هذه القاعة الجميع مُدان، الجميع مُذنب بلا استثناء, إما بالصمت أو بالظلم!

وأنت يا سيدي القاضي أول المُذنبين؛ لأنكَ وببساطة صامت، صامت أمام كل الجرائم التي تستحق أحكامك، ولم تطلق حكمكَ إلا على الحب!»

ماتت «**إليزا**» بعدما قذفوها بالحجارة.

أنهيتَ أنتَ القصة يا «**شاهين**» وكأنكَ كنتَ تريد تنبيهي أن ما سيحدث لي في المستقبل تمامًا كالذي حدث مع «**إليزا**»!

سأكون متهمة بالقتل والسرقة رغم أن تهمتي الرئيسية هي «**الحب**»..!

الفصل التاسع عشر

«ميلان»

٧:٠٠ ص

كيف حالك يا شاهين؟

لستُ على ما يرام!

ما الأمر..؟!

لماذا انتهينا..؟

أنت وحدك مَن تملك إجابة لهذا السؤال!

أفتقدكِ!

لا قيمة للفقدان الآن، انتهى كل شيء..

ـ لم ينتهِ بداخلي!

غدًا ستعتاد.

هل اعتدتِ أنتِ؟!

لا، لكن هذا لا يعني أننا سنعود كما كنا، صحيح أفتقدكَ، أحِنُ لكَ وأشتاق لرؤيتك، أُؤمِنُ أن علاقتنا كانت تستحق نهاية تليق بكل التضحيات والمواقف التي جمعتنا، صحيح أنكَ لم تَغِب عن بالي ولو للحظة وصحيح



أنني لازلتُ أتمنى وجودكَ جِواري وأتساءل «**كيف انتهينا؟**»

أراقبكَ مِن بعيد، أتابع أخباركَ وأفخر بكل خطوات نجاحكَ ومجدك، أغار عليكَ ويجِن جنوني، كلما حاول أحدٌ الاقتراب منكَ ويصل بي الاشتياق حد أنني أتصل بكَ على الهاتف أو أرسل لكَ رسالة طويلة أحدثكَ بها عن كآبة الحياة بعد غيابنا، أتوهم وأتخيل وجودكَ وأقول في نفسي:

«يومًا سألتقي بكَ، سأحدثكَ عن كل الليالي التي قضيتها وحدي غارقة في الألم والأنين، سأحكي لكَ عن نوبات حزني المفاجئة، إكتئابي الشديد وتشنجات جسدي، سأقرأ لكَ كل رسائل الحزن والاشتياق التي كُتبت لكَ في غيابكَ وأجعلكَ تسمع معي كل الألحان التي عصرت قلبي، سأحكي لكَ عن الانتظار بلا أمل، عن الوقفة في الشرفة بعد منتصف الليل، سأحكي لكَ عن التأمل في اللاشيء، عن معاناة ما قبل النوم والذكريات التي كانت تلاحقني حتى في المنام، يومًا سأضع رأسي على صدركَ و أنا أبكي، أبكي و أرتعش بلا رحمة أُعوّض كل الليالي التي بكيت فيها و أنا وحدي، دمعة القوة التي مثلتها أمام الناس ودمعة الحنين التي سجنتها وقتما تحدث أحدهم عنكَ، عن دموع التفاصيل والذكريات، وكل لحظات البكاء التي ظهرت على شكل ابتسامة هادئة، و أنا أُخبئ هشاشة قلبي، سأصرخ كما لو أنني لم أصرخ في حياتي، الصراخ! الصراخ كل الصراخ الذي لم أصرخه في غيابك الذي خبأته عن الناس، لن أنام حتى و أنا أبكي وأصرخ على صدرك، لن أنام! سأعاتبكَ أشد عتاب بالكلمات ربما! بالسَب واللعن ربما! حتى لو وصل الأمر أن أضربكَ صدقني لن أتردد في فعل ذلك، سأقول لكَ «يا غبي كان الموت يداعبني كل يوم في غيابك! يا أحمق كان الحزن يتلذذ بملامحي كل يوم! يا غبي عِشت ليالي و أيام حزينة، حزينة جدًا في غيابك!

كنتُ أنا! ومَن أنا إلا أنت؟! كنت أبحث عن نفسي بين ألحان **«الكمان»**، بين كلماتك ورسائلك، في وجوه العابرين، ومَن أنا و أنتَ لستَ هنا؟!

المجد؟ النجاح؟ الحب؟ الحلم؟

كل الأشياء التي حدثتني عنها في السابق فقدت معناها في غيابك، كل الألوان أسود، كل الأطفال تبكي، كل النباتات صبار، كل العالم في نظري حزين وباهت، شيء هزلي بلا معنى، وما أنا إلا أنتَ؟!

طفلة تشبثتْ في قميصكَ، طفلة ظنتْ أن كل الأوطان أنتَ!»

سأصرخ في وجهكَ وأسألكَ :

«كيف انتهينا؟ ولماذا؟ هل أعجبتك نوبات حزني؟ هل كنتَ تحب مظهري وأنا مهملة وبائسة؟ أكنتَ تتغزّل بملامحي وهي حزينة؟»

يومًا سأحكي لكَ كل شيء، سأتذكر وأُذكركَ بالحزن، بالإكتئاب، بالغُربة، بكل الأشياء التي شعرت بها في غيابكَ، التي صاحبتني بعدكَ، سأعاتبك، وألعنكَ وأضربكَ، ثم أضع رأسي الثقيل على ركبتيكَ، وأنام كما لو أننا لم نفترق"!

ثم أتذكر أنكَ لستَ هنا، فأنام بخيبة جديدة بعد ليلة مؤلمة من الحنين والاشتياق..

يا **«شاهين»**! إياكَ أن تستهين بعدد الأيام التي مرت على غيابنا لتجعلني أرفض عودتنا، فلقد بكيتُ في كل ليلة كما لو أنني بكيتُ مائة عام، وتألمتُ في اللحظة الواحدة ألف ساعة، أنتَ لن تفهم أبدًا ما أعاني منه...!



حلم قاسٍ استيقظتْ منه «**ديرا**»!

بعض الأحلام تداعب ذكريات تراكمت عليها الحياة، والبعض يعيد مشاهد أليمة ظننا أننا نسيناها، هكذا تكرر مشهد لقاءها الأخير مع «**شاهين**» صدفة في أحد مطاعم مدينة «**ميلان**» بعد غياب استمر لأكثر مِن ثلاث سنوات!

على عكس ما كان يتوقعا لم تتأثر حياة أي منهما بعد الفقدان، فكان «**شاهين**» يستعد لإطلاق فيلمًا جديدًا، وكانت «**ديرا**» في ذروة نشاطها المِهَني ؛ هذه الفجوة التي لم تسمح لهما بالسقوط أمام الفقدان!

السقوط والاعتراف أمام الحزن رفاهية لم تمتلكها «**ديرا**»، كانت مُجبرة على أن تظهر قوية رغم كل الحطام الذي يسكن قلبها!

همهمت «**ديرا**» في نفسها :

ليتكَ بقيتَ كما كنتَ في بدايتنا، بصدق كلماتكَ وملامحكَ، بأفعالكَ التي جعلتني أُؤمن بِكَ وبكل محاولاتكَ لإسعادي، ليتكَ بقيتَ كما كنتَ أو يا ليتني ما التقيتْ بكَ!

خرجت «**ديرا**» من الغرفة ثم اتجهت إلى الصالة

كانت «**مارتينا**» تُعدِ القهوة..

صباح الخير!

لم ترد «**ديرا**» على تحيتها بل قالت: أنا لا أصدقكِ.

أخذت «**مارتينا**» فنجان القهوة ثم اتجهت إلى الشرفة وكأنها لم تسمع كلام المُحققة!

أشعلتْ «**ديرا**» سيجارتها ثم قالت: لا يهم.. هل هذا كل شيء عن «**شاهين**»؟!

ردت «**مارتينا**» بسخرية: هل تعرفين شيئًا آخر حدث بيننا لا أعرفه أنا!

اسمعي يا «**مارتينا**»، أنا لا أثق بكِ، لا أُصدقكِ، كل الأشياء التي أخبرتينا عنها لم أجدها في حياته!

صحيح أن «**شاهين**» كان شخصًا غامضًا بالنسبة لي لكن ليس لهذا الحد الذي يجعلني أشك أن هذا الشخص الذي تعرفينه لا أعرفه أنا!

صدقيني يا «**مارتينا**» ما أعرفه عن «**شاهين**» الذي عاشرته لا علاقة له بـ «**شاهين**» الذي تعرفينه!

هنا تشاركتْ «**سام**» معهم الحديث:

«**مارتينا**»! هل تعافى «**شاهين**» من الانفصام؟!

ردت «**ديرا**»: ماذا يدور في ذهنكِ..؟!

قالت «**سام**»: ما المانع لو بدأنا الآن..؟!

هزّت «**ديرا**» رأسها إشارة لعدم وجود مانع..

في البداية قد يفاجئكم ما سأقوله عن «**شاهين**» مثلما تفاجئتُ أنا عندما سمعت عنه من «**مارتينا**»..لن أطيل عليكم، سأبدأ..

بعد لقاءنا الأول في الحفل غاب «**شاهين**» عن «**فينيسيا**» مدة تجاوزت الشهرين، كنت أتابع أخباره عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حاولتُ البحث أكثر عن شيء يكشف لي حقيقة شخصيته، وكلما حاولت أكثر، كلما شعرت بالفشل والعجز أكثر!



وبالصدفة علمتُ أن «**شاهين**» مدعوٌّ لحفل آخر في «**البندقية**»، كانت فرصة جديدة للقاء آخر..

أعددتُ نفسي للحفل، ومِن ثَمّ اتجهتُ إلى هناك، كان الحديث معه وسط الزحام أمر أشبَه بالمستحيل لكن حاولت الاقتراب أكثر فأكثر حتى وصلتُ له مِن بين الزحام..

ـ أهلاً سيادة الكاتب!

أعطاني مفتاح سيارته ثم قال وهو يتحدث مع أحد الضيوف:

انتظريني بالسيارة.

كانت طريقته الهادئة تعجبني، كان يأمر بأي شيء بثقة وهدوء يجبر الآخر على تنفيذ الأمر حتى دون مناقشته فيه!

أخذت مفتاح السيارة ثم اتجهت إليها، بعد عشر دقائق حضر «**شاهين**»

مازلت تتذكرني..؟!

نطق اسمي كما لو أنه يحاول تذكره:

كيف حالكِ يا «**ديرا**»..؟!

أردت فقط أن أعتذر لكَ عما حدث!

انطلق بالسيارة حتى وقفنا عند أحد المقاهي المطلة على الساحل الشرقي، منذ اللحظة الأولى وأنا متأكدة أن الكاتب نسخة مزيفة من شخص يخبئ بداخله أسرارًا لا يعرفها أحد!

كنت أنظر للساحل وأنا أفكر فيما حدث، وفي اللحظة التي أنا عليها في هذا الوقت حتى قاطعني «**شاهين**»:

هل تعجبكِ كتاباتي..؟!

ضحكت من سؤاله. كنت أظن أن «**شاهين**» متأكدًا من إجابته!

أجبتُ: نعم إنها رائعة .

فاجئني «**شاهين**» بالرد الثابت: لا لم أقصد أن أسألكِ عنها بشكل عام، أنا أعرف أنني كاتبٌ بارع، ما أقصده هل تلمسكِ كلماتي..؟!

في بعض الأشياء فقط!

لم أسألكِ في أي الأشياء تلامسكِ كلماتي! لماذا جئتِ؟

أحيانًا كنت أشعر بشيء من السخافة في ردود «**شاهين**»!

أصابني التوتر من سؤاله فأجبتُ بعد ثوانٍ من التفكير:

ربما لمناقشتكَ!

طلب «**شاهين**» فنجانًا من القهوة ثم أشعل سيجارته:

هذا ليس المكان المناسب للمناقشة، أنتِ تكذبين يا سيدتي!

بدأتُ أشعر بالضيق من الجلوس معه، لكني تحملتُ لاستكمال حديثي معه: أنا لا أكذب! أنا «**ديرا**» محققة بالمجلس النيابي وأريد مناقشتكَ في أشياء تخص كتاباتكَ!

بسخرية رد: إذن أنتِ هنا للتحقيق معي، أليس كذلك..؟!

لا، كما قلتُ لكَ مُسبقًا، للمناقشة!

و هو يشرب القهوة بـ استمتاع رد:

ـ بخصوص..؟!



على الفور أجبت: علم النفس..!

صمت «**شاهين**» لثوانٍ ثم قال: وما علاقة طبيعة عملكِ بعلم النفس؟

قلت: هل نسيت أن الحقوقيين والمحققين يدرسون علم النفس...؟!

قال: إذن..؟

لم أستطع مراوغته أكثر من ذلك:

«**شاهين**»! هناك العديد والعديد من الكُتّاب الذين يكتبون عن علم النفس، عن الفلسفة، عن المعاناة والآلام، لكن ما قرأته في كتاباتكَ مختلف! ما قرأته يدل على معاناة حقيقية مع الألم والإكتئاب والوجع! ربما هذا ما جعلك مختلفًا بالنسبة لي!

أريد مناقشتكَ عن هذه الكتابات النفسية!

رد «**شاهين**»:

لا أحب الفضوليين..!

كان عليَّ أن أرد ردًا قاسيًا:

ـ لا وقت لديَّ لمعرفة تفاصيل حياة شخص آخر، صدقني المناقشة، المناقشة فقط..!

صمت «**شاهين**» صمتًا طويلًا، طلب فنجانًا آخر من القهوة ثم بدأ يدخن بشراهة وهو يفكر!

بعد خمس دقائق من الصمت:

اسمعي يا «**ديرا**»! أنتِ لا تريدين المناقشة، إنما هي رغبتكِ في الاستفادة مما سأقوله لكِ، هذا السبب الحقيقي وراء وجودكِ هنا، هذا ما جعلكِ تتبعينني إلى السطح في اللقاء الأول، وهذا ما جعلكِ تكتمين غضبكِ بعدما استيقظتِ على سريري، الرغبة في العلم قد تقودكِ لأشياء لا تتخيلين الوصول إليها، أنتِ امرأة جميلة وفاتنة ربما لستِ أجمل مَن أعرفهن لكن ما يميزكِ عنهم نظرتي لكِ، ربما استفزني جمالكِ!

بالمناسبة! أحبُ امتلاك الأشياء التي تستفزني وتستفز رغبتي في امتلاكها تمامًا كما استفزتك كتاباتي وفلسفتي لذلك سنعقد اتفاقا في قمة السخافة والصراحة!

مِن الآن سأعتبركِ الطبيبة النفسية بالنسبة لي، سأحكي لكِ عن كل الأشياء التي حدثت معي، ستعرفين جانبًا مظلمًا مني لا يعرفه أحد، قد أظهر أمامكِ شخصًا آخر، شخص لا علاقة له بكل ما يعرفه ويسمع عنه الجميع، هذا العرض لا تستطيعين رفضه، إنه فرصة مناسبة لكِ لإرضاء فضولكِ، و رغبتكِ في الاستفادة من فلسفتي، ربما ستستمر علاقتنا عامًا أو اثنين! ربما خمس! لا يهم لكن لديّ شرط واحد ليكتمل الاتفاق!

قاطعته: أي شرط..؟!

أن تنتهي علاقتنا بعد انتهاء جلستنا النفسية!

رددت: ولو رفضتُ الاتفاق..؟!

قال: لن ترفضيه، هذه فرصتكِ التي لم تحلمي بها!

ضحكتُ: ولو رفضت انتهاء العلاقة..؟!



قال: سأتكفل أنا بالنهاية، دعيني أهمس لكِ شيئًا آخر؛ أنا رجل يثير غرائز ومشاعر النساء. إياكِ أن تقعي في غرامي يا «**ديرا**»، إياكِ!

ضحكتُ بسخرية:

ـ أنت مغرور يا «**شاهين**»!

ضحكَ هو الآخر:

ـ اتفقنا!

أخذت سيجارة من علبته إشارة مني بالموافقة..

ـ فلنحتفل إذن..!

طلب زجاجة من النبيذ وهو يقول بسخرية:

إياكِ أن تسقطي هذه المرة!

لن أفعل!

و مِن ثَمّ بدأت علاقتنا النفسية..

الفصل العشرون

ـ بعد هذا اللقاء اختفى «**شاهين**» لمدة تزيد عن شهر، كانت من ضمن الشروط التي لم يضعها بشكل صريح هو عدم محاولة الاتصال به!

ذات يوم وفي الصباح اتصل بي «**شاهين**» :

صباح الخير!

أهلاً «**شاهين**»! كيف حالك؟

على ما يرام، متى أراكِ؟

على الفور رددت:

الآن إن أردت!

قبل أن يغلق الهاتف:

حسنًا أنا في الطريق إليكِ..

كان اليوم هو العطلة الأسبوعية، كانت شوارع «**فينيسيا**» هادئة تستعد للأفواج المسائية التي تقدم إليها من مختلف أرجاء «**إيطاليا**» ؛ بعد ساعة طرق الباب..

أهلاً «**شاهين**»!



بابتسامة عادية:

ـ أعتذر عن زيارتي المفاجئة!

في الحقيقة كنت في غاية السعادة بزيارته، لكن لم أُظهِر إلا شيئًا بسيطًا منها:

ـ أنا أصنع قهوة رائعة، أظن أنها ستعجبكَ!

رد «**شاهين**» بعد أن خلع معطفه الرمادي:

ـ أتمنى ذلك.

كنت متوترة بعض الشيء، لـ «**شاهين**» هيبة تجبرك على التوتر رغمًا عنكَ..

أعدتُ القهوة ثم جلست، كان هو يتأمل صالة المنزل..

ضحك: منزلكِ رائع! لكن ثمة أشياء تعيبه!

رددت بـ استفزاز: هو يعجبني!

يعجبكِ لأنكِ اعتدتِ عليه..

و هل اعتدتَ أنتَ الكتابة عن الحزن..؟

ضحك «**شاهين**»: الكتابة عن الحزن لا تعجبني..

إذن أنتَ تمارس شيئًا لا يعجبكَ بل وتُكَرَّم عليه!

و هو يشعل سيجارته:

ـ هل تعجبكِ الحياة ؟!

ضحكتُ ؛ فهمتُ وقتها ما كان يقصده، نحن وبطريقة أو بأخرى مجبرين على التعامل مع أشياء في حياتنا لا ترضينا ولا تعجبنا لكنها الاعتيادية، الاعتيادية على كل شيء!

ساد صمت طويل بيننا..

لماذا لم تكتب أي إهداء في كتاباتك..؟

رد: كتبت في كتابي الأول..

و مِن ثَمّ؟!

لم ولن أكررها أبدًا!

"لورين» كانت صاحبة الإهداء الوحيد أليس كذلك..؟!

تنهد: والحب الوحيد أيضًا!

سألته: صحيح أن الرجل يحب امرأة ويكتب لـ امرأة ويتزوج امرأة أخرى..؟!

رد «**شاهين**»:

ربما! أنا لا أعرف كل الرجال يا «**ديرا**»!

وماذا عنكَ..؟

بضحكة ثقة رد:

أنا مختلف عن كل شيء يا «**ديرا**»، ربما هناك مَن هم أفضل مني وربما هناك مَن هم أسوء, لكن بداخلي قناعة أنني شخص مختلف!



قاطعته:

- وحدهم الأغبياء يظنون أنهم مميزون عن البقيّة!

مِن جديد وبنفس الثقة رد:

هكذا كان يفكر الشعوب التي أرسل الله أنبياءه لهدايتهم، كانوا يسخرون منهم ومِن ثَمّ يتهمونهم بالغباء حتى لحظة آمنوا بهم!

لطالما كان في «**شاهين**» شيء مِن التعالي، كان يظن ويؤمن دائمًا أنه شخص فريد مِن نوعه، شخص لا يتكرر مرتين في حياة أحد!

كان لابد أن أُخلِل بهذا التعالي :

- يا لها مِن غبية!

رد «**شاهين**»: مَن..؟!

بخُبث و أنا أبتسم جاوبت:

حبيبتكَ القديمة! كيف لها أن ترحل عن شخص مميز وفريد مثلك؟!

أشعل «**شاهين**» سيجارته وبدأ وكأنه يفتش بين أركان ذاكرته عن شيء ما:

تعرفين! لم أكن مميزًا معها، كنت شخصًا عاديًا، بدأت علاقتنا صدفة في الميدان العام، اقتربنا من بعضنا البعض، كانت تهتم بالحيوانات وكان الحيوان في هذا الوقت هو صديقي الوحيد!

تطورت علاقتنا سريعًا، كلما اقتربت منها شعرت برغبة في امتلاكها أكثر، هي تلك الفتاة التي تجعلكَ تبكي لأنكَ لا تستطيع النوم بين ذراعيها في كل مساء!

أحببت! نعم لكن حب بعد لهفة الحرمان منه, بعد أن خطف الموت أمي وعشقي لها، كنت كطفل عاش عاجز القدمين لمدة طويلة وفجأة تعافى من عجزه!

كنت أريد البقاء معها طوال الوقت، أغار عليها بجنون وأثور عليها غاضبًا لأسباب تافهة، تحملتْ هي أيضًا أشياء لا تحتمل، تحملت السباب واللعنات ونوبات غضبي وغفرت كذبي وتدليسي عليها، كانت تؤمن أن بداخلي شيء ما أفضل شيء يستحق الحب!

وذات يوم كان لها صديق وسيم يدعي «**روميرو**»، لم يعجبني تصرفات ذلك المراهق ؛ لم يكن «**روميرو**» سخيفًا معي لكن كانت طريقته ناعمة حد الاشمئزاز، لطالما حذرتها منه دون إبداء أي سبب مقنع لتلك التحذيرات!

هل كنت أغار عليها أم أغار منه؟!

لا أعرف، لكن ما أعرفه أنني كنت أبغض ذلك النكرة أشد بغضاً، بدأ الخوف من ضياعها يقودني ناحية الامتلاك والجنون، كنت أثور ويجن جنوني لو أنني اتصلت بها على الهاتف ولم تستجب لمكالمتي من المرة الأولى، كان الخصام الذي يجمعنا يطول، لم أُراعِ أنها تعاني من أزمات قلبية لأسباب نفسية!

بل كنت أقسو عليها أحيانًا، وأحيانًا كنت أستقبل خبر نقلها للمستشفى بلامبالاة، بل وفي بعض الوقت كنت أطالبها بالاعتذار لي عما فعلته!

ضحك «**شاهين**» ثم واصل:

تحملتْ، تحملت ما لا يتحمله أحد، نعم إنها الغيرة!



لكن ما بين الغيرة والشك خيط ضعيف، ضعيف جدًا، الغيرة يعني أن تخاف على حبيبتك مِن مَن حولها، أما الشك فيعني أن تخاف منها ومِن مَن حولها، هذا ما لم أُحسن تصرفه معها!

أتذكر يومها كانت معي في المنزل تلعب مع «**بروف**» وبالصدفة رن الهاتف ؛ على غير العادة كان هاتفها صامتًا لم تلاحظ هي رنين الهاتف، لكن أنا لاحظت ثم أخبرتها وكأنني لم أقرأ اسم المتصل، نعم كان هو «**روميرو**»!

خرجتْ إلى الشرفة لتتحدث معه!

هنا ظهر إبليس أمامي، تصنعتُ الهدوء قدر الإمكان، وما إن خرجتْ مِن الشرفة حتى ودعتْ «**بروف**» ثم قبّلتني على خدي وهمّت بالرحيل!

إلى أين..؟!

وهي تستعد للرحيل:

ـ لديّ مشوار هام سأخبركَ بكل شيء فيما بعد، إلى اللقاء!

لم أنطق بأي كلمة، انتظرتُ حتى ركبتْ سيارتها ثم اتجهتُ خلفها و أنا في قمة غضبي وثورتي!

نعم «**لورين**» خائنة ؛ هي الآن في الطريق إليه، إلى ذلك المراهق الذي لطالما حذرتها منه!

هي الآن تستمع لكلماته وهمساته و ربما لمساته، تابعتها مِن بعيد حتى وقفتْ سيارتها عند أحد المطاعم هنا في «**فينيسيا**»، راقبتها من بعيد وهي جالسة معه يضحكان وعلى ملامحهما علامات البهجة والسعادة!

خرج الاثنان معًا حتى اتجهوا إلى أحد متاجر الهدايا المعروفة هنا، تابعتهم بالسيارة بين رغبة في الظهور أمامها و إخبارها بأمر اكتشاف خيانتها لي، وبين رغبة لمعرفة المزيد والمزيد عن وقاحتها وسخافتها!

خرج الاثنان من المتجر، كان «**روميرو**» الدنيء يحمل صندوقًا صغيرًا يشبه لشكل صناديق الهدايا التي تقدمها لي «**لورين**» بـ استمرار!

هنا همهمت في نفسي :

«**العاهرة! العاهرة تقدم له الهدايا!**»

خرجتُ أمامها ما إن رأتني حتى صُدمتْ!

صندوق جميل يا «**لورين**»!

هنا كان دور «**روميرو**» في الحديث:

- «**شاهين**»! مِن فضلكَ اهدأ!

لم أتحمل حتى صوته، و بأشد ما عندي مِن قوة وعزم لكمته في وجهه!

صرخت «**لورين**»!

هنا ثِرتُ لأنها تخاف على صديقها الوغد مِن لكمتي فلم أتمالك نفسي حتى صفعتها هي أيضًا!

- لا تقلقي أيتها العاهرة سيكون على ما يرام..

شاهدتُ «**لورين**» وهي تسقط على الأرض!

لم أهتم لأمرها، بدأ الناس بالاحتشاد حوليهما، انطلقت بسيارتي وعدت إلى المنزل..



أسبوع كامل بين الخمر والحشيش وأحضان النساء، نعم كنتُ أعرف الكثير مِن فتيات الليل قبل أن ألتقي بـ «**لورين**» ؛ عدتُ لتلك العلاقات الرخيصة..

سمعتُ عن نقل «**لورين**» إلى المستشفى و لم أهتم، سمعت عن إجراء عملية لها في القلب ولم أهتم!

وبعد أسبوع طرق أحدهم الباب!

«**وميرو**» يحمل الصندوق الذي كان يحمله يوم اكتشفت خيانتهم لي!!

«**شاهين**»! مِن فضلك حاول استيعاب ما سأقوله لكَ..

وضع الصندوق على الطاولة, جلس على الكرسي ومِن ثَمّ أشعل سيجارته..

همهمتُ: أختصر أيها الوغد!

بدأ «**روميرو**»: لن أطيل عليك سأخبرك بـ أمرين ؛ لكن قبل كل شيء «**كل عام وأنتَ بخير**»!

قاطعته: اختصر!

واصل: هذا هو الأمر الأول، أنا أعرف أن يوم ميلادك بعد أسبوعين ولتلك الأسباب كان لقائي بـ «**لورين**», لقد اتفقت معي على تنظيم حفل لكَ، والصندوق يومها هو هديتك..

فتح «**روميرو**» الصندوق ومِن ثَمّ أخرج الهدية, كانت قلادة فضية مطبوع عليها صورتي مع «**لورين**»!

صُعقتُ!

و أي صعقة لقد اتهمتها بـالخيانة!

واصل «**روميرو**»:

«**لورين**» كانت تتابعني على الهاتف لـمعرفة أدق تفاصيل الحفل..

أخرج مِن حقيبته بطاقة حجز الحفل، كان الحفل في كافيه «**دي لاتينو**» أكثر الأماكن قربًا لـقلبي!

لطالما شهد هذا المكان على ذكرياتنا وعلاقتنا. كنا نجتمع هناك طوال اليوم!

صمت «**روميرو**» ثم قال: الأمر الثاني أنني لا أحب النساء يا «**شاهين**»، «**لورين**» تعرف هذا، أنا شاذ جنسيًا!

نطقها ثم خرج بعد أن ترك القلادة وبطاقة الحجز وتركني في نوبة حيرة وندم!

"**لورين، لورين**"

اتصلت بها على الهاتف لم ترد، اتصلت مرة أخرى لم ترد اتجهت على الفور إلى المستشفى فـعلمتُ أنها خرجت قبل ساعات، اتصلت بـ «**باولو**» على الهاتف لـأخبره بما حدث, حاول تهدئتي ثم جاء لـيقضِ تلك الليلة معي..

صمت «**شاهين**» صمتًا طويلاً ثم بدأ وكأنه يتحدث معها..

"أنا آسف لم أقصد إيذائك يا «**لورين**»!

أعرف أنني رجل سيء ودنيء وقبيح، أعرف أن كل الاعتذارات لن تفيد وأن الندم لن يجعلكِ تغفري أخطائي، أنا آسف"



كنت أنتظر الصباح بفارغ الصبر لأذهب إليها، وبالفعل وما إن ظهرت الشمس حتى اتجهت إلى منزلها!

طرقتُ الباب..

استقبلتني صديقتها لكنها لم تسمح لي بالدخول..

أين «**لورين**»..؟!

انتهى كل شيء يا «**شاهين**».

صرختُ في وجهها: أين «**لورين**»..؟!

سمعت صوت «**لورين**» من الداخل: أغرب عن وجهي يا «**شاهين**» انتهى كل شيء، انتهى كل شيء!

ـ «**لورين**»! أريد الحديث معك!

لم تخرج وكأنها لم تُرِد رؤيتي: قلتُ لك انتهى كل شيء، ارحل، ارحل!

أغلقت صديقتها الباب في وجهي!

طرقت الباب و أنا في حالة غضب أكثر مِن مرة!

لابد أن نتحدث يا «**لورين**»! لابد أن نتحدث!

بعد عشر دقائق جاء «**باولو**»..

ـ «**شاهين**»! هيا بنا!

ـ لا يا «**باولو**»، أريد الحديث معها!

ـ اسمع، سنتحدث معها فيما بعد، هيا بنا الآن!

عدتُ لـلمنزل مع «**باولو**»، اتصلت بها على الهاتف أكثر مِن مرة لكنها لـم تستجِب كنت أتردد على منزلها بـشكل يومي لكن دون جدوى..

وبعد أسبوع كاد التفكير يقتلني، هذه المرة لم أتحمل!

صحيح أنني مخطئ لكن كان يجب إعطائي فرصة لـلحديث معها!

كانت ليلة قاسية كنت بـرفقة إحدى الفتيات في منزلي..

الخمر! الحشيش! الجنس! مقاومات رائعة لـلهروب اللحظي مِن التفكير، و أنا بين ذراعي الفتاة أحدهم طرق الباب..

«**لورين**»!

نظرت «**لورين**» إليّ بـتأمل، كانت علامات المعاشرة الجنسية واضحة على جسدي وملامحي..

تنهدتْ: حسنًا! لن أطيل عليكَ..

خرجت الفتاة من الغرفة، همهمت «**لورين**»: الخائن يظن أن كل مَن هم حوله خونة!

قاطعتها: لست خائنًا يا «**لورين**»!

صفعتني على وجهي بقسوة: إياكَ أن تنطق اسمي على لسانك!

ثم صرخت: اسمع، لطالما حذرتكَ مِن هذه التراكمات لطالما استنجدت بكَ وطلبتُ منكَ أن تبقى لكنك لم تفعل، كنت أغفر وأغفر عساكَ تفهم أن غفراني لكَ ما هو إلا لنبقى معًا، لكنكَ حتى لم تبالي بما قد يحدث، تعمدتَ القسوة والإهمال، ونسيتَ أنني امرأة صامدة أتحمل وأتحمل حتى لحظة معينة أثور و أرحل بلا عودة!



الآن تريد محاولة جديدة لإثبات أنكَ تستحق حبي لك!

سخيف أنتَ وغبي كعادتك تأتي متأخرًا ثم تلومني على عدم الانتظار!

لقد مللت العتاب والحديث معكَ ؛ مِن الآن انتهى كل شيء ومن الأفضل لكَ أيضًا أن تنسى، و لا أظن أن النسيان صعبٌ على ذاكرتك فَـ الأمر معك يختلف، ربما بعد عام ستغزو قلبك امرأة أُخرى من قائمة النساء اللواتي عاشرتَهُن في وجودي، أو ربما ستحصل على فُرصة عمل رائعة توفر لك الحياة التي تحلم بها، و لا أستبعد أن تصبِح بعد خمسة أعوام شخصية عامة و تمتلئ الصفحات الإخبارية بِـ إنجازاتك و كتاباتك.. وقتها أظن أن ذاكرتك لن تتذكر حتى اسمي، و إن لم يحدث كل ذلك و امتلكتَ الذكريات و الحُزن فَـ صَلِ ، صَلِ لـأجل النسيان..

لـلمرة الأولى حاول أن تبدأ أنتَ بِـ المحاولة، ربما تفهم و تقدر محاولاتك، و ما أتمنى حقًا هو أن لا يخذلك النسيان مثلما خذلتَني أنتَ، إلى اللقاء ولـلأبد يا «**شاهين**».

صمت «**شاهين**» ثم انهار بالبكاء: رحلت «**لورين**»! رحلت ولـلأبد!

عاد «**شاهين**» لـصمته مِن جديد..

شيء ما كان يتردد في ذهني وقتها : «**كيف بعدما رأت فتاة الليل في منزله قال أنه لم يخُنها!!**»

لم أتقبل الفكرة مِن الأساس فسألته: معاشرتك لـفتاة الليل ألا تعتبر خيانة؟!

رد: لا لم تكن خيانة وقتها.

سألته: كيف..؟!

رد: نعم! كنت في معاشرة فتاة أخرى لكن للخيانة أشكال عدة في هذا الوقت كنت أظن أن الخيانة يعني أن أتفوه بكلمات الحب لغيرها أن أتغزل وأتجمل في فتاة أخرى، بالنسبة لي لم تختلف معاشرتي للفتاة عن الخمر، عن الحشيش!

كانت كلها سُبُلاً للهروب من حقيقة غيابها،عادةً النساء يفكرون في الجنس على أساس أنه لقاء بين عاشق ومعشوقته!

بالنسبة لي كانت النساء لا يختلفن عن الخمر! عن المخدرات! كلها أشياء نهرب بها من حقيقة ما تُعرى وتفضح حقيقتنا..

لم أقتنع بكلماته فرددت: لم أقتنع!

هذه كانت فلسفتي وقتها..

استعد «**شاهين**» للرحيل، وقبل أن يرحل كانت المرة الأولى التي يُقبّلني على جبيني!



«ما قيمة الإنسان..؟!

بعد كل ما رأيته سوف أبقى طوال حياتي أشعر حياله بحذرٍ وقلقٍ راسخ..»

ألبير كامو

الفصل الواحد والعشرون

بعد فترة بدأتُ أعتاد وجود «**شاهين**», تطورت علاقتنا سريعًا, أكثر ما كان يميزها الصدق، كنا صادقين جدًا في تعاملاتنا، ما ان أشعر بضيق بوجوده حتى أقول له ما أشعر به فيستقبل كلماتي بهدوء وصدر رَحِب وهكذا كان هو أيضًا..

هي علاقة عابرة! ربما لا أعرف لماذا لم أجد هذه الميزة في علاقاتي الاجتماعية العميقة، ربما كان «**شاهين**» هو الرجل الذي أهرب به عن العالم وضجيجه وأقنعته المزيفة، لكن كان في نفسي شيء ما كان يُعكر صفو علاقتنا!

ربما عدم استمراريتها بشكل دائم!

كان يغيب فجأة ويعود فجأة بلا أي وعد للقاء وبلا أي إنذار بالرحيل، حاولتُ أكثر مِن مرة مناقشته حول هذا الأمر، لكن وفي اللحظات الأخيرة كنت أتراجع عن محاولاتي، ربما خوفًا مِن أن يشعر بالملل أو الثقل في علاقتي به!

في الوقت نفسه كان «**شاهين**» يعزلني عن مجتمعه المعروف، لا أتذكر أنني رافقته يومًا في تجمعاته مع أصدقائه, لا أتذكر يومًا دعاني لإحدى حفلاته، كنت أتابع خطواته ناحية المجد والنجاح كغيري مِن المتابعين، كان مختلفًا!



مختلف عن ذلك الذي أراه يبكي أمام!

ملامحه! أسلوبه! نبرة صوته!

كان شخص آخر!

شخص لا يمت بصِلة للشخص الذي يتحدث معي عن أحزانه و أوجاعه!

أتذكر يومًا كنا على سطح هذا المنزل، كان «**شاهين**» نائمًا على الأرض يشرب الحشيش ويتأمل في السماء كما لو أنها المرة الأولى التي يشاهدها، وكانت تلك ليلة إحدى حفلاته..

المشهد كان يستحق التأمل، من أعلى تبدو المدينة صغيرة جدًا ومع الإضاءة البسيطة تظهر حقيقتنا!

نحن بالنسبة للكون ما إلا نقطة صغيرة!

هكذا أستهل «**شاهين**» حديثه عن الكون وهو يقول:

تعرفين يا «**ديرا**»! نحن وبالنسبة للكون ما إلا نقطة صغيرة، صغيرة جدًا، لا أظن أن في تلك الكواكب مَن يسكنها! ولو كان فلا أظن أنهم يكابرون مثلنا في حقيقتهم!

نحن البشر وحدنا مَن نضخم ونعظم مِن أنفسنا, لكن وفي الظلام تنكشف حقيقتنا، ويظهر حجمنا الحقيقي، بالنسبة لي السماء أقرب للحزن مهما كابرنا وظهرنا بقوة وثبات وشموخ نركع أمام عظمة الحزن، المثير للدهشة أنه رغم عظمة هذا الكون إلا أنك قد تصل لمرحلة من الألم تجعلك تنظر للكون على أنه نقطة صغيرة بالنسبة لحزنك العظيم!

ثمة أشخاص يبتلعهم الحزن، يجعلهم أفرادًا منه حتى أنهم يشعرون به في كل وقت دون أي سبب لذلك الشعور!

سألته: يحدث أن يقودكَ الحزن إلى الخوف..؟!

ضحك «**شاهين**»:

في هذا الصباح رأيت سربًا مِن النمل يمشي بانتظام ناحية قطعة كبيرة من السكر، اتجهت حشود النمل الصغيرة ناحية القطعة بأقصى سرعة فجلستُ أتابعهم وجميعهم يلتهمون السكر بشراهة، وكلما هربتْ إحدى المقاتلات حاملة على ظهرها الوليمة، حتى وضعتُ أصابعي على ظهرها، فأنهيتُ حياتها بغنيمتها!

قتلتُ السرب بأكمله عدا نملة صغيرة تركتها تشاهد الضحايا, ثم وضعت أمامها قطعة كبيرة من الحلوى ؛ مَرّ الوقت بين تأمل النملة الصغيرة لغيرها مِن النمل المقتول وبين تأملها لقطعة الحلوى الجديدة التي وضعتها لها!

مَرّة تقترب مِن القطعة ومرة تبتعد عنها، ثم وبالأخير ماتت النملة دون سبب واضح!

هنا فقط تخيلت لو أن سرب النمل ما هم إلا مجموعة مِن العُشاق الذين لم تحالفهم الحياة في الحب ولم يحصدوا منه إلا المشقة والتعب، واعتبرت النملة الصغيرة ما هي إلا أولئك الذين يبتعدون عن الحب، أنا أعرف عن أولئك الذين يبتعدون عنه خوفًا من وجع آخر، خوفًا مِن نهاية حزينة جديدة تقتل ما تبقى بداخلهم أو حتى خوفًا من تكرار نهاية مأساوية حزينة سمعوا عنها، أو كانوا طرفًا شاهدًا عليها!



قد نتهم أولئك الذين ابتعدوا عن الحب بـالجُبن والخذلان, وقد نصفهم بـالسوداويين والبؤساء!

لكن كيف لـلنملة الصغيرة أن تؤمن بـالحلوى وهي شاهد عيان على مذابح أقاربها..؟!

كيف لها أن تؤمن بـحياة آمنة بعدما قُتِل كل أقاربها مِن الحلوى..؟!

لقد ماتت النملة الأخيرة لـأنها مُزِّقَتْ بين الاقتراب من الحلوى، وبين ماضيها، بين رغبتها في التهام الحلوى وبين خوفها من أن تنال مصيرها من الموت!

لقد ماتت من الخوف!

وبعيدًا عن الكذب ؛ في هذا الصباح كنت أنا النملة الصغيرة!

واصل وهو يضحك:

الحزن وحده يقودك لتصرفات كنت تقسم يومًا ألَّا تفعلها، يجعلك تتصرف بـعدوانية وقسوة لـتبعد الناس عنك، ثم تعود لـغرفتك كـالأطفال تبكي من الوحدة والحزن. إنها معادلة غبية وسخيفة لن يفهمها إلا الذين عاشوها بـمرارتها وقسوتها.

سألته بعد أن سلبتُ مِن يده اللفافة: و أنت تبتعد عن الحب خوفًا أم وفاءً لـحبيبتك القديمة..؟!

رد: لا أعرف! أحيانًا أقول لـنفسي «**انتهى كل شيء يا** «**شاهين**»، لا توقف حياتك عليها إنها حتى لا تتذكر»

أُعطي المساحة لـمَن يحاولون الاقتراب مني، أُزيل بعض الحواجز و أبدأ في علاقة جديدة عسى أجد ضالتي في الحب!

أُقنع نفسي أنني على ما يرام وأنني تعافيت منها ومِن آثار فراقها حتى لحظة ما تظهر «**لورين**» أمامي!

تظهر مِن جديد في ملامح الفتاة الأخرى!

همهم وكأنه يتحدث إليها:

ـ آه يا «**لورين**» كلما اتخذتُ خطوة لـنسيانك تعثرتُ بـملامحكِ من جديد! ما الذي بينكِ وبين ذاكرتي أيتها البعيدة..؟!

واصل:

وقد تعتزل طرق الهوى بـإرادتكَ، وقد تعتزل رغمًا عنكَ! قد تُغلق قلبك أمام الحب لـأنك لم تعد تحتاجه، وقد تغلقه خوفًا من حطامٍ آخر يُصيبه!

كل الأسباب واردة ومقبولة ومن بين ملايين الأشخاص الذين انعزلوا عن الحب واكتفوا بـأنفسهم بـإرادتهم هناك أيضًا المِئات والآلاف من الذين انعزلوا عنه رغمًا عنهم, وهناك وفي مكان ما شخص واحد اعتزل الحب ولم يعتزل الحب قلبه!

أحيانًا أكون أنا ذلك الشخص الذي يبتعد عن الحب رغم رغبته المُلحة في الحب، رغم احتياجه له، هذا الذي يصارع نفسه لـلقضاء على خوفه من الحب، يحاول بـشتّى الطرق فتح الأبواب الموصدة في قلبه لـيستقبل حبًا جديدًا، يمهد الطريق أمام أي شخص يحاول الاقتراب والتملك من عرش قلبه، يوهم نفسه به حتى قبل أن يكتمل سياق العلاقة، عن ذلك الحب الذي



يجعلك شخصًا آخر، شخص أقل عنفًا وقسوة، أكثر مودة وهدوء!

هذا يقرأ الروايات والكتابات الرومانسية وينسج أحلامًا وردية ثم وفي اللحظة الأخيرة وما أن يقترب أحد من قلبه، حتى يظهر الخوف من جديد ليمزق كل الكتابات التي كتبها عن الحب، ليدمر كل الأحلام السعيدة ويذكره بأوجاعه وأحزانه السابقة، يخاف أن يخوض حربًا جديدة مع القدر بطلها الفراق والخذلان، يخاف أن يزداد حطامًا على حطامه السابق فيبتعد، يظهر بقناع قاسٍ وتصرفات عدوانية كما لو أن بداخله قطعة من الثلج لا تشعر حتى يبتعد الذي أراد الاقتراب منه، فيعود من جديد إلى غرفته باكيًا متأثرًا بهزيمة جديدة أمام الخوف!

أنا أعرف ذلك الشخص الذي يمزق قلبه رغبة الابتعاد عن الحب رغم احتياجه له!

أنا كلما اقترب أحدهم مني تعثرت بالذكريات، بالمواقف الحزينة والخذلان وليالي الاكتئاب والحزن، باللحظات الأخيرة من علاقتنا، تلك الثواني ببرودتها وقسوتها وضعفها!

غيابها لم يقتلني؛ إنما جعلني كطفل ماتت أمه فلم يعد يثق بأحد..

أنا والحب قصة جميلة بطلها الفراق يا «**ديرا**»، الفراق الأبدي!

شعرت أنها فرصة مناسبة لأسأله عن الانفصام؛ اثنان لا يكذبان في الحديث عن أوجاعهم، شخص مخمور و آخر يبكي, وفي هذه اللحظة كان «**شاهين**» مزيجًا بينهما.. فسألته:

وكأنك شخصان يا «**شاهين**» لا يتشابهان في أي شيء!

و كأنه قرأ السؤال الحقيقي من نظراتي له فواصل:

ـ أنا مصاب بالانفصام!

نعم أعرف أنني مصاب بالانفصام، ربما كانت إصابتي الأولى به عن غير وعي تام لكن بعد الحادثة أنا من أصَبتُ نفسي به!

في لحظة ما في حياتك تقرر تحطيم كل شيء، تقرر أن تخلع قلبكَ من مكانه في سبيل أن تبقى، ليس رغبة منك في البقاء لكن لأن البقاء في هذه المهزلة العبثية أمر حتمي لا يمكنك الفرار منه، في لحظة ما تقرر إنهاء المعركة القاسية بين قلبك وعقلك، تختار أن تنهي كل شيء لتستقر في الجحيم أو في النعيم!

لا يهم المهم أن تستقر وهذا ما حدث ؛ كانت الكتابة لي منفذاً ومهربًا من الحقيقة، بدأتُ الكتابة لأختبئ بين حروف كلماتها؛ لأصرخ في التفاصيل الصغيرة دون أن أُعلن أن ذلك الذي أعانيه!

كنت أنا الخالق والمخلوق في لحظة واحدة، شخص يعاني من حزنه وآخر يدفن الحزن في الفصل الأخير، بطل يملك خمس رصاصات فيصوبهم على نفسه ليظهر أمام نفسه كما لو أنه البطل الأعظم الخارق، إنها لحظة لعينة أن تقرر أن تكون شخص آخر! شخص يختلف عنك في كل شيء! أفكاره، مبادئه، أحلامه!

أن تفعل كل الأشياء التي كنت تسخر منها في السابق كما لو أنك لم تسخر، نعم! أنا فعلت فلم أستفِد من «**شاهين**» القديم إلا الوجع والحزن, لم أحصد منه إلا الكآبة والبؤس!

الفشل..؟!



كل الفشل كان يعرفني ويصاحبني ثم ماذا..؟

الحب؟ الأصدقاء؟ الأقارب؟

كل هؤلاء فشلوا في أن يجعلوني شخصًا لا يشعر بالوحدة، لم ينجح أحد في القضاء على الوحدة التي تسكن بداخلي، قررت أن أُمزق كل الصفحات القديمة التي لا قيمة لها، خضتُ أصعب معركة يخوضها الإنسان أن يحارب شخصًا آخر بداخله ومع الوقت انتصرت، لم يهزمني أحد أنا من حاربت وانتصرت، مع كل خطوة كنت أخطوها ناحية المجد أُودع وأدفن جزءًا آخر مني حتى فقدتُني، فقدتُني تمامًا!

نعم أنا من اخترتُ أن أصاب بالانفصام؛ كي أُشفى من يأسي، من انعدام الرغبة في فعل كل شيء، هل تفهمين يا «**ديرا**»..؟!

قتلتُ شخصًا بداخلي ليحيا الآخر.

تنهدت «**ديرا**»: في الأيام الأخيرة من علاقتي بـ «**شاهين**» كان متوترًا، يفتعل المشاكل والأزمات ودائم العصبية والغضب، كانت ملامح العجز بدأت تسكنه، في هذا الوقت كانت مشاعرنا ملتهبة، لكن لم أستطع إظهار تلك المشاعر للعجوز!

لطالما شعرتُ بسِرٍ يخبئه العجوز، من المفترض أن يكون هذا السر هو كونه رجل المافيا الأول!

لكن حتى بعدما سمعت من «**مارتينا**» عن «**شاهين**» لم تختفي ظنوني!

نعم «**شاهين**» كان يخبئ سرًا آخر، سر لا يستطيع الإفصاح عنه لأي شخص!

هي الليلة الأخيرة من علاقتنا!

لم أكن أملك أدلة كافية لكن كنت أجزم أنها الليلة الأخيرة من نظراته لي، كنا في «**لندن**» نحتفل بأعياد الميلاد وبما أنها الليلة الأخيرة واجهته بكل شيء، كنا في منزله بمدينة «**مانشستر**»؛ لطالما سألته عن أسباب امتلاكه لأكثر من منزل في أكثر من دولة ولطالما كانت إجابته روتينية معروفة: «**لا أحب الفنادق**»

ونحن في أجواء الاحتفالات ذهبنا إلى السينما للمرة الأولى من علاقتي به، كان العجوز نرجسي حد أنه لا يعترف بنجاح أي شخص غيره، أعتزل القراءة العصرية، بل كان يرفض الذهاب للسينما لمشاهدة أي فيلم لم يشارك في كتابته وأحداثه!

على غير العادة ذهبنا، كان فيلمًا رومانسيًا..

الرومانسية!

في حياتي لم أستطع رؤية تأثيرات الرومانسية والحب على ملامح «**شاهين**»!

في هذه المرة كان العجوز متأثرًا بشكل كبير كما لو أنه مراهق في حالة حب جديدة!

بعد ساعتين انتهى الفيلم وعدنا إلى منزله، كانت ملامحه في هذا الوقت ثابتة تمامًا، لم يتحدث معي، خلع ثيابه ثم أتجه إلى السرير؛ لم يحاول «**شاهين**» يومها مداعبتي جنسيًا رغم أنني كنت أنام عارية أحيانًا بجواره لكنه حتى لم ينظر لجسدي هذه المرة!



أنا مَن بدأت بمداعبته لأرضي كل أسألتي، ربما هي الفرصة الأخيرة لمعرفة كل شيء عنه، لا أحد يستطيع الكذب في حرمة الصلاة، البكاء، الخمر، والجنس!

انتهزت الفرصة وداعبتُ خصلات شعره..

لماذا لم تتزوج إلى الآن يا «**شاهين**»..؟!

لم يتفاجئ بما أفعل: لأنني لا أصلح للزواج.

حاولت استفزازه وأنا أداعب رقبته بأنفاسي : لا أظن أن رجلًا مثلك أستهل أجساد النساء أن يكون مصابًا بمرض جنس!

ضحك «**شاهين**» بسخرية: لا ليست مشكلة جنسية، لم أجد الفتاة المناسبة لشخصيتي.

بدأت أداعب شفتاه و أنا في حالة من التوهج والنشوة: وماذا عني..؟!

كان الثبات الانفعالي للعجوز أكبر مما أتخيله, أشعل سيجارته بعد أن أبعدني عنه ثم قال:

أأعترف أنني شخص رائع، لكن روعتي تكمن في المسافات التي تبعدني عنكِ، أنا ذلك النجم الذي تتمني لو أنه يلمع لكِ وحدكِ, و أنا ذلك المحيط الذي تتمني لو نكِ تسكنين في أعماقه، قد أكون أشبَه ببطل في رواية رومانسية تاريخية تحكي عن قصة ملحمية من الحب والتضحيات، وقد أكون طيف دافئ في نهار شديد البرودة والقسوة، أنا كل الأشياء الجميلة والبعيدة، البعيدة جدًا..

بالتأكيد يعجبكِ مظهري الخارجي، فلسفتي وأفكاري ومبادئي وستحلمين يومًا بمرافقتي ولو بضع ساعات لمشاركتي تفاصيل يومي وحياتي!

هذا أنا شئتُ أم أبيتُ، و أيًا كان ما سوف تعتبرينه من هذه الكلمات، ستتهمينني بالغرور! بالنرجسية! بالأنانية! لا يهم حتى لو أنكرتِ كل هذه الصفات والكلمات المعسولة التي وصفتُ بها نفسي سيبقى بداخلكِ صوت يوافقني على هذه الصفات، صوت يؤكد كل ما وصفته عني، حقيقة ستفعلين المستحيل لتُكذبيها وستتوهمين بأنها أشبَه بسِربٍ من الدخان لا وجود لها!

تعالِ يا عزيزتي لأقول لكِ شيئًا آخر، شيء لا يعرفه إلا كل الذين اقتربوا مني أكثر مما يجب، أولئك الذين تركوا أثرًا في صفحة الذكريات فاختفوا من واقعي اختفاء تامًا ؛ أنا خدعة، خدعة عظيمة!

لستُ بشخصٍ عظيم لكن خدعتي عظيمة، كل ما في الأمر أنني أتوهج من الألم، من الحزن والسوداوية، أسخر من فرط المعاناة، من العبثية التي أراها في حياتي..

إن مظهري الذي يعجبكِ ما هو إلا قناع رائع أُخبئ بداخله وجهي المُمزّق مِن الهالات السوداء والأرق ونوبات البكاء المفاجئة..

والأفكار والفلسفة التي تعجبك ما هي إلا أفكار ولدت من رحم الألم، من فشل محاولات انتحار سابقة!

أنا رائع لكن الاقتراب مني أشبَه بالاقتراب من حافة بركان ثائر، لن تتحملي مزاجيتي، لوعتي بأدق التفاصيل، الغيرة الجنونية التي تقودني أحيانًا لدَسّ كلمات قاتلة في وريدكِ، لن تتحملي لحظات احتياجي وضعفي دون سبب!

إياكِ أن تقتربي، أنا حفرة عميقة من الألم ستبتلعكِ لا محالة، لن أقدم لكِ إلا المشقة والتعب، لا يخدعكِ مظهري هذا الوجه الذي تحبينه ما هو إلا قناع يخفي تشوهات زمنية وقدرية نتيجة لاختيارات قلبي الأحمق، ابتعدي قدر المستطاع عني، وإن اقتربتِ فلا تظني أنني أصلح للحب، أنا كالنجمة ألمَع من الخارج لكن بداخلي يكمن الألم والحزن والبؤس!

إن كنتِ تريدين علاقة طويلة معي فلتبقى علاقتنا سطحية، سطحية لأطول فترة ممكنة، وإن كنتِ تبحثين عن نهاية علاقة حزينة فاقتربي مني أكثر، وصدقيني ستنالين ما تريدين من حزن و وجع وقسوة عمدًا أو عن غير عمد، صدقيني لن أهتم بهذا الأمر، المهم أن نهاية علاقتنا ستبدأ منذ لحظة اقترابك مني، فاقتربي أو ابتعدي لكِ حرية الاختيار، أما عني فأنا لا أصلح لأي علاقة عميقة لذلك فلتكوني شخصًا عابرًا في حياتي فالوقاية هنا خيرٌ من الوجع.. فهمتِ..؟

أنا أتجنب الوجع يا «**ديرا**»!

كانت ليلة قاسية، مارسنا الحب للمرة الأخيرة ثم غدونا في نومٍ عميق..

بعد هذا اللقاء كان يمكنني القول أنه عقب تلك الليلة شعرت بالحب تجاه «**شاهين**»، وكما توقعت «**شاهين**» كان أشبَه بفأر يحاول الهرب من المصيدة!

بعد أن عدنا من «**لندن**» اختفى «**شاهين**»، حاولتُ الاتصال به أكثر من مرة لكنه لم يستجِب لمكالماتي، حاولتُ متابعة أخباره الأدبية لكن لا جديد، فقط أعلن عن كتابه الأخير بعنوان «**الإله يعترف**» والذي سيصدر عما قريب..

كانت هذه كل أخباره، في الحقيقة لم أُواصل البحث عنه لانشغالي بجرائم الاغتيالات الأخيرة خصوصًا بعد أن ظهرت عدة جرائم قتل بين المافيا في وقت واحد، ربما كان ذلك مبررًا لاختفاء «**شاهين**» تزامنًا مع إعلانه عن الكتاب الأخير له!

أشعلت «**ديرا**» سيجارتها ثم واصلت:

"شاهين» كان أشبَه بطفل مشاغب ماتت أمه فظل يبحث عنها بين أجساد النساء، لم أرى حِدة في عينيه أو شر مطلق يدفعه للقتل، على العكس رغم نرجسيته وغروره كان «**شاهين**» مسالمًا لأبعد مدى، لا أستطيع وصفه بـ «**العربيد**» فبرغم كونه يشرب الخمر ويمارس العلاقات المحرمة إلا أنه كان لا يخدع أحدًا بالحب، لا يمكنني اتهامه بالإلحاد، «**شاهين**» كان صادقًا جدًا مع نفسه قبل أن يكون صادقًا مع الله!

لم يبرر يومًا خطاياه بل لم يبحث من الأساس في مثل تلك الأشياء. كان يعرف أنه يخطئ ويظهر أمام الجميع بأخطائه دون أن يستتر بوشاح الفضيلة والإيمان..

هل أَحبَ «**لورين**»..؟!

لا أعرف لكن ربما أَحبَ حُبه لها أكثر مما أحبها، أَحبَ تلقائيته, ربما عزاؤه الوحيد ليس على حبيبته السابقة فكَم مِن امرأة مستعدة لتقديم كل شيء في سبيل إرضاءه!

وإن كان قتْل «**باولو**» هو ما جعله بلا صديق حقيقي فما أكثر الأصدقاء الذين يتمنوا القرب من العجوز، حتى «**غوتزا**» لم يكن بالنسبة لـ «**شاهين**» صديقه الوفي!



ربما كان عزاء «**شاهين**» الوحيد في شخصيته القديمة، في تلقائيته وصفائه! كان على الجانب النقي والصافي منه ذلك الذي رفضت الحياة الحفاظ عليه فأفسدته!

حتى في عمله الخاص لطالما رفض إغراءات وعروض مادية في مقابل التنازل عن بعض مبادئه و أفكاره..

لا يمكنني القول أن «**شاهين**» شخص مسالم، لكن حتى بعد ما قالته «**مارتينا**» لا أستطيع وصفه بالشخص السيء العدواني!

هو مزيج من الرذائل والفضائل، الخير والشر، الأبيض و الأسود، عقلٌ مدبر خُلق من الجحيم وقطعة من الجنة في قلبه!

في طبيعة عملي لا أعترف إلا بالأدلة، و ربما كل الأدلة التي اعترفت بها «**مارتينا**» كافية لإثبات كل التهم على «**شاهين**»، لكن و في نفس الوقت أشعر أن «**شاهين**» يعاني من الانفصام لكن ليس الانفصام الذي اعترف به أو حتى الذي حاولتْ إيصاله لنا «**مارتينا**»، بل الانفصام الذي لا يعرفه «**شاهين**»!

لازلت حتى هذه اللحظة مقتنعة اقتناعًا تامًا أن ثمة أشياء لازالت غامضة، وثمة أبوب لازالت موصدة!

بعيدًا عن المشاعر والعلاقات الاجتماعية فأنا الآن أمام اعترافات صحيحة بالقتل ومِن المفترض و في هذه اللحظة إلقاء القبض على «**شاهين**»، لكن من مفارقات القدر ما فعله «**غوتزا**» باستخراج شهادة وفاة لـ «**شاهين**»، و هذا ما يجعل قانونيًا كل التهم مُسقطة عنه!

بصراحة وبحكم النزاهة المهنية أفكر بفتح الملفات والقضايا المغلقة والمحفوظة في أدرُج المبنى النيابي لكن لن أفعل, قلبي يحدثني نحو المجهول، نحو معرفة كل شيء بوضوح وصراحة أكثر، أعرف أن الوقت قد أزَف ولم يعد لدينا وقت كافٍ للبحث, ما أتمناه الآن أن أجد الكتاب الأخير لـ «**شاهين**» والذي لم يُنشر!

مِن الغد ستعود «**سام**» والعجوز إلى «**مالطا**», و عن «**مارتينا**» فالقرار لها لكن أظن أن القرار المناسب هو سفر «**مارتينا**» تحسبًا لما سيفعله «**غوتزا**»!

أما عني فلن أغادر «**فينيسيا**» و سأبقى هنا للبحث عن الحقيقة، صحيح أنها قد لا تفيد، لكن على الأقل سأُرضي رغبتي في معرفة كل شيء.

تنهدت «**سام**»: حسنًا اتفقنا.

أشعلت «**مارتينا**» سيجارتها ثم قالت :

لا يوجد لدي شيء هنا للبقاء, حسنا سأغادر إلى «**مالطا**».

نظرت «**ديرا**» إلى الساعة المعلقة في الغرفة, كانت تشير إلى التاسعة مساءً ثم قالت:

حسنًا سنكون في المطار في الثانية عشر مساءً, تصبحون على خير.



الفصل الثاني والعشرون

٧:٠٠ ص

وسط الأجواء الصباحية الهادئة كان منزل العجوز على أشد وهجة..

«**سام**» كانت في الغرفة تُعِد أغراضها بخيبة أمل واضحة, لقد فشلت ظنونها، وأملها في معرفة العلاقة التي جمعتها بـ «**شاهين**»، الأصعب من اليأس هو تعليق أملاً على سرب من الدخان وقد كانت «**سام**» تعلق كل صباح الأمل على سرب الدخان، و الآن ستعود إلى «**مالطا**» محطمة الأمل والمُنى!

تمنتْ لو أن أمها كانت امرأة عابرة في حياة «**شاهين**»، تمنتْ لو أنها فتاة صغيرة داعب «**شاهين**» خصلات شعرها!

تذكرت حماسها وهي في مطار «**فينيسيا**»، تذكرت مراهنتها على إيجاد حقيقة ما تخصها في حياة العجوز!

الخيبة! العودة إلى الديار محطمة من كل شيء حتى أنها لم تنجح في إنجاز عملها..

نظرت «**سام**» للسقف ومِن ثَمّ سقطت في نوبة بكاء، عادت طفلة من جديد تبكي بمرارة :

– «**أين أمي..؟! أين أمي يا سانتا..؟!**»



لم تجد عنها أي شيء سوى الخيال، سوى الظلام!

في الوقت نفسه كانت «**ديرا**» تتابع حُجوزات المطار..

حسنًا! العجوز لن يستفيق الآن، سيتم نقله بـ «**تابوت**»، هو بالأساس وفي عرف الأوراق الرسمية أصبح في تعداد الموتى، لكن ماذا لو استيقظ وهو بداخل التابوت..؟!

سيعتبرون ذلك تهريبًا! لا يهم.

همهمت ذلك في نفسها ثم اتجهت لـ «**مارتينا**» ..

«**مارتينا**»! هل هناك خطر على صحة «**شاهين**» لو أننا أضفنا جرعة مخدر جديدة له؟!

ردت «**مارتينا**»:

لا لكن لماذا..؟!

العجوز لم ينهض إلى الآن، لا نريد المغامرة سيتم نقل العجوز عبر التابوت بشهادة وفاته الأصلية، الخوف هنا لو استيقظ وهو بداخل التابوت حتمًا سيعرضنا هذا للمسائلة القانونية، لذلك وجب علينا توَخي الحذر!

بعد دقائق من التفكير وافقت «**مارتينا**»، نادت «**سام**» لمساعدتها بعدما أخبرتها بما سيحدث، وبالفعل وضعوا جرعة مخدر إضافية في وريده..

بعد ساعتين كانت «**مارتينا**» في منزلها تستعد للرحيل بجمع أغراضها قبل السفر، في الوقت نفسه كانت «**سام**» تجمع ما تبقى من أغراضها، بينما واصلت «**ديرا**» اتصالاتها لإجراءات السفر.



١٠:٠٠ ص

منزل «**مارتينا**»

في منزلها كانت «**مارتينا**» تجمع أغراضها وهي تودع أركان المنزل للمرة الأخيرة، هنا تزوجت! وهنا أنجبت طفلتها! وهناك انفصلت عن زوجها! ومِن هنا ستغادر للأبد إلى «**مالطا**» مع العجوز و «**سام**»!

زجاجات النبيذ، الملابس، الأجهزة الإلكترونية والذكريات!

انتهى كل شيء بالنسبة لها!

الحقيبة تحمل كل شيء، والتابوت يحمل قلبها وتذكرة الطيران إلى حياة جديدة في «**مالطا**»..

خرجت من غرفتها ثم اتجهت إلى الصالة ومن بعدها إلى باب المنزل.

«**المطار- ساحة الانتظار**»

وصلت «**سام**» و «**ديرا**» بالفعل إلى صالة المطار, كانا ينتظران «**مارتينا**»، مِن المفترض أن تحضر خلال عشرون دقيقة من الآن!

عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشر ولم يعد في الوقت أكثر من ثلاث ساعات لمغادرة العجوز و «**مارتينا**» و «**سام**» إلى «**مالطا**»!

كان الوقت يمر ببُطءٍ، يجلسان معًا وكل منهما مشغول في عالمه الخاص ..

«**ديرا**» التي لم يرضِها كل ما سمعته عن «**شاهين**» ومازالت تؤمن أن هناك أسرار لم يكشفها أحد عن «**شاهين**»!

و «**سام**» محطمة الآمال تفكر فيما ينتظرها من خيبة في «**مالطا**»!..

رن هاتف «**ديرا**»..

مرحبًا!

بضحكة هستيرية:

صديقتكِ الآن في المستشفى العام, كان بـإمكاني قتلها على الفور لكنّي وضعتُ لها سُمًا سيأكلها ويتلذذ بها في أقل من ساعة من الآن، إلى اللقاء يا عاهرة..

صدمة! صدمة!

سقط الهاتف من يد «**ديرا**»!

لاحظت «**سام**» الصدمة على «**ديرا**»، رددت وهي في حالة ذهول:

«**مارتينا**»! مارتينا!

في أقل من ثوانٍ اتجهت «**ديرا**» إلى سيارتها ومعها «**سام**»..

في الطريق كانت «**ديرا**» في حالة ثبات لا يصدق، اتجهت بسرعة جنونية إلى المستشفى، انطلق الاثنان إلى غرفة العمليات، استقبلتهما المضيفة هناك..

حالة بـ اسم «**مارتينا**»!

رددت وهي تهرول ناحية الغرفة:

اتبعوني، هي في العمليات منذ عشر دقائق، أحدهم وضع حقنة من مادة الـ «**السيانيد**» السامة في رقبتها، ادعوا الرب أن ينقذها..

ما أن وصلوا إلى الغرفة حتى خرج الطبيب بنظرات الأسى والحزن قائلًا: للأسف تملكت المادة من خلايا المخ والجهاز التنفسي والعصبي، ما عليكم الآن إلا إحضار سيارة لنقلها إلى المقابر، لقد انتهى أمرها..

اقتحمت «**سام**» الغرفة مع «**ديرا**» وهما في حالة انهيار تام..

بكلمات ممزوجة بالبكاء: «**مارتينا**»! «**مارتينا**»!

هذه المرة لم تتحمل «**ديرا**» الموقف، انهارت من البكاء!

كانت «**مارتينا**» نائمة على السرير في حرمة الموت..

وضعت «**سام**» رأسها على صدر «**مارتينا**» و واصلت البكاء..!

هنا كانت الأنفاس الأخيرة لـ «**مارتينا**» و هي تصارع الموت، داعبت خصلات شعر «**سام**» ثم قالت بصوت متقطع:

تعرفين يا «**سام**»! الحياة لعبة لا أحد يستطيع فهم قواعدها، لطالما تمنيت أن أنَل منها الكثير والكثير لكن ومع الوقت أدركت أنني لم أَجْنِ منها إلا الآلام والفقدان و رجلًا أحببته ولم يحبني، قد أظهر أمامكِ امرأة قاتلة تستحق القتل!

لكن صدقًا لم أفعل ذلك إلا من أجل الحب! الحب يا «**سام**»!

تعرفين! منذ زمن كانت لديّ فتاة صغيرة ثم رحلت عني، كنت أبحث عنها بين الأطفال عسى أجدها بينهم، حرمتني الحياة منها لمدة طويلة حتى أنني اعتدت على غيابها لكن و أُقسم لكِ كان فقداني لها يمزقني كل يوم، لم أفقد الأمل في لقائها حتى لو كان الأمل يعتبر و في مثل تلك الحالات خرافة لكنه القلب!

القلب لا يُخيِّب ظن المعلقين به وها قد أُثبِت إيماني به...

تلعثمت «**مارتينا**» ثم واصلت:

أثبتُ وبعد عمر طويل أنني لم أُخطئ في ظنوني، لم أنفخ في بالون ممزق، لم أرسم بقلم أسود في لوحة سوداء، تعلقتُ بالأمل رغم الظروف، رغم الواقع والعقل والمنطق..

في رقبتي قلادة ذهبية اخلعيها من رقبتي يا «**سام**»، هى صورة لفتاة صغيرة أرسلها لي زوجي بعد خمس سنوات من الانفصال، اخلعيها وأعطها لـ «**شاهين**» و اهمسي في أذنه :

«**تقول لكِ «مارتينا»** مثلما حافظتَ عليها من الخطر حافِظ عليّ من الخطر، مثلما حافظتَ على الأم حافظ على القلادة لأنها تحمل صورة أبنتها الوحيدة، واحمِني من الخطر لأنني أبنتها الوحيدة"...

نطقتها ثم ابتسمت لتودع الحياة إلى الأبد..

صرخت «**سام**» صرخة مُدوية، صرخة سمعها كل مَن في المستشفى وهى ترتجف :

أمي! أمي!

لا ترحلي يا أمي! لقد بحثت عنكِ طويلًا! انتظرتكِ عمرًا كاملًا يا أمي! لا ترحلي!

يا إلهي ساعدني! يا إلهي ساعدني!

قبّلتْ رأسها وقدميها وهى تصرخ: أمي لا ترحلي!

أنقذها يا يسوع! أنقذها!



هيا انهضي! لم ألتقِ بكِ في حياتي! لم أتحدث معكِ! لم أنَم على صدركِ!

يا أمي لا ترحلي! يا أمي أريد الحديث معكِ!

أريد البكاء على صدركِ!

حرمتني الحياة من حنانكِ، من دفئكِ ومشاعركِ!

حرمتني الحياة من ابتسامتك ونصائحكِ!

كنتُ عارية الجسد يا أمي في غيابكِ!

أنا التي لم أُغطى في حياتي عِشتُ حياتي عارية الجسد أبحث وأُفتش عنكِ في كل شيء!

لا ترحلي يا أمي! لا تموتي!

في حالة ثورة و انهيار واصلَتْ الصراخ: «**ديرا**»! يا «**ديرا**» افعلي أي شيء من أجلي!

من أجلي أي شيء يا «**ديرا**»!

أخبريها أنني أبحث عنها منذ زمن!

اتجهت للمرضة: افعلي أي شيء!

سأعطيكِ المال، كل المال فقط أعيدي أمي!

افعلي أي شيء من أجلي!

خلعت ثيابها: هيا أنا مستعدة الآن، خذوا جهازي العصبي و أعطوها إياه!

بدّلوا أي شيء!

خذوا روحي وجسدي فداءً لها!

سأعطيها كل الدم!

بدّلوا كل دمها الفاسد بدمائي **لا** يهم!

عادت لـ «**مارتينا**»: أمي أنتِ تمزحين!

بالتأكيد تمزحين!

هيا انهضي!

لقد عدتُ لكِ!

هيا يا أمي!

في هذه اللحظة رن هاتف «**ديرا**» من جديد..

ضحك هستيري آخر: لا تحاولي البحث عني ؛ بالمناسبة أخبرت الأمن الوطني بكل شيء، لا وقت لديكما الآن إن لم تتجها إلى المطار في خلال ساعة سيتم القبض عليكما وعلى «**شاهين**» هناك!

قبل أن أُغلق لو مازالت «**مارتينا**» على قيد الحياة أخبريها أن زوجها كان الرجل الأول في مجموعتنا، وأخبريها أنه خير مَن خطط ونفذ لعمليات الاغتيال، وبالمناسبة لقد أبدع في إخفاء حقيقة أمره حتى بعد زواجها منه!

هذه ليست المكالمة الأخيرة بيننا، إلى اللقاء!

أغلقت «**ديرا**» الهاتف:



إذن! الرجل الثالث والضلع الثالث في المجموعة هو زوج «**مارتينا**» ووالد «**سام**»!

«**غوتزا**» يا محتال!

الساعة تشير إلى الثانية!

تبقى ساعة واحدة على موعد الطائرة و الأمر أشبَه بالمستحيل!

حاولت «**ديرا**» تهوين آلام «**سام**» في الوقت نفسه تحاول إقناعها بالاتجاه إلى المطار..

«**سام**»! أنتِ امرأة ناضجة بما يكفي لاستيعاب الموقف!

أنا آسفة علينا الذهاب الآن إلى المطار، لا تقلقي هناك أشياء ستعرفينها فور وصولكِ إلى «**مالطا**», لكن الآن الأمن يتبعنا وقد ينتهي بنا الأمر في السجن ولن نستطيع كشف حقيقة أمكِ!

حاولي التمالك و أعدكِ لن أتركِكِ وحدكِ سأبقى معكِ عبر الهاتف حتى العودة إلى «**مالطا**»، وغدًا سألحق بكِ لأخبركِ بكل شيء، لكن الآن الوقت يقتلنا من اتجاه والأمن يلاحقنا من اتجاه آخر!

صدقيني نحن مضطرون لفعل ذلك!

دون أي مقاومة منها وافقت «**سام**» بعد أن ألقت النظرة الأخيرة على جثمان والدتها..

في الطريق أرسلت «**ديرا**» من هاتف «**سام**» رسالة إلى «**ألبا**» تطلب منه انتظار «**سام**» في المطار ونقل التابوت إلى دار الرعاية، ثم أخبرته أن العجوز في حالة إغماء مؤقت لن تستمر طويلاً..

الفصل الثالث والعشرون

في المطار أنهت «**ديرا**» كل شيء يخص السفر، ثم علمت أن أمن المطار قام بالكشف على جثمان «**شاهين**» ثم نقلوه إلى الثلاجة الخاصة بالطائرة!

لم يكن الوقت يسمح لقراءة التقرير..

حتى بوابة المطار الداخلية كانت مع «**سام**»، أطمئنت عليها وهي تودعها :

لا تقلقي ؛ غدًا سأكون في «**مالطا**»، أنتِ امرأة جميلة!

قبّلتها على رأسها ثم رحلت..

في طريقها لمنزل «**شاهين**» رن الهاتف :

لقد غادرت «**سام**» أليس كذلك..؟!

بعصبية: القضبان تنتظركَ يا «**غوتزا**».

ضحك «**غوتزا**»: هذا يحدث فقط في الأفلام!

أوقفت السيارة عند المنزل:

صدقني لن أتركك إلا و أنت خلف القضبان، لن أترك حق «**مارتينا**»!



بـ استفزاز وضحك ساخر:

هي أيضًا لولا ما حدث لـ «**شاهين**» ما تركتُ حقها منكِ!

كانت تستعد لـ اغتيالكِ بعدما سرقتِ العجوز منها!

صمتت «**ديرا**»..

واصل «**غوتزا**»:

لن ينعم أحد بالحياة!

كانت «**مارتينا**» تستعد للذهاب إلى المطار, استقبلتها عند باب المنزل وسألتها «**إلى أين..؟!**»

ردت أنها ستغادر إلى «**مالطا**»!

رفضتُ الأمر ثم تفاوضتُ معها لـ عشر دقائق ؛ الزواج! نعم عرضتُ عليها الزواج مرة أخرى لكنها رفضت بل ورددت كلمات الحب لـ «**شاهين**»!

لم أتحمل هذه المرة. لم أتحمل!

وضعتُ في رقبتها حقنة من مادة «**السيانيد**» السامة، ثم طلبتُ المستشفى بصفتي رجل مجهول و أخبرتهم بأمر «**مارتينا**»..

هذا لم يرضِ غليلي، لم أتصل بكِ بمحض الصدفة بل علمتُ بنواياكم للهروب بالعجوز وحدث ما خطتُ له!

الخطأ الأعظم الذي حدث منكم هو ترك التابوت في المطار ولـأتأكد من هذا الخطأ اتجهت إلى المطار ثم طلبتُ الكشف عن حالات نقل الموتى، لم تكن هناك أي حالة إلا حالة «**شاهين**»!

يبدو أنك نسيتِ أنني أحد أهم وأشهر الأطباء هنا، ويبدو أنكِ نسيتِ أنني نائب وزير الصحة يا «**ديرا**» وبصفتي العملية طلبت الكشف على الحالة، وبالفعل اتجهت للثلاجة وغرزت في صدر «**شاهين**» حقنة أخرى من «**السيانيد**» لكن هذه المرة جرعة إضافية لينتهي الأمر به في الحال ثم كتبت تقريرًا يؤكد وفاة العجوز..

ألَم يخطر بحساباتكِ كيف سيعبر العجوز من المطار بشهادة وفاة استُخرجَتْ منذ شهرين!

لولا تواجدي وتقريري أنا لَقُبِضَ عليكم هناك!

واصل وهو يضحك:

تحبين الموسيقى! أليس كذلك..؟!

حسنًا ما رأيك في هذا الصوت؟!

كان صوت لإطلاق رصاصات كثيفة..

واصل:

أخبرتكِ أنني لن أجعل أحد ينعم بالحياة حتى أنا يا «**ديرا**»!

بعد خمس دقائق لن يستطيع أحد العثور على جثتي، سأجعلكِ تستمعين إلى أَحَب الأصوات لقلبي، صوت اختراق الرصاصة إلى الرأس مباشرة!

سأموت وسأدفن معي كل شيء..

أنا الذي قتلت العشرات لن يستطيع أحد قتلي, ولن أجعل قرار موتي ملكًا لشخص آخر، سأقوم أنا بإنهاء كل شيء الآن..

إلى اللقاء!



- انتظر يا «**غوتزا**!!»

صوت رصاصتين ثم ارتطام بالأرض!

- «**غوتزا**»!.. «**غوتزا**»!.. «**غوتزا**»!!

الصمت كان هو اللحن الأول والأخير في حياة «**غوتزا**»..!

لم تكن الموسيقى من اهتمامات الطبيب، لم يحاول يومًا العزف، والمرة الوحيدة التي قرر أن يُلَحِن كان صوت اختراق الرصاصة لرأسه الخبيث!

«**غوتزا**» نائب وزير الصحة وأحد أشهر وأمهر الأطباء في «**فينيسيا**» والرجل الأهم في المافيا رفض أن يتحكم أحد بمصيره!

رفض أن يكون في لعبة يحكمها شخص آخر!

هو الذي كان سببًا في حياة مرضى وهو الذي كان سببًا في موتهم أيضًا! بعجرفة وغرور رفض أن يكون فردًا من اللعبة!

انتحر؛ ليدفن معه أسرارًا ربما كانت تحتاجها «**ديرا**»!

الآن المحققة في وضع لا تحسد عليه، في الوقت نفسه تنتظر مكالمة هاتفية من «**سام**» لتخبرها بوفاة «**شاهين**»!

لم تجدد سببًا لإخبار «**سام**» بحقيقة والدها أيضًا، ربما الحقيقة في هذا الوقت أشبَه بترك ثعبان يتلذذ بسمومه في جسدك دون أي مقاومة!

وكانت الحقيقة لـ «**سام**» أشبَه بذلك الثعبان!

لا وقت للتفكير؛ مَن يعرف! ربما أخبر «**غوتزا**» قوات الأمن بالعلاقة التي كانت تجمعها بـ «**شاهين**»!

ربما اتهمها بالقتل أيضًا!

هي ساعات ويتضح كل شيء..

أغلقت الهاتف، لا وقت لأي محادثات بخصوص ما حدث..

المعذرة يا «**سام**» لكن السفينة على وشك الغرق، لابد من تقديم مقابل للمحيط في سبيل نجاة السفينة..

خرجت «**ديرا**» من سيارتها ثم صعدت إلى منزل العجوز، بذكاء احتفظت «**ديرا**» بـ آثار أنامل «**شاهين**» لتتجاوز عقبة الباب الإلكتروني..

الشمس بحياءٍ تداعب سقف وجدران غرفة المكتب!

هنا آثار «**مارتينا**» و «**سام**» والعجوز!

ثلاث ليالٍ بين الحقائق!

شعرت «**ديرا**» بفراغ عظيم ثم ضحكت بانهزامية :

لا لا! لم أعتَد وجودهما!

وقفت أمام اللوحة ثم دندنت :

إفتقدت نطقكَ لأسمي الذي لم ينادِني به أحد غيرك يا «**شاهين**»، افتقدت لمناداتكَ لي بـ «**لايانا**»!

صرخت «**ديرا**» وكأنها عرفت الآن عن قتل العجوز!

صرخت صرخة لم تصرخها أبدًا!

هي التي ظهرت بكامل الثبات الانفعالي! هي التي لم تبكي!

على العكس كان يُخَيّل للجميع أنها مَرِحة وساخرة!



تبتسم أمام الجميع لتتجنب سؤالهم عنها!

تضحك بصوتٍ عالٍ حتى لا يسمع أحد صوت تنهيدات حزنها العميق!

هي أيضًا بارعة في اللامبالاة، تظهر وكأنها لا تهتم بالكلمات المدوّية التي تنهش في روحها، تظهر بثبات واضح، وكأنها لم تهتز ولم تعاني في حياتها، وتساند الجميع حتى لا ينكشف الهش الساكن في أعماقها!

للمرة الأولى اكتشفت «**ديرا**» حقيقتها ؛ هي وحيدة لا أحد يشاركها الأخبار الحزينة ولا أحد يعرف شيئًا عن سعادتها!

هي وحيدة حد أنها لا تملك صديقًا تحكي له عن أوجاعها!

هي أيضًا لا تملك مَن يشاركها تفاصيل يومها!

ربما حتى لا أحد يعرف من الأساس ماذا تفعل طوال اليوم..!

هي حزينة! ليس لأنها تعاني من الوحدة، بل هي تعاني أيضًا من الغربة! تشعر بغربة من كل شيء حولها! تشعر بغربة تسكنها في كل لحظة وكأنها لا تنتمي لهذا الكون من الأساس!

ثم إنها تنتظر ولا تعرف أي شيء ذلك الذي تنتظر! لكنها تجلس على قائمة المنتظرين دون سبب واضح!

ربما تبحث عن أي شيء يعيد إيمانها بالحب! بالسعادة! أو بالحياة عمومًا!

هي ليست بهذا الثبات الذي تظهره للجميع ؛ على العكس، على العكس تمامًا، هي أضعف مما يتخيل أحد!

تبكي بشراسة بعد منتصف الليل، تصيبها نوبات الاكتئاب ويعزف في قلبها أنين لا يسمعه أحد!

تصيبها الذكريات من بعيد فتجهش مرة أخرى بالبكاء، ويقصف بها الندم، وتغوص في بحر التساؤلات فتنهار بهدوء دون أن يشعر بها أحد!

هي تائهة حد أنها تحاول أن تجد ضالتها في الموسيقى الصاخبة أو ربما بين أوراق رواية قديمة!

ترقص قبل أن تسقط في فخ أوجاعها، ترقص حتى تسقط من التعب خيرٌ لها من أن تسقط من الحزن!

كعادتها ترفض حتى الاعتراف بكَم الحطام الذي يسكنها!

هذه المرة الضربة كانت مُدوّية!

القوة يعني أن تبتسم وبداخلك كوْمة من الحطام؛ وهي كانت أقوى النساء!

سقطت على الأرض و ارتعشت من فرط الألم والحزن!

أَحَبَّت «**شاهين**» حبًا صادقًا، حبًا لم تحبه في حياتها لـأحد!

هي التي حاربت الجميع ليخرج «**شاهين**» من نوبات إكتئابه وحزنه!

لم تحكي «**ديرا**» أن فراقها عن «**شاهين**» كان يعصرها، كان يضرب ويمزق كل أركان قلبها!

الأصعب من البكاء هو فقدان القدرة عليه، والأصعب من الحزن الاعتياد عليه، وهي وحدها لم تبكي في غيابه بل اعتادت عليه!



أصبحت كطفلة تسلخ جسدها كل يوم ثم تدندن: «**الأحمر يعجبني**»

تحولت من امرأة عادية لـفتاة في غاية القسوة والثبات، فقدت كل الألوان!

تحدثت مع «**شاهين**» الآن وكأنه معها : هل انتهينا..؟!

الآن أنا أسألك! هل انتهى كل شيء الآن..؟!

كـعادتكَ أناني، لا تفكر إلا في أمرك، رحلت وهذه المرة لـلأبد!

أنتَ لا تصلح لـلارتباط..؟!

وما ذنبي أنا يا «**شاهين**»..!!

أنا التي أحببتكَ!

أنا التي أستحق قلبك!

لما لم تعطِني فرصة لإثبات مشاعري تجاهك..؟!

لما بخلت عليَّ بدفئك..؟!

ما كان يجعلني أصبر على الآلام والمعاناة هي نظرتكَ التي لم تتغير!

كنت تقول أنكَ لا تصلح للحب و أجد في عينيك كل الحب!

كنتَ تقسم أنك رجل سيء وكنـت أراك طفـلاً لا يقـدر حتى على قتـل نملة صغيرة!

الآن ماذا عنا يا «**شاهين**»..؟!

ألا تتذكر كلماتك معي..؟!

ألا تتذكر رسائلك لي..؟!

«نحن الوحيدين جدًا، لا نجتمع إلا في صفحات كاتب سوداوي يعرف عنه الوحدة..

نحن أبناء حزن «**فرانز كافكا**» ، فلسفة «**نيتشه**»، اكتئاب «**دستوفيسكي**» و عبثية «ألبير كامو"

نحن كل الكتابات الحزينة التي كتبها أُدباء مجهولون كانوا يعانون من الوحدة و الحزن، نحن مقطوعة حزينة لعازف انتحر من الاكتئاب، نحن الخطوط التي رسمها «**فان جوخ**» بيدٍ مرتعشة قبل أن ينتحر، الكلمات الأخيرة لـ «**داليدا" قبل انتحارها و الرعشة الأخيرة لـ «غاندي**» قبل أن يُغتال..

نحن أصحاب الجداريات الحزينة في الأزقة و الحواري، قاطني العشوائيات الفقيرة من الحب المزينة بالكذب والنفاق، نحن أولئك الذين نُسلوا من كل مَن كان يعاني من متلازمات الخوف و اضطرابات الاكتئاب..

نحن أولئك الذين يجلسون في الصفوف الأخيرة في المحاضرات لا يلاحظ أحد وجودنا و لا يهتم أحد بغيابنا ..

نحن أصدقاء الليل و الحزن و الاكتئاب، نحن من لا يعرف أحد حقيقتنا و مهما اقترب منا أحد لا يحظى إلا بالقليل جدًا عنا..

نحن الوحيدين جدًا الذين لا يملكون شخصًا يكون معه على الأشياء التافهة قبل الهامة، نحن أولئك الذين اعتادوا الفقد والألم والوجع، الذين يتألمون لبكاء الأطفال، للمشاهد الدموية، وقد نبكي لمشاهدة مشهد حزين في فيلم سينمائي، نحن مَن لا نملك أي أسباب لأفعالنا ولا نعرف كيف يمكن تبريرها أو حتى الدفاع عن أنفسنا..



أولئك الذين اعتادوا السهر دون سبب واضح، من لا نملك مبررًا للتأمل في السقف، في السماء، في متابعة أشكال النجوم، و قد نخلق من أشكال السحاب رفاقًا لنا..

نحن أصحاب الأدمغة العتيقة التي تفشل المهدئات في تسكينها، أولئك الذين يتعكر مزاجهم بكلمة عابرة، أصحاب المزاج المتغير بشكل متواصل و نوبات البكاء والحزن المفاجئ..

نحن الذين لا يهتم أحد بنا فلم نعد نهتم لـ أمر أحد، نحن أصحاب الأسئلة الوجودية التي لا إجابة لها، مَن اعتادوا الصمت في أشد المواقف التي تستدعي الحديث، نحن من لا تؤخذ كلماتنا على محمل الجد أبدًا، نحن من نخلق الحجج، لنعتذر عن حضور الحفلات والتجمعات، نحن أصدقاء الجميع و لا صديق لنا، أولئك الذين اتخذوا الموسيقى رفيقًا لهم..

نحن كل الأشخاص الذين يسيرون في الشوارع وقت هطول المطر، من يبكون في غرفتهم مساءً و يستيقظون في الصباح كما لو أنهم لم يبكوا لساعات، نحن أصحاب الرسائل التي لم ترسل، و الوجع الذي لا ينطق، و الأمنيات التي لم تتحقق..

نحن الوحيدين جدًا المزيفين أمام الناس، الصادقين أمام أنفسهم، نحن من لا نملك إلا قلوبًا مكسورة و أحلامًا محطمة و أمنيات أصبحت في طوق النسيان..

نحن المنسيين لكن لا ننسى، الموجوعين الذين لا يقدرون على إيلام أحد، والمسالمين حد اعتداء البعض على مشاعرنا دون رد فعل منا..

نحن الوحيدين جدًا في كل شيء، في عزلتنا، في لحظات اكتئابنا، و لا يعرف أحد عن أوجاعنا، نحن من نبكي في صمت و نتألم في صمت و نصرخ في صمت ..

نحن المزاجيين المصابين بلعنة التفاصيل، و الوسواس القهري ومتلازمات الخوف والقرب والاهتمام، نحن صرخات الألم التي لا تسمع و رعشات الحزن الخافية، نحن الذين لا نجتمع أبدًا لكن يعرف بعضنا الآخر، نجتمع في الحزن والاكتئاب والسكون والظلام الدامس، وسط الزحام نختبئ في المقاعد الأخيرة و نختبئ عن نظرات الشفقة السخيفة ..

نحن الوحيدين جدًا كـ آخر طفل على الأرض في مدينة الموتى ..“

يومًا أرسلتَ لي رسالة تقول:

”تعرفين يا «**ديرا**»!

نحن الآن وحيدين جدًا ولو تعلمين فالوحدة أصبحت المكان الوحيد الذي يجمعنا معًا رغمًا عنا بعدما رفضنا أن نبقى معًا بإرادتنا!»

والآن افترقنا رغمًا عنا يا «**شاهين**»!

رغمًا عنا وللأبد!

من الغرفة إلى المطبخ والنبيذ..

الكحل في عينيها تحول لمجرى أسود على خديها!

الجميلة «**ديرا**» أو «**لايانا**» لم تكن إلا ضحية أخرى في حياة «**شاهين**»، بل كانت أكثر الضحايا ألمًا و وجعًا!



ربما اغتال «**شاهين**» أشخاصًا كثيرة بأكثر من طريقة، لكن اغتياله لقلب «**لايانا**» كان أكثرها جرمًا وذنبًا في حياته!

هي التي داوته بعدما كان جوادًا جريحًا، وما إن تعلم الركض حتى دهسها بقدميه!

ابتعد عنها و دَسَّ السُم في قلبها ثم ابتسم!

عادت إلى الغرفة..

الآن اللوحة المعلقة تشبهها، الآن تشبهها أكثر، بنفس الملامح الحزينة والهالات السوداء والشعر الغجري العشوائي!

الآن تشبهكِ أكثر يا «**لايانا**»..

تأملتْ اللوحة وفي يدها زجاجة النبيذ بعدما خلعت جزءًا من ثيابها..

الآن تشبهني أكثر يا «**شاهين**».. الآن تشبهني أكثر يا «**شاهين**»!

لامستْ اللوحة بأناملها، شعرت وكأنها تلامس وجهها..

الموسيقى نشيد الكون، الرسم الوجه الحقيقي للحياة، والكتابة شهادة بقاء أبديَّة للكُتَّاب، الفن أقوى من الرصاصات، الفن أقوى من الموت، الفن أبدي والحياة فانية..!

فجأة سقطت اللوحة من مكانها!

حملتها «**ديرا**» وهى تحاول إعادتها لمكانها الرئيسي..

إلى أعلى.. إلى أسفل.. يمينًا.. يسارًا ...

ظهر زر إلكتروني صغير في الحائط!

ضغطت «**ديرا**» على الزر..

من قلب الحائط ظهر دُرج صغير جدًا!

رصاصتين!

صورة لـ «**لورين**»!

صورة لـ «**باولو**»!

وصورتها!

وملف صغير!



الفصل الرابع والعشرون

رصاصتين!

صورة لـ «**لورين**»!

صورة لـ «**باولو**»!

وصورتها!

وملف صغير!

بتمعُن نظرت «**ديرا**» لمحتويات الدرج..

الخطوة الأخيرة الآن, قد ينكشف ويظهر كل شيء بالنسبة لها!

اتجهت إلى المكتب..

الرصاصتين صناعة إيطالية، الأولى من إنتاج مصنع قديم توقف عن العمل قبل ثلاثين عامًا، والثانية حديثة الصنع!

على هاتفها كان التقرير الجنائي لـمَقتَل المحامي المعروف «**جورج إيفريست**» وزوجته «**لورين**»، ـ الحادث المجهول وقتها ـ أعادت قرأته وبالفعل وجدت ما بحثت عنه، مواصفات الرصاصة التي كانت في جسد «**جورج**» هي نفس مواصفات الرصاصة التي في خزانة «**شاهين**»!

همهمت «**ديرا**» في نفسها :



تحب الاحتفاظ بـ آثار انتقامك يا «**شاهين**»!

أمسكت بالملف ؛ كان يحمل خمس ورقات بالتمام والكمال, ـ الكتاب الذي لم يُنشرـ كان بعنوان «**الإله يعترف**»!

أشعلت سيجارتها ثم بدأت..

(١)

أنتَ الآن بين اعترافات حقيقية من الإله..

لا تشمئز من الاسم فـأنا إلَه وأنتَ إلَه، نحن الآلهة في اختياراتنا ومواقفنا وأفعالنا، نحن مَن نكتب البداية ونحن مَن نرسم خطوط النهاية..

لا تصدق أن أبانا الذي في السماء هو مَن وضع القواعد الأساسية للحياة!

نعم هو المسئول عن الأرض، عن الكواكب والنجوم، فيما عدا ذلك فالله ينظر لنا كما ننظر نحن للسماء..

لم أنكر يومًا وجوده، لكن أحيانًا أفكر فيما يفعل منذ بداية الخليقة!

هل يشعر الإلَه بالوحدة..؟!

لا أظن ذلك لأن الفراغ مضاد للونس، ومَن يستطيع أن يونِسَ إلَه يعرف عن الحاضر والماضي والمستقبل!!

سيكون أمر متعب ومرهق للطرفين!

لن يشعر الإلَه بلذة المفاجأة، ولن يقدم الونيس له شيئًا بدافع الشغف..

هل الله كامل لا ينقصه شيء..؟!

هذه كذبة أطلقها بعض رجال الدين لا تمت للحقيقة بصِلة، الكمال يعني أن تحمل كل الصفات في لحظة واحدة!

إذن وبالمنطق فالله الكاذب الصادق، لأنه مَن خلق الكذب وهو من خلق الصدق وهذا بالضبط يعني الكمال، أن تحمل الأسود والأبيض، أن تكون مزيجًا بين الخير والشر!

ولو أن الله كامل الجمال فالجمال يكمُن في النقص!

ومن المستحيل أن يكون النقص صفة من صفات الخالق!

إذن!

هناك خلل واضح في المعادلة!

الله كامل أم أنه جميل..؟!

لو أنه كامل فهذا يعني أنه يمتلك مع الصفات الجميلة، صفات دنيئة لا تستحق حتى أن نذكرها!

ولو أنه جميل فهذا يعني أنه يعاني من نقص ما في صفاته!

تلك الاحتمالات مُستبعدة ولا أظن أنها صحيحة!

ربما علينا الاعتراف أن المشكلة تخصنا ولا يجب إدراج الإلَه في أمرها..!

نظرتنا وتصورنا عن الجمال والكمال مجرد نظرات وتحليلات بشرية



سطحية، فمهما ارتفعت أسهم العلم والتقدم والبحث لن نستطيع مجاراة التصور الإلَهي، لن يقدر المخلوق على وصف و رسم الخالق..

وعن الأديان!!

فهل يحب الله المسلمين..؟!

إن كان الله يحب المسلمين فبالتأكيد لم تعجبه تصرفات «**الدواعش**» والمتطرفين قبل سبعة وثلاثين عامًا!

ولا مشاهد قتل الأبرياء في «**أمريكا**» و «**أوروبا**» و «**إفريقيا**»!

إذن!

الله يحب المسيحيين..؟!

وإن كان كذلك فلا أظن أن الله وافق عقيدة الحملات الصليبية!

ولا يوافق أبدًا على قتل الأطفال في «**سوريا**» و «**بورما**» و «**الشيشان**»!

لا تعجبه العنصرية «**الأمريكية**» و «**الأوروبية**»!

ولم يأمرهم باغتصاب النساء في «**بغداد**» و «**الجزائر**»!

ربما يحب شعب الله المختار..؟!

إن كان شعب الله المختار يشردون ويقتلون الأطفال والنساء في «**غزة**» ويهدمون البيوت في «**حيفا**» ويقتحمون المساجد في «**القدس**» و «**رام الله**» فـ الله بريء من هذا الشعب الدموي!

إذن!

مَن يحبه الله..؟!

الله يحب السلام، يحب المودة والتسامح، الله يكمن في الطبيعة، في الحب، في الابتسامات الصادقة والمعاملة الحسنة، في الرفق بالحيوان والمعاملة الإنسانية للبشر أجمعين..

الله يكمن في الحب لا في الحرب، في الأزهار والطيور والأشجار لا في المدافع وزخات الرصاص..

الله أكبر من أن يدافع عنه أحد بالقتل والاغتصاب والذبح..

الله ينظر إلى قلوبنا، ينظر لـإنسانيتنا ؛ والإنسانية لا سلاح لها إلا الحب..

أبانا الذي في السماء!

أنقذنا مما نحن عليه...

(٢)

«الاعتراف الأول»

بعد وفاة أمي توترت العلاقة بيني وبين أبي..

لطالما كان يتهمني أبي بالفشل الذريع، ولطالما جعلني بين أصدقائي وخصوصًا **«باولو»** مثالاً للفشل والخيبة..

كان يستمتع بـ إهانتي أمام الناس ويتلذذ وأنا أبكي أمامه، بل ويأمرني أحيانًا بالاعتذار المهين له أمامهم!

يومًا ـ وآنذاك كنت في الواحد والعشرين من العمر ـ , رأيت أبي



يمارس الجنس مع فتاة كنت معجبًا بها!

في تلك اللحظة شعرت برغبة في الانتقام من أبي!

ما كان يثير غضبي أن أبي يظهر أمام الناس بقناع التقوى والفضيلة بينما يمارس كل الرذائل في الخفاء!

أبي رجل منافق من الدرجة الأولى، زرع بداخلي الحقد والنفاق أيضًا!

أتذكر يومًا كنت مخمورًا أتمايل يمينًا ويسارًا، لاحظ أبي تصرفاتي و أنا تحت تأثير الخمر، دفعني بقوة ثم طردني من المنزل بحجة أنني أصبحت شخصًا فاسدًا عديم الأخلاق!

لم يتوقف أبي عند هذا الحد بل أطلق عليّ السباب واللعنات ثم طردني من المنزل على مرأى ومسمع من جيراننا!

أتذكر وقتها قضيت ليالٍ قاسية في الشارع مع المشردين حتى احتفالات أعياد الميلاد، اضطررت للذهاب له و الاعتذار عمّا بدر مني ..

على غير المتوقع رفض أبي الاعتذار!

توسلت له ثم طلبت منه المبيت ليلة واحدة نظرًا لأن الشرطة في هذا الوقت كانت تقبض على المشردين، وافق أبي وأمرني بالخروج من المنزل ما إن تشرق الشمس ..

على السرير كنت أفكر فيما سأفعل في صباح الغد، لا أعرف لماذا لم ألجأ لصديقي «**باولو**» وقتها!

قررت الاعتذار مرة أخرى..

في الثانية بعد منتصف الليل اتجهت إلى غرفة أبي فوجدته غارقًا في نومه، نظرت له بتمعن و من ثَمّ هجمت بيدي على رقبته!

كان يقاوم و كلما زادت المقاومة كلما زادت قبضتي على رقبته حتى لفظ أنفاسه الأخيرة!

لم أهرب ؛ بل ذهبت إلى الحمام لـأغسل جسدي من آثار لعابه على يدي، ومن ثَمّ إلى إحدى الحانات لأقضِ ليلة في سعادة عارمة على روح وحياة أبي ..

لم أتوقف عند هذا الحد، بل ظهرت أمام الجميع مصدومًا من القدر كما لو أن أبي صديقي الوحيد، أجدتُ التمثيل ببراعة وإتقان في هذا الدور لـأبعد الشكوك عني و نجحت في هذا..

لن أنكر كنت أشعر بلذة و أنا أصلي لـ أبي وكأنني لم أقتله!

نعم أنا الإلَه!

أنا مَن أنهيت حياته لـ أُنجي البشرية من كذب ونفاق أبي ..



(٣)

"الاعتراف الثاني"

بعد اغتيالي لـ أبي بفترة طويلة شعرت بالانفصام!

كنت أريد الذهاب إلى الشرطة والاعتراف أمامهم بكل شيء، في الوقت نفسه كنت وكلما تذكرت ما حدث شعرت بلذة الانتقام والفخر!

مرت الأيام سريعًا وترابطت علاقتي أكثر بـ «**باولو**» حتى اليوم الملعون. تلك الليلة التي رحلت «**لورين**» عني!

بعد أن وصلت إلى الجسر اتصلت بـ «**باولو**» على الهاتف, وبعد عشر دقائق وصل..

تحدثنا وقتها عن «**لورين**» وأسباب النهاية وفي لحظة و رغمًا عني وشيتُ بالسر وأخبرت «**باولو**» بما فعلته بـ أبي!كان الشاب في ذلك الوقت متهورًا، أفزعه حديثي واعترافي له، بل وهددني بـ إخبار قوات الأمن بكل شيء!

حاولت منعه وإقناعه بالتخلي عن الفكرة لكنه لم يستجِب!

من عادتي أن أحتفظ بمسدسٍ كاتم للصوت في حقيبتي, تلك العادة اكتسبتها من والدي، صحيح أنني لم أستخدمه قط!

لكن تلك المرة كان كل شيء يدفعني نحوه!

لم أشعر بنفسي، إلا وأنا أُطلق الرصاصات في صدره حتى سقط أسفل الجسر..

هنا عدتُ لرُشدي!

حاولت إنقاذه لكن لم أشعر إلا وأنا في المستشفى!

بعد أن استيقظت علمتُ بقتل «**باولو**»!

المفاجأة هنا أنني لم أكن أتذكر تفاصيل اغتيالي له إلا بعد عشرة أعوام من الحادث!

لكن أقسم قبل أن أتذكر تفاصيل الحادث وبصدق خلال عشرة أعوام أبكي وأتألم لـمَقتل صديقي الوحيد..

بل انضممت للمافيا بعدما أشارت التحقيقات إلى أن المتسبب في الحادث هي إحدى عصابات المافيا!

وبعدما عاد الجزء المفقود من ذاكرتي لم يكن الوقت يسمح للخروج من بينهم، ولم يكن وضعي الاجتماعي يسمح بالاعتراف أمام النيابة..

هربت من الحقيقة!

من حقيقة قتلي واغتيالي لـ «**باولو**»..

لكن وفي نفسي كنت أردد :

«**أنا القاتل الحقيقي..!**»



(٤)

«الاعتراف الثالث»

«**غوتزا**» لم يكن أكثر ذكاءً مني..

كنت أعرف أنه يكرهني ويعد لي كل يوم فخًا وراء فخ، كنت أتابع أفعاله عن قُرب، و من أهم علامات الذكاء هو التظاهر بالغباء و هذا ما حدث معي بالضبط..

تظاهرت بالغباء حتى أعرف نوايا «**غوتزا**» الحقيقية، كنت أعرف أيضًا محاولاته للتَقَرّب من «**مارتينا**»، وكنت أعرف محاولاته لإقناعي بأنها امرأة خبيثة وحتمًا ستشي بأمرنا!

كان يظن أنه المتحكم والمسيطر في كل شيء، أعجبتني ظنونه بل وتعمدت إعطاء وتقديم له كافة الصلاحيات و الأوامر؛ لأستمتع بما يفعل..

كنت أراه كالبهلوان يحاول إقناعي بنكاتٍ وحركاتٍ استعراضية سخيفة؛ حتى أثق به، و أعطه كل أسراري!

الخطأ الأعظم الذي حدث في علاقتي به هو إخباره عن علاقتي القديمة بـ «**لورين**»!

كنت كملاكم أظهر لخصمه نقاط ضعفه ثم راهن على أخلاقه, هذا ما حدث بالضبط ..

يومًا كنا بمنزله الثاني في روما ؛ الأضواء شبه معدومة والموسيقى الهادئة برفقة الكحول وفيلمًا لا أتذكر اسمه الآن، كنت أجلس على الكرسيّ وكان «**غوتزا**» نائمًا على السرير، وفجأة سألني :

هل تتذكر صديقك القديم «**باولو**»..؟!

ابتسمتُ لأخفي النغزة التي سكنت قلبي وقتها، قلت :

ـ نعم، لكن ما المناسبة ؟!

و هو يشعل غليونه قال:

ـ عرفت مَن الرجل الحقيقي الذي أطلق الرصاص على صديقك..

هنا شعرت و كأن العالم أجمع في حلقي!

كنت أعرف أن «**غوتزا**» رجل حقير و دنيء وقد يبتزني من أجل الحفاظ على سِرّي!

دون أن يلاحظ أخرجت المسدس من الحقيبة وكنت على أتم استعداد لإطلاق النار عليه ما أن ينطق باسمي، لكن على عكس المتوقع قال :

إنه المحامي المعروف «**جورج إيفريست**»!

تنهدت..

نجاني الرب هذه المرة، لكن و في الوقت نفسه فوجئت من الاسم!

فمن المعروف عن «**جورج إيفريست**» أنه محامٍ مثال للنزاهة والشرف!

سألته :

ـ كيف عرفت ...؟!

و هو يصب كأس النبيذ قال :

ـ هذه المسألة **لا** تخصك يا «**شاهين**»!



ثم واصل :

إنها فرصة مناسبة للانتقام لدماء صديقك و ربما لنيران قلبك أيضًا!

باستغراب قلت:

نيران قلبي! ماذا تقصد بالضبط!؟

بمكرٍ شديد قال:

نسيت أن أقول لك أن «**لورين**» هي زوجة المحامي المعروف!

العاهرة! كيف ترفض رجلاً مثلك و تتزوج من هذا المحامي الأبله ..؟!

اندفعت عليه بقوة وكنت على وشك أن أقتله..

وهو يدفعني رد :

أنت ضعيف، رجل خان دم صديقه، رجل بلا كرامة لا يستطيع قتل حبيبته العاهرة!

خرجت من منزله و أنا في حالة غضب، و توعدت له بالعقاب الشديد..

ما أتذكره أنني لم أتحدث مع «**غوتزا**» بعد هذا اليوم!

لم أستطع الاعتراف بأنني القاتل الحقيقي لـ «**باولو**»؛ لأن اغتيالي لـ «**إيفريست**» ما هو إلا بدافع زواجه من «**لورين**»!

مرت الأيام حتى نفذت العملية رغمًا عني..

لم أكن مغصوبًا على شيء، لكن لا أعرف بالضبط ماذا فعلت!

حتى لا أتذكر بالضبط تفاصيل الحادث!

و لا أعرف بالضبط كيف حدث!

ما أعرفه أننا في الطريق إلى منزل «**إيفريست**» كنت أقصد إطلاق النار على «**لورين**»!

الانفصام مرة أخرى!

لذلك فأنا أعترف أنني القاتل الحقيقي لـ «**إيفريست**» و «**لورين**» ، بل وقتل «**لورين**» لم يكن قتلاً عن طريق الخطأ!

كنت أعرف أن المرأة النائمة بجوار «**إيفريست**» هي حبيبتي السابقة «**لورين**»...

(٥)

هذا الملف ما هو إلا مسودة قصيرة لمشروع كتاب حتمًا سيظهر للنور في وقت لاحق..

أريد أن أقول أن القتل عمل إجرامي لا خلاف عليه، لكن دوافع القتل تختلف من شخص لآخر!

في الماضي لم يفهم أبي ما أعانيه من تغييرات نفسية، بل وسخر منها وهنا كانت بداية كل شيء..

لا يوجد طفل قاتل، جميعًا نولد أبرياء، لكن للمنزل دور حقيقي في تكوين ملامح الشخصية..

في الأنظمة السيادية يُقتَل المعارضين ثم يتعجب الشعب من ظاهرة المتطرفين والمافيا!



لكن لماذا لم يفكر أحد في العامل الرئيسي وراء ظهور مثل تلك الجماعات القاتلة!

في الدين يحكمون علينا بعقائد وفروض و إن اعترضنا عليها نتحول لملحدين أو لادينيين لا يؤمنون بوجود الإلَه!

لا أظن أن الله سعيدٌ بما يفعله رجال الدين بشكل عام سواء في الكنيسة أو المسجد أو حتى المعابد اليهودية!

لكل فعل رد فعل، وأشد فعل يتبعه رد الفعل هو التحكم والتشدد والقيود الوهمية..

لن أتبرأ من جرائمي لكن على الأقل فليُحاسَب معي كل الآباء، كل رجال الدين والسياسة...

«**انتهى الملف**»..

ديفيد شاهين

هو مشروع كتاب لم يكتمل!!!

ضحكت «**ديرا**» بهستيرية بعد قراءة هذه الاعترافات..

لا سْبب حقيقي أكثر من أنها كانت على علاقة بقاتل مصاب بالانفصام!

كانت وخلال كل تلك السنين مع رجل لا تعرفه!

رجل مزيف!!

خرجت من المنزل بهستيريا ضحك، وصراخ، تُهرول وتركض نحو اللاشيء وهي عارية الجسد حتى فقدت عقلها...

الفصل الخامس والعشرون

والآن!

أجواء غريبة!

المكان شاسع!

لا أستطيع تحديد وجهتي!

لا أعرف بالضبط إن كنت وفي هذه اللحظة حيًا أم أنني في تعداد الموتى!

لا أعرف إن كان حلمًا أم واقعًا!

ربما هي أحلام اليقظة!

حتى هذا لا أعرفه أيضًا!

الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني أراني كما يرى المشاهدون فيلمًا سينمائيا!

هذا أنا!

لا أعرف لماذا لا أشعر بجسدي!

حتى نبضات قلبي لا أسمعها!



أطرافي!

أنا لا أشعر بـأطرافي!

أشعر و كأنني في هذه اللحظة خارج جسدي!

خارج جسدي تمامًا!

لا أستطيع تحديد الوقت!

لكني أشعر أنني في وقتٍ لم أعِشه في حياتي!

هذا ليس المساء فـالظلام لم يكتمل!

والضوء ليس كافيًا لأقول أنني في الظهيرة!

ربما ما أنا عليه الآن هو الوقت الذي تلعب الشياطين في ساحته!

هو الحيز الفاصل بين الفجر والشروق!

بين النهار والغروب!

الآن!

أنا أمشي بخطى متعرجة!

شيء غريب!

كلما نظرت لأعلى شعرت وكأن السماء التي فوقي لا وجود لها!

السماء خالية!

خالية تمامًا من النجوم، من الكويكبات، من الغيوم، حتى من الشمس والقمر!

لا أعرف لماذا أرتدي الآن سروالاً أبيض!

الأبيض لم يكن لوني المفضل من الأساس!

أنا أمشي في محاولة بائسة للبحث عن رفيق!

أو شخص يدلني على ما أنا عليه الآن!

بالمناسبة!

رغم أن الجو غريب إلا أنه رائع!

أسمع صوت الشلالات! لكن لم أرَها إلى الآن!

يبدو وكأنني وقعت في حديقة!

أنا أشم الريحان وصدري ينتعش بعيدان النعناع!

هذا الفراغ يقلقني!

ربما الآن فهمت لماذا خلق الله حواء!

ربما لتؤنس وحدة آدم!

من بعيد، هناك رجل يرتدي سروالاً أسود!

لحيته كثيفة!

لا أستطيع تمييز ملامحه!

إنه يقترب!

تلك الملامح أنا أعرفها!

إنه أبي!



لكن يبدو عليه علامات المعاناة!

لم يتغير وجهه العابس منذ اللقاء الأخير بيننا!

يا له من وغد!

حتى في هذا النعيم لم يفارقني!

سأحاول الابتعاد عنه بالتأكيد لو أنه رآني الآن حتمًا سينهال عليَّ بالسباب ويستهزئ بي!

حتمًا إن محاولاتي للهروب منه محاولات بائسة!

لحظة!

أبي مر من أمامي وكأنه لم يرَني!

يا له من وغد حتى في هذه المحنة لم يقف بجانبي!

- أبي! أبي!

أين نحن..؟!

أبي! ألا تسمعني؟!

يبدو أن الأمر أعقد مما أتخيل!

لا بأس ..

من بعيد يبدو أن هناك فتاة تجلس على البحيرة!

يبدو أن هذا المكان يسكنه الكثير من الجميلات!

لا أستطع التعرف على ملامحها!

إنها أمامي!

شعرها الأسود الطويل يغطي نصف ظهرها!

بالمناسبة!

وحدهن الفاتنات صاحبات الشعر الأسود ..

سأحاول الاقتراب منها لعلها تجيبني على بعض الأسئلة، على الأقل لأعرف أين أنا الآن ..!!

ـ مرحبًا يا سيدتي!

استدارت الفتاة!

يا لها من جميلة!

لحظة إنها أمي ؟

ـ كيف حالكِ يا أمي ؟ أفتقدكِ كثيرًا!

و كأنها لا تراني!

حاولت هَزَّها لكن دون جدوى!

إنها تبتعد!

ـ أمي! أين نحن ؟

أين نحن الآن..؟!

وكأنها غاضبة مني رحلت دون أن تنظر إلى وجهي

ـ أمي لقد نسيتِ هذا المفتاح ؟

تقدمت نحوها بسرعة..

وقفت أمامها ..



لم تنطق، فقط دفعتني بقوة!

ـ كم أنتِ قاسية يا أمي!

أنا أتدحرج على الأرض!

صحيح أن الأرض ليست بالخشنة، لكن لا أعرف بالضبط لماذا فعلت بي أمي هكذا..؟!

أنا أحاول النهوض الآن..

فجأة وجدت نفسي أمام ثلاثة أبواب!

مفتاح واحد وثلاثة أبواب و ثلاث نساء!

الغريب أن الفتيات الثلاث لا يتشابهن!

الأولى ترتدي سترة بيضاء..

والثانية ترتدي سترة سوداء..

و الأخيرة ترتدي سترة رمادية..

بين الثلاثة أبواب ساعة رقمية لكن على ما يبدو أنها لا تحسب عدد الساعات بل تحسب عدد السنوات!

العقد الأول.. العقد الثاني.. إلى العقد السابع!

اقتربت من الباب الأول..

أنا الآن أحاول التحدث مع الفتاة التي تجلس على عتبته..

يا لها من فتاة جميلة!

ابتسامتها هادئة، ملامحها صادقة، لكن حركتها بطيئة!

بطيئة جدًا!

ـ هيا يا فتاة دعيني أستكشف الباب الذي خلفك!

حسنًا ما المانع لو دعوتك إلى فنجان من القهوة!

أو حتى التنزه في هذه الحديقة!

ردت بحياء :

ـ عليك أن تنتظرني ثم تكرر محاولتك مرة أخرى، أنا لن آتي إليك، أنت مَن سيأتي إليَّ..

لا أستطيع الانتظار!

ثم إن حركتها البطيئة بطيئة بشكل مزعج!

اللعنة..!

بدأت أشعر بالملل...

سأذهب الآن إلى الفتاة صاحبة الرداء الأسود..

إنها جذابة، جذابة جدًا!

يا لها من فتاة مغرية أيضًا!

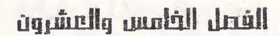
لقد عانقتني!

رائحتها أشعر أنها تجذبني لها بأسرع طريقة ممكنة!

لا أعرف بالضبط رغم كل المتعة والبساطة التي أشعر بها، إلا إن رغبتي لا تميل ناحيتها!

ماذا عن الفتاة الرمادية!





يا لها من فتاة غامضة وصامتة!

نظرتْ إليَّ ثم ابتعدت عن الباب..

هي مسالمة أيضًا!

فجأة تقلص حجمي!

أشعر وكأنني عدت طفلاً!

الساعة بعيدة جدًا عني لكنني أراها بوضوح!

هذا نفق! بالتأكيد هذا نفق!

يا لها من أشجار جميلة!

جميلة جدًا!

العقرب يتحرك مع كل خطوة أخطوها..

أنا الآن في العقد الثاني!

بدأت أشعر بشاربٍ وبعض الشعيرات على وجهي!

لم يعد الأخضر كما كان!

فجأة ظهرت أمامي فتاة تبدو جميلة! جميلة جدًا!

المسكينة هناك بقعة حمراء على نهديها!

ما إن اقتربتُ منها حتى اكتشفت أنني أعرفها!

هذه الملامح أتذكرها!

اقتربتُ منها أكثر..

ـ ما اسمكِ يا جميلتي المسكينة..؟!

لم تنطق!

«**لورين**»..؟!

ربما هي «**لورين**»..!!

ما الذي يحدث بحق السماء..؟!

المؤشر يشير إلى العقد الثالث..

هناك فتاة تجلس على الأرض!

تبدو جميلة لكنها ليست بجمال الأولى!

لا أعرف لماذا لا أشعر بأي مشاعر حبٍ تجاهها ..!!

أعطتني مفتاحًا آخر ثم ظلت صامتة!

فجأة ظهر أمامي باب آخر!

دون أي مقاومة انفتح الباب..

يا إلهي..!

ما كل تلك الأضواء..؟!

أشعر وكأنني نجم سينمائي!

لكن رغم كل الزحام لا أحد يتحدث معي!

لم يجِبني أحد على تساؤلاتي!

الآن تحولت السترة البيضاء إلى بيضاء مُرصعة باللؤلؤ!



على جانبي الطريق رجل و امرأة..

«النساء أولاً»!!

لكن هذه المرة كُسِرت القاعدة!

إنه رجل غليظ لم يتحدث معي فقط أمسك بيدي اليسرى ثم رافقني الطريق!

الجانب الأيسر من القميص بدا وكأنه ملطخ بالأسود!

يا لي من غبي!

كيف سأذهب للفتاة التي تنتظرني بهذا القميص المُتسخ..؟!

لقد عبرت الفتاة الطريق وأمسكت بيدي اليمنى..

نظرتْ للرجل نظرات غضب!

السترة بدأت تتلون!

الجانب الأيسر أسود تُجمله بقع حمراء!

والجانب الأبيض في منتصفه بقع رمادية!

يبدو أنهم على وشك بدء معركة!!

أشعر بملامح شيخوخة!

فجأة رحل الاثنان..!

اقتربت الساعة من الكمال..

الآن آنا في نهاية النفق!

فجأة سمعت صراخًا مِن خلفي!

يا له من ملاك ضخم!!

دفعني بقوة!

تجاوزت الباب..

أرض فضية!

ما كل هذا الزحام..؟!

يبدو أنهم بلايين البلايين!

حروب! خراب! بكاء! صراخ! قتل! معارك!

رغم كل هذا الزحام في المنتصف يجلس على طاولة ثلاثة رجال يتصارعون!

الأول نحيل وأسود، يرتدي قبعة ولحيته ملفوفة، ويرتدي سترة سوداء!

ينظر للثاني صاحب الشعر الأشقر والسترة الصفراء والملامح البيضاء واللحية المفرودة!

و الآخر صاحب العِمَّة، والوجه الضخم البشوش واللحية السوداء الكثيفة والسترة البيضاء!

بدأ النقاش يحتد..

صرخ صاحب السترة السوداء :

كل هذه الدماء منسوبة لكم كل هذا الخراب أنتم المسئولون عنه!

لم يتحمل صاحب السترة الصفراء كلمات الأول..

صرخ في وجهه:



قبيلتك أكثر قبائل الأرض سفكًا للدماء!

أنت المسئول عن كل هذا الخراب..

هنا انفجر صاحب السترة البيضاء :

ـ لم يفهموا كلماتكم، أنتم المسئولون عن ما حدث..

ضحك الأول :

ـ ومن الذي يتحدث..؟!

أنت الذي صرخوا بـ اسمه قبل أن ينشروا الفساد والقتل!

من بعيد هناك شخص مخالبه واضحة , أمعاؤه واضحة وكأنها ثعابين!

اقترب منهم..

كفاكم قتالاً!

أنتم لستم المُذنبين!

المُذنب الحقيقي ينظر لكم ويتابعكم, هو المسئول عن كل هذا الخراب!

ثوروا واغضبوا عليه!

هو المسئول عن كل تلك الفِتَن..

فجأة نهض الثلاثة رجال واتجهوا إلى منزل ضخم!

وخلفهم بخبثٍ ودهاء يمشي ببطء الرجل ذو المخالب الحادة..

كلمات ثورة وعتاب!

والقصر لا يزال في سكونه!

فجأة!

شيء ما يظهر من خلف الحجاب وبصوتٍ هادئ قال :

ـ القتل، الاغتصاب، الفساد، أنا لست المتهم ولا أنتم!

لم آمركم إلا بالعمل والمحبة والسلام ولم تأمروا قبائلكم إلا بما أمرتكم به!

أنتم لستم مذنبين، إنما هو العَداء الأبدي بيني وبين الملعون..

كفاكم ندمًا وعتابًا!

كفاكم صراعًا، الآن سينتهي كل شيء...

فجأة وبعد ثوانٍ ارتطم الجميع بالأرض!

فجأة تحول الزحام إلى فراغ..

تحولت الضوضاء إلى سكون مرعب!

مشهد مريب!

هذا أنا أمامي نائم على جانبي الأيمن!

وفوقي شخصين يشبهانني!

الأول يرتدي الأبيض والثاني يرتدي الأسود...

ـ لما قتلت يا «**شاهين**»..؟!

رد صاحب السترة السوداء :

ـ لم أقتل! بل هي الحياة مَن دفعتني إلى القتل!

و الآن! لما تحملتْ أنت قسوة الحياة عليك..؟!



رد :

لأن القسوة جزءٌ أصيل من الحياة..

بسخرية رد صاحب السترة السوداء :

جزء أصيل من حياتك أنت!

أنا مَن رفضتُ الذل والحزن والاكتئاب!

ـ أنت لم ترفض، بل واجهت الظلم بالظلم!

كم فتاة أغرقتها في الحزن لتدافع عن وجعك..؟!

«**لورين**»!

تلك الفتاة التي زرعت في صدرها الرصاص انتقامًا منها رغم إيمانك أنها لم تكن مخطئة في حقك!

«**مارتينا**»!

تلك الفتاة التي أحبتكَ بصدق، بل و ارتكبت كل الخطايا فقط لتبقى بجانبك!

و «**ديرا**»!

الفتاة التي حاولتْ انتشالك من الوحل لكنك ابتعدت عنها!

لم تبتعد عنها هي يا «**شاهين**» لكنك ابتعدت عن الخير، ابتعدت عن طوق النجاة الأخير لك!

ثم ماذا جنيت في النهاية..؟!

حتى «**باولو**»!

صديقك الوحيد لم ترحمه من شرورك، لم ترحمه من غريزتك في القتل!

ماذا جنيت وماذا حصدت..؟!

الشهرة والمال والنساء!

أين هم الآن..؟!

أجِبني!

مَن الذي سينقذكَ من الجحيم..؟!

الجحيم يا «**شاهين**» مكانك كما قالت لك أمك..

الجحيم..

لا تتبرأ من أفعالك!

لطالما حذرتك من النشوة!

حذرتك من الظلام!

تجاهلتني تمامًا، لم تسمع لي، لم تُعِر لكلماتي أي اهتمام!

حتى لم تلاحظ وجودي!

قتلتني كما تقتل ضحاياك..!

هنا انفجر صاحب السترة السوداء :

- تجاهلتك..؟!

و أين كنت والوجع يقتلني..؟!



و أين كنت والحزن ينهش في جسدي وقلبي..؟!

أين كنت من كلمات أبي حين اتهمني بالفشل..؟!

أين كنت حين كان يسخر مني..؟!

أين كنت وأنا بين مخالب الدنيا..؟!

أين كنت من ليالي الحزن والتعب والاكتئاب..؟!

لم أقتل إلا حفاظًا على هيبتي، إلا رد اعتبار لخيانة «**باولو**»!

إلا ردّ اعتبار لـ كُره أبي الشديد!

لم أُنهِ حياة أحدًا إلا وبدافع الحفاظ على مكانتي، على نجاحي ..

لم تحبني «**لورين**»..

«**مارتينا**»!

ربما كانت صديقة ولكن لم أكن أحمل بداخلي أي مشاعر حب لها..

و «**ديرا**»!

ما كانت إلا حليفة لك، كانت تريد عودتي لك؛ لـأُكرر مأساتي مع الحزن والكآبة!

أنا لم أُوذي أحدًا من تلقاء نفسي!

حتى الذي لم يؤذني كان ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض عليّ!

نحن أبناء القاتل «**قابيل**»!

نحن أبناء الشر!

نحن الذين حذر الملائكة منّا!

الـذي قتلتـه كان ينتظر الفرصة المناسبة لقتلي، والـذي حطمت قلبه كان ينتظـر الفرصـة المناسبة لتحطيـم قلبي!

أنا أكرَه البشر..

أكرَه كل البشر!

وما أنا إلا الإله الأعظم في عالم الشر...

أنت نكرة يا «**شاهين**»..

الآن سينتهي بك المطاف إلى المكان الذي تستحقه..

إلى الجحيم الأبدي ..!

فجأة بدأ الرجل الأبيض يتلاشى ويتبخر مع الأسود وكأنهما رماد!

الآن لا أرى شيئًا إلا الظلام!

الظلام الأبدي..!



في هذا الباب ..

من فضلك!

قُم بقَلبِ الكتاب في يدكَ رأساً على عقِب...

الفصل الأخير

الشمس بـحياءٍ تُزين جدران الغرفة..

موسيقى هادئة! وباقة من الأزهار على الأرض..

لم تكن الرؤية واضحة بالضبط..

صوت خافت:

لقد استفاق يا دكتور!

أهلاً سيد «شاهين»!

أين أنا..؟!

في المستشفى العام بـ «فينيسيا»..

دخلت الممرضة مبتسمة:

هل أنت على ما يرام..؟!

قال :

ماذا حدث..؟!

قالت :

لقد نجيت من الغرق بـ أعجوبة!

في أي عام نحن..؟!

كانون الثاني ٢٠٢٥!

نهض «شاهين» من سريره ثم أتجه للمرآة، ونظر لملامحه الشابة وهو يضحك بهستيرية وسعادة!

كررت الممرضة سؤالها:

هل أنتَ على ما يرام..؟!

بثباتٍ سألها :

ما اسمكِ ..؟!

أنا «مارتينا».. ممرضتكَ الخاصة!

هز «شاهين» رأسه بـ ابتسامة:

سيكون كل شيء على ما يرام...



الخاتمة

في هذه اللحظة يُدفن شخصٌ ما في الأرض..

تصرخ إحداهن لفقدان عشيقها، وتتألم أمّ، والتراب يحتضن ابنها..

هنا البكاء والصراخ والعويل والصمت، ومراسم الحزن والأسى على أتم استعداد للبدء!

لكنها ليست النهاية!

فهناك أمّ تُهيئ غرفة جديدة لمولودها، وهناك أبٌ يشتري ملابس الوافد الجديد، واحتفالات البهجة والاستقبال في ذروتها..

في الغرفة هناك مَن يصرخ لنهاية شخص ما في حياته!

وبجواره يبكي أحدهم فرحًا لاستقبال طفل جديد!

الشاعر مات قبل أن يكتب قصيدته الأخيرة ..

والساحر يحتضنه التراب ولا يزال في جعبته أرنب لم يستخدمه في حيله..

و في غرفة المُلَحِن مقطوعة موسيقية لم تُعزَف ..

النفق المُظلم ما هو إلا بداية لنفق جديد..

ولولا القطرة الأخيرة في المطر لما ارتوت الأرض ..



لم يكن عقاب الإله لـ «آدم» هو النهاية, بل كان بداية الحياة على الأرض ..

الخاتمة..؟!

حتى أنا لم أكتب كل ما في نفسي وأنهيتها وفي داخلي أشياء لازالت عالقة في صدري وذهني!

هذه الرواية ما هي إلا أحرف ضئيلة في صفحات الحياة؛ ولأنني وخلال الصفحات المعدودة لتلك الرواية حاولت ملامسة صفاتك وفطرتك الإنسانية، فلن أكتب لك شيئًا يستحق أن يذكر في الخاتمة..

فقط!

لا تُصدق كل ما يحدث حولك..إنها لعبة لانهاية لها .!

الإهداء

إلى بائع المخدرات الذي سخرتُ منه قبل خمس سنوات عندما أقسم أن تجارة المخدرات أصدق مِن تجارة الحُب والجسد، وأقل ضررًا مِن تجارة الكلمات الدينية والسياسية وكلمات العشق :

أُهدي لكَ هذه الرواية وأعتذر لكَ عن جهلي وسخريتي وقتها..

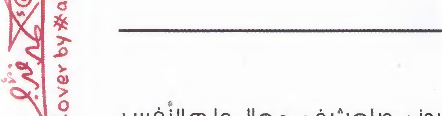


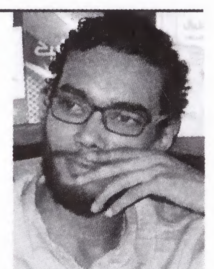
الفهرس


ساحر الكتب



الكبرياء، هذا الذي لايهدمه الزمن أبدًا، حتى الحنين لايقوى على هزيمته، قد نضعف، نشتاق، نحتاج ونتمنى لو أن كل ما حدث في الغياب ما حدث أبدًا، نكتب الرسائل الطويلة الممزوجة بتنهيدات الاحتياج، نستعيد الذكريات والمواقف والتفاصيل، نغفر كما لو كانت قلوبنا لم تتألم من مرارة الوجع أبدًا، نغفر ونسامح تحت عرش الحنين ؛ لكن وقبل أن نسقط يظهر الكبرياء فجأة ليمنعنا حتى من متابعة أخبارهم، نعود من حيث أتينا من حزن ووجع وآلام وكسر، وبالأخير نرتدي قناع القوة من جديد لتنتهي لحظاتٌ أليمة بطلها الفقدان والكبرياء والوجع .





محمد طارق

كاتب وروائي ومُدَوِّن إلكتروني وباحث في مجال عِلم النَّفس.

صَدَر له :

- مجموعة قصصية بعنوان "جُرعة نيكوتين" عام ٢٠١٥
- رواية "باريس لا تعرف الحُب" عام ٢٠١٦
- كتاب "أُسطوانة مَشروخة" عام ٢٠١٧




E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeeel 201006250473
www.tashkeel-publishing.com


9 789776 555501